www.alkottob.com

بلال فضل

السكان "الأصليين" لمصر

حكايات عن عبقرية المكان

.. وبلادة الحكام وطرمخة البشر

دار ميريت
القاهرة 2009

السكان "الأصليين" لمصر
حكايات عن عبقرية المكان
.. وبلادة الحكام وطرمخة البشر

بلال فضل

الطبعة الأولى ٢٠٠٩.
(c) دار ميريت
٦ (ب) شارع قصر النيل، القاهرة
تليفون / فاكس: ٢٥٧٩٧٧١٠ (٢٠٢)
www.darmerit.net
merit56@hotmail.com

الغلاف : أحمد اللباد

المدير العام : محمد هاشم

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/١٥١٦٦

الترقيم الدولي: 977-351-430-7

www.alkottob.com

إلى عم صلاح السعدني وعم محمود السعدني

رعاتي الرسميين

.. أو على رأي المثل

رُبّ أبوين أخوين لك لم تلدهما ستّك

ممتنا لهما كأجدع مايكون الإمتنان

وطالبا لهما الثواب من الله كأمتع مايكون الثواب

WWW.DVD4ARAB.Com
By Dr. Hatem Ewisse.

www.alkottob.com

"لا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة"
الزعيم مصطفى كامل

"لا حياة مع اليأس ولا حياة لمن تنادى"
عبد الفتاح القصرى

"فى مصر لا حياة مع اليأس ولا حياة مع الأمل"
أنا

www.alkottob.com
25/11/2009
Happy Aed

www.alkottob.com

أجدع من أي مقدمة

ياعم الضابط إنت كداب
واللي بعتك كداب
مش بالذل حاشوفكم غير
أو استرجى منكم خير
إنتو كلاب الحاكم... وإحنا الطير
إنتو التوقيف... وإحنا السير
إنتو لصوص الوقت .. وإحنا بنبني بيوت
إحنا الصوت... ساعة ماتحبوا الدنيا سكوت
إحنا شعبين شعبين شعبين
شوف الأول فين.. والتاني فين
وادي الخط مابين لاتنين.. بيفوت
انتو بعتوا الأرض بفاسها.. بناسها
في ميدان الدنيا فكيتوا لباسها
بانت وش وضهر
بطن وصدر

www.alkottob.com

ماتت والريحة سبقت طلعة أنفاسها
واحنا ولاد الكلب الشعب
إحنا بنوع الأجمل وطريقه الصعب
والضرب ببوز الجزم وبسن الكعب
والموت في الحرب

عبد الرحمن الأبنودي
رضي الله عنه وأرضاه

السكان الأصليين لمصر!

www.alkottob.com

www.DVDHARAB.Com

كثيـرا ماأتلقـى أسئلة من بعض القراء الأعزاء – وهم كثير ولكـن لاشـيء أعلم عنهم – حول كيفية قدرتي على التعايش مع واقع هو ضد كل ماأكتبه أو أحلم به، واقع أقول أنا مرارا وتكرارا أنني أعلم أنه لن يتغير أبدا لكنني أبدا أستمر في رفضه والسخرية منه وخبط رأسي في حوائطه الخرسانية الكئيبة.

ببـساطة شـديدة ودون محاولـة لتـزويق الكلام أعتقد أن مايحمينـي دائمـا كبنـي آدم ضـعيف يغـره الأمل من الوقوع فـي وهم انتظار الفرج هو أنني أوقن أنه لاأمل في أي أمل طالما ظلـت المعـركة الأزلية الدائرة على أرض مصر منذ أن خلقها الله لايـشترك فيها سوى نوع واحد من سكان هذه البلد أطلق عليه إسم السكان المنتفعين بمصر، لاحظ هنا أن الإنتفاع ليس مصطلحا سـلبيا فهو يعني أن من يمكن وضعهم ضمن هذا النوع يحصلون مـن وراء كـونهم مواطنـين مـصريين علـى نفـع مـا أيـا كان قل أو كثر، شرعيا كان أو غير شرعي، وهذا النوع بالمناسبة شـامل فـضفاض يمكـنك أن تـضع تحت إهابه وبين ثناياه كل مـن ينتـسبون إلـى الحكـومة والمعارضـة ومن ينتسبون إلى مايعـرف بالنخـبة والـصفوة والكـريمة وكل محترفي السياسة

www.alkottob.com

والـصحافة وهواتهما وأرباب الفنون من الموهوبين أوالموهومين وأصـحاب العاهـات الفكـرية المستديمة أو القابلة للشفاء ونجوم المجتمع ومرشحي الإنتخابات ووكلاءهم ورجال وسيدات الأعمال وقـراء الصحف المنتظمين والشواذ جنسيا والشواذ فكريا والشواذ نفسيا.

أما ماعدا أولئك من أبناء الشعب المصري فهؤلاء هم الذين أسـميهم "الـسكان الأصليين لمصر"، وأعتقد جازما أن في أيدي هـؤلاء وحـدهم الأمـل الوحيد في تحقيق أي تغيير لأن هباتهم المفاجـئة هـي التـي تصنع الفرق لكن المشكلة أن هبات هؤلاء متـباعدة وقصيرة النفس ونادرة وعشوائية - تماما مثل حياتهم - ربمـا لأنهم اختاروا لأنفسهم منذ عهود سحيقة حلا يعصمهم من الإنقـراض أو الطقطقان المفضي للإنقراض، هو أن يعيشوا في بلد مـوازية لهـا قوانـين خاصـة وحكام مختلفين وأبطال شعبيين يخـصونهم وغناء لايطرب غيرهم وأنواعا من الطعام والشراب لاتصلح إلا لهم.

ومع أني أعرف ان الكثيرين لديهم حساسية شديدة من حكاية أن المصريين هم أول من اخترعوا كل شيئ من ورق البردي إلى ورق البفـرة، لكـن الحقيقة التي لايمكن إنكارها هي أن السكان الأصـليين لمصر هم أول من اخترعوا ماأصبح يعرف هذه الأيام لدى خبراء التكنولوجيا بالواقع الإفتراضي، لاأحد يعرف منذ متى كان ذلك، هل كان منذ أن دخل الهكسوس إلى مصر أو العرب أو الفـرس أو الرومان أو المباركيون القدامى أو المباركيون الجدد،

لـيس مهمـا متى بدأ ذلك، لكن المهم أنك تستطيع دون عناء أن تـدرك أن هـذا الواقـع الإفتراضي الذي يدعي خبراء الكمبيوتر زورا نـسبته إلـيهم هـو الذي يحكم منذ قديم الأزل حياة السكان الأصليين لمصر، وهي حياة تشبه مايمكن أن تكون قد شاهدته في أفـلام الخـيال العلمـي الأمريكية والتي تفترض أنه مع التطور التكنولوجـي المـذهل سيصبح هناك نوعان من البشر يعيشان في الأرض، أغنـياء يعيـشون علـى سطح الأرض وفقراء يسكنون باطـنها، وتستطيع أن نقول أننا بالصلاة على الحبيب سبقنا أفلام الخـيال العلمـي بتطبيق هذه الإفتراضية ولكن الفرق أن الفقراء يعيشون لدينا على الأرض أيضا تاركين بطنها لأمواتهم ومواسير صرفهم الغير صحي.

المؤسف أو المقرف إن شئت أن كل الخناقات التي يخوضها الـسكان المنتفعين بمصر تندلع وتثور تحت ظلال شعارات تقسم أنهـا ماانـدلعت وماثـارت إلا من أجل خاطر السكان الأصليين لمصر، هاهو رئيس الدولة المبارك يحلف على النعمة الشريفة أنه لايـذوق الـزاد إلا وهو يفكر فيهم، وهاهي حرمه المباركة تقيد صوابعها العشرة من أجلهم مشكورة مأجورة، وهاهو إبنه المبارك يقـول أنه كان من الممكن أن يتمتع بالخميرة التي عملها من شغل البـنوك فـي هدوء لكنه قرر من أجلهم فقط أن يجلب لنفسه وجع القلـب من اللي يسوا واللي مايسواش، وهاهناااالك رئيس الوزراء النظـيف الطـويل يحلف على المصحف إنه لاينام الليل من أجل راحـة السكان الأصليين لمصر وأنه يستحق أن يوقف الله نموه لو

www.alkottob.com

لـم يـدخل لكل منهم كمبيوترا في بيته أيا كانت عفاشة بيته، وها دوكهمـه الـوزراء لايقـض مـضاجعهم ولايعكر عليهم صفو الإستمتاع بقصورهم وحساباتهم في البنوك سوى التفكير في أولئك المـزعجين الذين يطلق عليهم عادة أسماء غير دقيقة مثل البسطاء والمهمـشين ومحدودي الدخل والمواطن العادي، وأطلق أنا عليهم إسـم السكان الأصليين لمصر. (بالمناسبة الخطأ النحوي مقصود لحاجة في نفسي لم أتبينها بعد).

حتى الذين يحتلون مواقع المعارضة في مصر ينقسمون فيما يخـص علاقتهم بالسكان الأصليين إلى صنفين: بعضهم ينتفع هو الآخـر مـن إدعائه أنه يحمي حقوقهم وهو ليس كذلك، وأغلبهم يحمـل هم السكان الأصليين على رقبته ويزعق ويعارض ويكتب ويتظاهر ويسجن ويقتل ويشرد وينفى وكل هذا وهو يعتقد يقينا أنه يفعل ذلك من أجل السكان الأصليين الذين يراهم يشدون على يديه ويقـبلونه ويقولون له كلاما جميلا ناعما مؤازرا ومحبا ويطلبون مـنه أن يـستمر فـي دفاعه عنهم، لكنهم في حقيقة الأمر عندما يحـدث له أي أذى من جراء مافعله من أجلهم سيكتفون بالحوقلة والمصمـصة والـدعاء علـى الظالم والمفترى وإبن الحرام دون تحديـد إسـمه حتـى، ثم القول بلهجة معاتبة "هو برضه زودها حبتين".

يعني هل تتخيل مثلا أن هناك بعض السكان الأصليين لمصر يعـتقد أن صحيفة معارضة حرة مثل الدستور التي تقض مضاجع أهـل الحكـم في مصر ليست سوى صحيفة تمتلكها الحكومة في

"الكتيمـي" لكـي تبرهن للخليقة أن هناك حرية في مصر، وأنني وأمثالـي بـدءا من رئيس تحرير الدستور إبراهيم عيسى وحتى أصـغر محـرر فيها نكتب بتعليمات مباشرة من الرئيس مبارك وإبـنه لزوم إضفاء الديكور الديمقراطي على حكمه، أقسم بالله أن هـذا الكـلام جاءني كثيرا في إيميلات تلقيتها من سكان منتفعين بمـصر سمعوا هذا الكلام من سكان اصليين لهذه البلاد واندهشوا جـدا وصعبت عليهم أنا ومن على شاكلتي لأننا نؤذن في مالطة، بيـنما أنـا عن نفسي لم أندهش أبدا ولم تصعب علي روحي أبدا، لمـاذا؟، لأننـي نشأت وترعرعت وكدت أذبل كواحد من السكان الأصـليين لمـصر، لكنني مإن انتقلت دون سعي حثيث مني بل بمـشيئة السميع العليم إلى فئة السكان المنتفعين بمصر حتى جاهد كـل الـسكان الأصـليين الـذين كنت منهم في قطع صلاتهم بي وحرمانـي ممـا يعتبرونه تلصصا على واقعهم الإفتراضي الذي رضـي عنهم ورضوا عنه، وذلك لأني في رأيهم لم أعد أهلا لأن أكـون مـنهم. تـريد توضيحا أكثر، وماله، بالتأكيد سمعت ذلك التعبير الذي لايقوله إلا السكان الأصليين لمصر عندما يقولون عن شـخص أنه "عدى"؟ ألم تسأل نفسك مامعنى "عدّى"؟، إنه ببساطة يعني أنه فارق حياته معهم إلى عالم آخر فأصبح مفارقا لهم حتى وإن بـدا مجاورا. لذلك وأرجو ألا يحبطك كلامي بينما نقول نحن معـشر الكتاب المستقلين بكل يقين أننا نعبر عن السكان الأصليين فـيما نكتـبه، يحتفظ غالبية هؤلاء السكان الأصليين برأي مغاير تمامـا، رأي يضعنا نحن ومن نعارضهم في سلة واحدة، فجميعنا

www.alkottob.com

"ولاد كلب – يعني اعتبرها ولاد كلب فأنت تعرف حقيقة مايقال – .. كلهم بيضحكوا على بعض.. يقدر حد فيهم يعيش يوم زي مااحنا عايشين". والحقيقة أنني أعذرهم كثيرا عندما يقولون ذلك، فبرغم أنني عشت أياما طويلة "زي ماهم عايشين"، لكنني الآن لااستطيع أن أعيش يوما ما زي ماهم عايشين، وبالمناسبة ولاأنت أيا تستطيع أيا كانت ظروفك المادية، كنت أغنى مني أو افقر، عارف ليه، لأنك خرجت فورا من عباءة السكان الأصليين لمصر عندما اهتممت بما يحدث في البلد الموازية التي يتقاسمونها معنا. بعض هؤلاء قاطعني إلى الأبد ويصب علي اللعنات بل وبعضهم أو بعضهن يرسلون إلي تحذيرات بألا آتي إلى المناطق التي جاورتهم وجاورتهن فيها، لكي لايطلع أشياء معينة من عائلتي، والسبب أنني خنت العشرة وجعلت منهم أضحوكة للخلق، هكذا يرون، والبعض الآخر اصبح يتحفظ على حكاية أي شيئ أمامي "علشان مايلاقيهاش في فيلم ولا جرنان"، وهكذا أصبح مقدورا علي أن أكتفي بالكتابة عن حصيلة سنوات طويلة من العيش إلى جوار السكان الأصليين في مصر، وهي حصيلة رويت منها النزر اليسير في هذا الكتاب، مستغربا كيف ضحك الناس على بعضها عندما نشرتها في الصحف السيارة، ففي رأيي أنها ليست حكايات مضحكة أبدا، حتى لو بدت كذلك، وماكتبتها إلا لأنني رأيت أنها يمكن أن تشكل مدخلا ما لفهم الناس الذين نعيش معهم في هذه البلد ونسأل بكل براءة – لن أقول كلمة قبيحة أخرى مع أنها أدق في الوصف – لماذا لايتحركون ولماذا لن يثوروا أبدا

على ظلامهم وسارقيهم وناهبي أقواتهم. على أي حال وبعيدا عن الغرق في أسئلة لايعلم إلا الله وحده إجاباتها، دعني أقول لك أنني في هذا الكتاب سأحكي لك عن أناس كثيرين من السكان الأصليين لمصر ليسوا ملائكة ولاشياطين ويمكن أن تظن أحيانا أنهم ليسوا بشرا، هم يقولون ذلك طول الوقت، "إحنا عمرنا ماهنبقى بني آدمين"، يقولون ذلك بشكل محايد يوحي لك أن حكاية أن تكون بني آدم هي مسألة تجيئ بظروفها، يعني ممكن أن تأتي ويمكن ألا تأتي، إنت ونصيبك. هؤلاء البشر بالتأكيد أنت تعرفهم، وفي الأغلب كنت منهم قبل أن تقرر أن تشغل بالك بمستقبل ومصير هذه البلد التي تعيش عليها وتهتم بمعرفة أي شيئ عنها حتى ولو كان من باب العلم بالشيئ، وإذا لم تكن كذلك فستفعل مايفعله عادة أبناء طبقة السكان المنتفعين وستسأل في تأفف عن الحكمة من الإساءة إلى سمعة مصر وتشويه صورة الشعب المصري ومالذي ذلك من الكلام الذي لايجيب همه، والذي يمكن أن أنصحك بالإستعاضة عنه بعدم قراءة هذه الحكايات أساسا.

أما إذا كنت ساكنا أصليا سابقا أو ساكنا أصليا منتسبا فأنا على يقين أنك ستستمتع جدا بما سأحكيه عن السكان الأصليين لمصر وستدرك كم أحبهم وكم أتعاطف معهم بل وأحن إليهم وإلى أيامهم الحقيقية، وستتفهم كل شيئ يخصهم بدءا من قرارهم الإختياري بالإنقراض من الواقع الواقعي والإكتفاء بالواقع الإفتراضي ووصولا إلى شتائمهم ولعناتهم التي تنصب طيلة اليوم

www.alkottob.com

علـــى مصر، أو تلك الدعوات التي تسمعها أينما ذهبت "بلد بنت.. يارب تولع بجاز.. يارب تتحرق من ساسها لراسها"، ومن فضلك لاتقل لي أنها دعوات تدخل في نطاق "أدعي على ابني وأكره اللي يقـــول آمين"، بالمناسبة سأعذرك إن فعلت فأنت عندها فعلا لست مـــن السكان الأصليين لمصر، فهؤلاء دائما لديهم اعتقاد راسخ أن دعـــاءهم علـــى الـــبلد الموازية التي هي مصر وهو دعاء حقيقي ومحروق وممزوج بالوجع سيستجاب يوما ما وعندما تحترق البلد لـــن يـــنالهم من العذاب جانب، ليه.. "عشان احنا غلابة وعمرنا ماأذيـــنا حد"، جملة أقسم بالله أنني سمعتها من قتالين قتلا ونشالين نُـــشلا، وموظفـــين على المعاش، وموظفين على المعاش المبكر، وفلاحـــين بالأجـــرة، وفتيات ليل بالأجرة، وعمال فاعل، وعمال مفعـــول بهـــم، كلهـــم لـــديهم دائمـــا يقين راسخ أن العذاب الذي يستعجلون نزوله من السماء على سكان البلد الموازية التي إسمها مـــصر هـــو عـــذاب ســـيحيق فقـــط بأهلهـــا التـــي هي "بلدهم ويعملـــوا فيها ما بدالهم" ولن يحيق بهم أبدا لأنهم غلابة و"عمرهم مـــاأذوش حـــد .. ومابـــيعملوش حاجة غلط"، كلهم يوقنون بذلك يقيـــنا لاشـــك فـــيه، بـــدءا مـــن عامل المستشفى الحكومية الذي يـــسرق أدويـــة المستـــشفى على أساس أن " قرايبي الغلابة أولى بيها من ولاد الكلب اللي معاهم فلوس"، وصولا إلى فتاة الليل التي تقـــولها بمـــلء صـــدرها أنها مابتعملش حاجة غلط لأنها عارفة ربـــنا كـــويس، " أصـــله مـــش هيـــسيب الحرامية الكبار ويهيجي على الغلابة".

لـــن أطـــيل عليك أكثر من ذلك. مع أنه كان نفسي والله. هذا كتابـــي وتلـــك حكاياته بين يديك. لم أكتبها لكي تضحك. لكن لو ضـــحكت كما ضحك إخوة لك من قبل فلاتدع لي، إدعي لمصر.. فهي أحوج مني إلى دعواتك.

www.alkottob.com

من غير ماتحس بيه!

www.alkottob.com

"معلهـش ياباشـا فـي الكلمـة.. سيادتك بتقابل جمال باشا مبارك؟".

لـولا معرفتـي بـصدق نوايا عم جعبل بائع الجرائد لظننته يـشتغلني علـى الصبح، قلت له "آخر مرة شفت إبنه شادي بس ماكانش معاه باباه".

قطّـب عم جعبل وجهه غاضبا مني، ثم قال لي "باتكلم بجد والله ياباشا.. أصل بيقولوا إنك بتكتب عنه في الجرنان.. قلت لما أشوف جايز يكون بيتسل بيك"، قلت له " هو أكيد بيكلمني بس أنا مش مسجل نمرته.. بس قول إنت عايز إيه وأنا أشوف له سكة". قـال لي " لا أنا مش عايز مصلحة لذات نفسي يعني لاسمح الله، أنـا بـس اتخضيت لما سمعت الحوار بتاعه مع الأستاذة المذيعة الـسفيهة نميس الحتيتي ولقيته بيقول لها إن الإصلاح الإكتصادي الحمـد لله إبتدا بس المواطن العادي مش قادر يحس بيه"، قلت له "وإيـه اللي يخض في حقيقة زي دي ياعم جعبل.. المفروض إنك تفرح إن الإصلاح ابتدا من غير ماتحس بيه"، نظر عم جعبل إليّ كاظما غيظه وقال لي " ماهي المشكلة إننا حاسين بالإصلاح قوي لغايـة ماجبـنا خـل وجاز ودم كمان وهم لسه فاكرين إننا مش

www.alkottob.com

حاسين بيه"، على حين غرة أخرج عم جعبل من جيبه علبة ورقية لمـــرهم شهير وهو ينظر حوله محرجا حذرا، ثم قال لي بصوت هامس " باباشا انا حصل لي إلتهابات من كتر الإصلاح.. وماشي على المرهم ده بقى لي سنتين وباغيره كل خطة خمسية"، قلت له ملتـــزما بشروط الموضوعية " أكيد بشرتك حساسة وده مش ذنب الأستاذ جمال خالص".

دس عـــم جعبل المرهم في جيبه مسرعا منعا للفضيحة وأخذ يحدثنـــي بحرارة وهو يكاد يمنع نفسه من البكاء " أنا مش باكذب الباشا الصغير جمال بيه والله بس الظاهر إن في سوء تفاهم مخليه يفتكـــر إننا مش حاسين بالإصلاح.. تلاقي حد من الحرامية الكبار بـــتوع مجلـــس الـــشعب قـــال لـــه إن الشعب يعني مش حاسس بالإصـــلاح فقـــرر يقرص علينا في الإصلاح زيادة.. وأملنا فيك كبير إنك تبلغه إننا حاسين بيه.. وياريت يخفوا علينا شوية.. يعني يعتبروا الفترة دي فترة راحة من الإصلاح أصلح لينا وليهم"، قلت له متبينا لكي نقف على أرضية دلالية واحدة "قصدك يعني يتوقفوا فتـــرة من أجل تقييم آثار عملية الإصلاح الإقتصادي على مختلف الطـــبقات"، بدا جليا أنه لم يفهمني فقال لي بعد تردد "مش هنختلف يعنـــي يابـــيه المهم يعرفوا إننا حاسين قوي وتعبنا والنعمة خاسة يعنـــي والباشـــا الكبير أبو علاء ربنا يديه الصحة قال من بيجي عـــشرين تلاتين سنة إن سياسة الدولة هي إنها ماتخليش المواطن يحـــس بآثار الإصلاح الإكتصادي علشان مايحصلناش زي الدول اللـــي حـــست بـــيه وباظت على الآخر.. اللي هم الجماعة بتوع

الإتحـــاد السوفيتي.. وبصراحة ربنا إحنا ماحسيناش بيه في الأول بـــس يعني الموضوع ده ماقعدش كتير.. هو يادوبك كام سنة بس بعـــد كده إبتدينا نحس بيه قوي.. وياما حاولنا نقول الموضوع ده لـــناس ليهم علاكات زي حضرتك.. بس ماحدش حس بينا.. بس ربـــك والحق خدنا على الإصلاح بعد كده وهديت المسائل.. بس لمـــا جـــه الباشا الصغير والباشوات الصغيرين اللي معاه وعملوا إصـــلاح جوه الإصلاح رجعنا نحس قوي بيه.. لدرجة إني فكرت أقـــف فـــي الـــشارع وأستنى أي موكب يعدي لحد من الباشاوات وأصـــرخ خـــلاص كفايـــة والنعمة إحنا حاسين بيه بس خفت حد يفهمنـــي غلـــط.. عشان كده أنا باحملك الأمانة دي والنبي.. إحنا مالـــناش طلـــبات كتيـــر والله.. ولا عـــندنا أمل في أي حاجة.. وخـــلاص رمينا طوبة كل حاجة.. بس خلاص اللي جاي مش قد اللي راح.. ونفسنا يحسوا إننا حاسين بيه.. عشان عيب واحد زي حالاتـــي يتبهدل في سن زي دي عشان الناس الكبار فاكرينه مش حاســـس بيه". فجأة انخرط عم جعبل في البكاء فجرى إبنه بيومي الواقف على طرف فرشة الجرائد ليحتضنه ناظرا لي نظرة إتهام، قلـــت لـــه دفعا لأذاه "معلهش يابيومي والله ماكنتش أعرف إن عم جعـــبل حاسس بيه"، قال لي وهو يتابع والده الذي ابتعد عنا قليلا مختليا بحزنه "قصدك إيه باباشا.. إنت هتلبخ"، قلت له" أنا قصدي الإصـــلاح يابيومـــي.. أصـــل والدك محملني رسالة لجمال باشا مبارك.. وأنا قبلت الأمانة.. بس باترى إنت حاسس بيه يابيومي.. حاســـس بالإصلاح الإقتصادي"، قال لي "أنا حاسس إنك هتخليني

www.alkottob.com

أتغابى عليك ياباشا"، أعجبتني تركيبة الجملة فقلت له "يابيومي أنا عايز أطمنك إن جمال مبارك هيتفهم الرسالة بتاعة والدك جدا لأنه كما اتضح شاب عادي ولو كنت شفت الحوار"، قال لي ببلاهة مدمن بانجو ردئ التجميع "حمار مين"، قلت له " إصحى معايا يابيومي أنا مش باتكلم عن برنامج حالة حمار.. أنا باتكلم عن حوار جمال مبارك اللي قال فيه إنه شاب عادي لأنه كان جو تو سكول باي باص إيرلي إن ذا مورنينج وكان بيروح التدريب عادي في النادي.. يعني زيه زيك.. أكيد إنت كمان كنت في سنه بتروح التدريب".

ظهرت نظرات الغدر في عيني بيومي وهي نظرات عرفتها ذات يوم عندما رفض زبون أن يأخذ منه علبة كبريت بدل الربع جنيه الباقي له أيام كانت الجرائد بخمسة وسبعين قرشا، ولم يكتف الزبون يومها بالرفض المهذب بل تطاول على مقام بيومي واتهمه في ساعة نحس بأنه حرامي، يومها أصر بيومي على أن يشعل كل علبة الكبريت في مناخير الزبون عودا تلو الآخر ولولا وساطة أولاد الحرام لكان أشعلها في أماكن أخرى أكثر تأثرا بالنار، الواقعة جعلتني أبتسم له بمودة محاولا إمتصاص غضبه قائلا "ياخسارة يابيومي أنا نسيت إنك كنت ولازلت بتروح التضريب مش التدريب.. عموما إطمن جمال مبارك حاسس بمشاكلك إنت وأبوك لأنه زي ماقال لف كتير جدا.. وأكيد المعاناة الإنسانية اللي شافها وهو رايح النادي عشان يلحق التدريب وتجاربه المريرة في ركوب الباص وحجز كرسي جنب الشباك

واللعب في الباك يارد بتاعة الإسكول.. كل هذه التجارب الإنسانية العميقة ستجعله يشعر بمعاناتك أنت ووالدك وجميع الحاسين بيه من أبناء الشعب المصري وبالتالي سيضعوا معاناة إحساسكم بيه في المراحل التالية من عملية الإصلاح الإقتصادي في ثوبها الجديد".

أصدر بيومي صوتا منكرا لايليق بشخص حاسس بيه ثم دفعني في كتفي قائلا "ياله ياعم ربنا يسهل لك.. امشي من هنا ماتاكلش دماغنا"، نهره أبوه الذي كان قد اختفى للحظات في بير سلم العمارة المجاورة ثم أطل وهو يعدل جلابيته أثناء مشيه داسا علبة المرهم في جيبه "عيب يابيومي ياأهبل.. ده عمك وأنا موصيه على مصلحة عند الباشا الصغير.. والنبي ماتنسى ياباشا"، قلت له "حاضر ياعم جعبل ولو إن إبنك باين عليه لسه ماحسش بالإصلاح"، قال لي ملاطفا "ماتستعجلش عليه ياباشا.. شاب ومستعفي روحه.. بكره يحس بيه وعينه تتكسر"، هززت رأسي متأملا حكمة الأب وأنا أبتعد عن فرشة الجرائد ناظرا إلى عناوين الصحف القومية التي تتلو على الناس ماتيسر من تصريحات النجل السابق سنه، استوقفني صوت عم جعبل وهو يناديني "والنبي ياباشا قوله لما يطلع تاني في أي حوار يدينا كم بوسة وهو بيتكلم عن الإصلاح.. عشان مافيش إصلاح من غير بوس".

www.alkottob.com

أم هند لا تريد حبا ولا حنانا..

تريد معاشا!

www.alkottob.com

أنا رجل يحب أن يدلع نفسه. ولذلك صحوت من النجمة يوم الأربعاء الماضي لكي أستمتع بحضور المسرحية السياسية الهزلية التي يقدمها مسرح الدولة كل عام بمناسبة عيد العمال، تلك المسرحية التي تثبت كذب الإتهامات الموجهة للمسرح الخاص بأنه يحتكر الهزل والضحك "السريخ"، كنت ستكتشف ذلك بنفسك لو أتيحت لك مثلي مشاهدة عرض هذا العام الذى يسبق مسرحية الانتخابات الرئاسية بعدة أشهر والذي أثبت رئيس إتحاد العمال السيد راشد بإخراجه له أنه أجدع ألف مرة من المخرج المخضرم السيد راضي، بينما تفوق منتج العرض وزير القوى العاملة أحمد العماوي على كل ماقدمه المنتج المسرحي أحمد الإبياري في تاريخه الطويل، أما فاكهة العرض فقد كان الراجل "العرض" المذيع الذي قدم للسهرة الصباحية والذي كان رئيس البلاد مبسوطا من أدائه خالص فقال له عند صعوده إلى المسرح كلمات هامسة جعلت المذيع يكاد يتدحرج من الفرحة على "الإستيدج"، لم نعلم ماالذي قاله الرئيس لمذيعه المحبب بالضبط لكن تشغيل الخيال قليلا يجعلنا نستنتج أن الرئيس الذي يحب دائما تشجيع أولاده الرواد أبناء الإعلام المصري الرائد، بالتأكيد قال سيادته للمذيع

www.alkottob.com

"انـا باشـوفك كـل يوم في نشرة ستة ونشرة تسعة.. خليك زي ماإنت.. إوعى أداءك يتغير".

برغم أن الأمر ليس سهلا على الإطلاق لكنني سأحاول والله المـستعان أن أضـعك في جو ماحدث في تلك السهرة الصباحية البهيجة التي بدأت عندما بدا رئيس إتحاد العمال السيد راشد يتثنى ملقـيا كلمـة العرض الإفتتاحية أمام الرئيس، وهي كلمة يصعب تلخيـصها مـثلما يصعب الإستماع إليها، طيلة الكلمة كان السؤال الـذي يـشغلني "هـو الراجل ده عامل إيه بالضبط"، ستجيبني " ياراجـل ماهو قدامك أهوه عامل صينية قرع بالكسكسي ماتلقاش زيها في ألبان المالكي"، تسرعت وفهمت قصدي خطئا، أنا أقصد بـسؤالي متي كان هذا الرجل عاملا، ستقول لي "ماهو كان واقف قـدام مـصر كلها بيعمل "عَمْله" تقيله أهوه"، للأسف برضه إنت تحـسبني هازلا، بينما أنا اسأل بجدية نوبة قلبية، " الراجل ده كان عامـل فـي إيـه بالضبط، يعني مثلا خراط.. فني لحام.. عامل نـضافة، ماهي المهنة الشريفة التي بدأ حياته بها لينتهي به الحال هكـذا"، أسـئلة لم أجد إجابة شافية لدى كل من أعرفهم فاكتفيت بتسكينه مهنيا بوصفه "عامل دماغ نفاق جامدة" لدرجة أنه لم يأخذ باله وهو يلقي كلمته التاريخية فقام بفضح المهزلة المتفق عليها مع المخبـرين التلقائيـين المزروعين في قلب القاعة والذين يقوم كل مـنهم بتلقائية كل خمس دقائق ليخرج ورقة تلقائية من جيبه ويقرأ كلمـة تلقائية تمدح الرئيس وتقول له تلقائيا "حلفتك تقعد إلا إلا .. والنبي ماتمشي إلا إلا". السيد راشد اتخنق من مقاطعة التلقائيين له

فقـال لهم "يابني الوقت محسوب عليا .. لما الريس يتكلم قولوا له اللـي انـتو عايـزينه"، وطبعا التلقائيون توقفوا بشكل تلقائي عن الكلمـات التلقائية التي لم يكن لها علاقة بالتلقائية سوى أنها تلقيك على قفاك من فرط هزلها ونفاقها.

بالمناسـبة يـومها كاد صديقنا الأستاذ عبد اللطيف المناوي رئيس قطاع الأخبار بالتلفزيون المصري يميتني من الضحك وهو يجلـس داخـل الأسـتديو التحليلي المنعقد في قلب مبنى ماسبيرو لمناقـشة مباراة النفاق المبثوثة على الهواء مباشرة، ليسأل زميله المذيع في قلب قاعة المؤتمرات بجدية لاتليق بهزل الموقف "محمد هـل لك أن تصف لنا الهتافات والكلمات التي ألقيت في القاعة.. هل كانت هذه الكلمات مدبرة أم كانت تلقائية"، أي والله، هكذا جاء سـؤاله بالـنص، لحظتها صعب عليا ياعيني الواد المذيع محمد، وشـعرت به في داخله يقول لنفسه "ليه بس كده ياعبدو.. إحنا فينا مـن كـده.. ليه الفخاخ اللي على الهوا دي"، دعاء الوالدين وحده جعلـه يرتجل لهذا السؤال الفخ إجابة لم أجد لها مثيلا في الذكاء " عبد اللطيف .. برغم أن البعض سيقول أن هذه الكلمات مدبرة إلا أنني أستطيع أن أؤكد لك أنني وأنا في قلب القاعة أنها تلقائية جدا لدرجـة أنـني قرأت يافطة في قلب القاعة تقول من يقود السفينة سواك يامبارك، وهذه عبارة لايمكن أن تصدر بشكل تلقائي".

ليسمح لي عبد اللطيف وليسمح لي محمد بكل المودة أن أقسم لهما كمشاهد قديم متعود على النفاق من خشونة أظافره بأن عيني اكـتحلت منذ القدم برؤية تلك اليافطة التلقائية، ربما بالتحديد وأنا

www.alkottob.com

طالـــع رابعة ابتدائي ذات عيد عمال مجيد حضره الرئيس مبارك "ماغيره" على رأى إخواننا الشوام، ومستعد أن أثبت صحة ماأقوله لـــو أتـــيح لي أن أذهب أنا ومحمد وعبد اللطيف بشكل تلقائي إلى القاعة التلقائية لنمسك باليافطة التلقائية ونقلبها تلقائيا لنجد لامحالة علـــى ضـــهرها رقـــم تخزينها التلقائي في مخازن إتحاد العمال التلقائيـــين، أما إذا لم يسمح لنا بذلك كما هو أغلب الظن فالمنطق يقـــول لـــنا لو شغلناه أن يافطة مثل هذه مستحيل أن يكون ماكتب علـــيها صـــدر بشكل تلقائي من مواطن صالح يعيش معنا في هذا الـــبلد بتلقائـــية لأنه لو كان كذلك لكتب على اليافطة عبارة تلقائية وحيدة هي "من سواك سيغرق السفينة".

لايتمتع عبد اللطيف المناوي بشكوك مرضية مثلي، ربما لأن نيـــته صـــافية وليـــست مثل نيتي، مناوي بقى، أوربما لأنه عاش بـــشكل تلقائـــي بعيدا عن مصر لسنوات طويلة، ولذلك فقد صدق علـــى الفور زميله محمد وأخذ من تلقاء نفسه يتحاور مع ضيوفه الكـــرام بـــشكل تلقائـــي عن تحليل مضمون تلك اليافطة التلقائية وســـائر الهـــتافات التلقائية التي ألقيت يومها، لم أكن محتاجا لنيل ماأوتـــوا جمـــيعا من علم لكي أعتقد جازما أن الرئيس مبارك "من خلال قراءتي لتعبيرات وجهه الكريم كان يستمع إلى تلك الهتافات بابتـــسامة ذات مغـــزى تجعلـــه أول مـــن يمتلك يقينا أن كل تلك الهتافات لاتلقائية ولادياولو، بدليل إن كل شخص تلقائي تكلم كان يطلع فجأة من ركن من أركان القاعة مجهز بالصدفة بميكروفون، هـــنا دعنـــي أسألك لماذا كانت الميكروفونات موجودة في أماكن

وقـــوف الهتيفة بالضبط، أرجوك لاتقل لي أن الميكروفونات هي كمان من فرحتها بالريس جاءت بشكل تلقائي لكي تبايعه وتتحايل عليه أن يقعد ويانا فترة رئاسية جديدة "عشان إحنا طلعنا من عنق الـــزجاجة بـــس للأسف رجعنا في بطنها تاني ولازم يفضل كمان ست سنين عشان يطلعنا عنق الزجاجة تاني".

كـــل هذا التشكيك الذي أنفثه في عُقدك لن ينجح أبدا في إلغاء حقـــيقة أن الـــسيد راشد يومها كان فرحا للغاية بنفسه وهو يعلن لسيادة الرئيس رغبة الشعب كله "نافار نافار" في بقائه علينا اقصد معـــنا لفتـــرة رئاسية جديدة، وهي الرغبة التي مإن أعلنها السيد راشد حتى وقف كل من في القاعة تلقائيا على حيلهم برغم معاناة اغلبهم من مشاكل الغضروف واللومبارجو، لكن كله يهون علشان أحلى عيون، عيون الوطن طبعا، والرئيس بدوره كان متأثرا بشدة بكـــل هـــذا الحـــب والحـــنان لأنه لم يكن يتوقع أن يكون بداخل الحاضرين كل هذه الكميات من التلقائية فأخذ يومئ إليهم بإشارات ثقـــة تـــرجمتها بلغـــة الإشارة "ماتخافوش ماشي حاضر خلاص هاشوف الموضوع ده فورا".

كـــان الموقف كله جللا. لدرجة أن المشاعر الأسرية الحميمة المتـــصاعدة منه ذكرتني بأبي عندما كان ذاهبا إلى المستشفى لكي يعمـــل عملـــية الفتاق وتركنا في البيت زغب الحواصل لاماء ولا شجر، وكلنا كنا نبتهل إلى الله أن يعيده إلينا بالسلامة لأننا لم ندفع مصاريف المدرسة بعد. كدت أبكي بفعل تصاعد مشاعر "الشكن" المنبعـــثة مـــن المشهد، لولا أن قطع حبل مشاعري عامل تلقائي

www.alkottob.com

وقـف على حين غرة مخرجا ورقة تلقائية ليصرخ وهو يقرأ منها "مش كفاية مش كفاية .. معاك ياريس للنهاية"، طالبا بإشارة من يده من كل التلقائيين المجاورين أن يهتفوا معه، دعاهم للهتاف فلبوا، بينما اكفهرت وجوه جميع المسئولين، الذين أزعم أن هناك بينهم من سأل فورا مرؤوسيه عن "الحيوان اللي كتب الهتاف ده وأدخل إسم حركة كفاية إلى محفل بهيج كهذا لكي يلوث نقاءه ويفسد صفاءه"، خرجت من شجني وفرحت لحركة كفاية التي لم تكن تتصور أن يكون لديها هذا التأثير الذي يجعلها تنط كعفريت العلبة في قلب قعدة حظ وفرفشة زي دي.

أخذت أتأمل ذلك العامل وهو يحزق بهتافه ظنا منه أنه سينال بفضل حزقه علاوة لعله سيعالج بها أحد أقاربه من ضحايا الأمراض المتوطنة المباركة، أو ربما سيخصص مبلغ العلاوة كاملا لإعطاء إبنته شيماء درسا في الكيمياء "عشان ماتسقطش في الأحياء"، أو ربما كان يخطط لنيل أسبوع زيادة في مصيف الشركة بجمصة، تعاطفي الحار معه جعلني على استعداد لأن أتفق معه على إنه مش كفاية، لكني كنت أريد أن اسأله سؤالا واحدا "بذمتك ياراجل هو في نهاية أكتر من كده".

سكت العامل أو أسكتوه، وذهب السيد راشد وطلع السيد العماوي، وعصفور النفاق صوصو صوصو. من جهته أحب السيد العماوي أن تكون له نكهه خاصة فرفض أن يتحدث بالعامية مع أنه عماوي، وطفق يتحدث بلسان عربي يليق ببرنامج "كتاب عربي علم العالم"، مما جعلني أفقد المود الهزلي الذي كان السيد

راشد قد حطني فيه، أحسست إن جسمي بدأ يقشعر إبان حديث العماوي عن أن القيادة السياسية لديها بوصلة خاصة لاتملكها أغلب قيادات العالم، أنا والله ماكنت أعرف، فالبوصلة الوحيدة التي شفتها في حياتي جابها لنا جوز خالتي في سجادة صلاة استقدمها ذات عمرة من السعودية، لم تكن يومها لدي معلومات مؤكدة ماإذا كان لدى جاك شيراك أو مهاتير محمد أو أردوغان أو لولا دي سيلفا أوغيرهم من زعماء العالم "بواصل" هم راخرين، أم أنهم يقودون بلادهم بمعرفة اتجاهات الشمس.

لم أكد أفيق من صدمة البوصلة حتى فاجأني السيد العماوي بمعلومة خطيرة وهي حسب نص كلامه "أن الرئيس مبارك زرع في قلب كل مواطن مزرعة ثقة في الرئيس مبارك"، الحق أنني اتخضيت وقلت لنفسي " هو ده بقى سر النهجان اللي باحس بيه بقى لي فترة، أتاري جوايا مزرعة ثقة في الريس وأنا عمري ماباسقيها، أكيد الزرع مات وأدى الى ماأحس بيه من نهجان وكرشة نفس"، أخذت على الفور أفتش في صدري عن أي آثار لمزرعة الثقة لكي أزيلها على الفور وأشتري راحة صدري، لكنني توقفت عن ذلك بعد أن شعرت بنظرات حارقة صوبتها نحوي من المطبخ أم هند شغالة منزلنا العامر التي منعها عملها لدي من حضور إحتفالات الدولة بعيد العمال مفضلة أن تأتي يومها لممارسة عملها في بيتنا السعيد، توقفت عن العبث بصدري على الفور بعد نظرات أم هند الساخطة خوفا من أن تفهمني خطئا فتقول لزوجتي أنني كنت أتحسس صدري أمامها بشكل مثير

www.alkottob.com

للريبة، وبالتأكيد لن تصدق زوجتي أبدا أنني كنت أتحسس صدري للبحث عن مزرعة الثقة، خاصة أن زوجتي ليس لديها مزرعة ثقة في أنا أساسا، توقفت عن البحث اليدوي مستبدلا إياه ببحث ذهني عن تاريخ اليوم الذي تم افتتاح هذه المزرعة بداخلي وكيف لم أشعر بها، وإذا كان بداخلي مزرعة ثقة فلماذا أشعر بكل هذا اليأس في إصلاح أحوال الوطن، هل أكل الجراد مزرعة ثقتي عندما جاء الى مصر، أم قتلتها مبيدات يوسف والي المحظورة والتي أتناولها ضمن الخضار الذي آكله، أم أن هذه الثقة التي بداخلي ثقة عمياء مادام السيد العماوي هو الذي أعلن عن وجودها وهو على عماه.

لم أكن قد انتهيت من تفقدي الذهني لمزرعة ثقتي حتى كان العماوي قد انتهى من كلمته، ليقف مكانه المذيع القمور قائلا لنا أن الرئيس مبارك جعل كل مواطن يعيش في داخله بهجة التعمير، استغربت كيف سمحت له الرقابة بهذا التعبير الذي يلقي ظلالا "بنية" خبيثة في بلاد لم يجبها إلى الوراء سوى إنتشار بهجة التعمير بها أكثر من اللازم. حوقلت خارجا من أفكاري الخبيثة عندما أعلن المذيع بصوت مهيب أن "موعدنا الآن مع خير المقال"، استغربت ان الرئيس لن يلقي كلمته زهدا منه في الكلام، وأنهم سيختمون الحفل فجأة بآيات من الذكر الحكيم، أملت ألا يختاروا منها على طريقة سمير رجب الشهيرة الآية الكريمة "والله يعصمك من الناس"، لكنني فجأة وجدت المذيع يعلن عن كلمة السيد رئيس الجمهورية، فاستغفرت الله لي لأنني ظننت كغيري أن

خير المقال هو كلام الله عزوجل. بدأ الرئيس كلمته التاريخية بصعوبة غير متوقعة فقد انقض التلقائيون عليه بهتافاتهم تلقائيا تلو الآخر لدرجة أن علامات الغضب ظهرت عليه، حتى خشيت أن يقول لهم"والله لو ماسكتو لاكون مش مرشح نفسي خالص"، وطبعا لأنهم تلقائيون لم يلتقطوا غضب الرئيس أبدا بل رفضوا أن يستجيبوا له وأصروا على مقاطعته بهتافاتهم المحبة طيلة حديثه، حاولت أن أمارس عادتي المرذولة كمواطن غير صالح فأقوم بالتعليق بيني وبين نفسي على خطاب الرئيس لكن اكتشافي المباغت العماوي الذي غيرني للتو وهو أن بداخلي مزرعة ثقة في سيادته منعني لأول مرة من تلك العادة اللعينة.

أخذت استمع إليه بزرعي وثقتي، إلى أن وصل سيادته الى فقرة في خطابه أخذ يتكلم فيها عن خطته لتأمين المعاشات لكل مستحق من أبناء الوطن، وهنا وإذ فجأتن اندفعت الشغالة (بلاش، خليها مديرة المنزل كما تحب أن ندعوها) أم هند من المطبخ صارخة لتتجه إلى التلفزيون وتأخذ في الصراخ في وجه سيادته الذي يملأ جنبات التلزيون قائلة له بحرقة لم أعهد لها مثيلا "حرام عليكو.. بقى لي سنتين باجري ورا معاش مبارك اللي بيقولوا عليه .. مش عارفه أجيبه .. كل ماأروح يقولوا لنا ماجاش..وهم ستين جنيه مش عارفه هنعمل بيهم إيه أساسا..".

أنتم لاتعرفون أم هند وأنا لست ساذجا لكي أقول لكم من هي أم هند، ولا إلى أي أب تنتسب إبنتها هند، لكي لايأتي التلقائيون بهند من قفاها فيقوموا بتركيب مزرعتي ثقة لها ولأمها وربما لأم

www.alkottob.com

اللـي جابـت أمهـا، للعلم والتوثيق فقط أو بصراحة لكي يخرس المتـشككون الذين يظنون أن أم هند اشتغالة من اشتغالاتي لمجرد أنهـم تعـودوا على أن الإسم الحركي للشغالة ينبغي أن يكون أم محمـد أو أم عـبده، على هؤلاء أن يعلموا أن أم هند ابنها الكبير اسـمه محمـد لكنها قررت أن تكون أم هند ليس لأنها "بتعز هند قوي عشان هند نسخة تيبيكال منها"، بل لأن هند هي الوحيدة "اللي بترضـى من بين إخواتها تقف مكاني" عند حدوث أي عطل فني في أم هند.

عملت أم هند شغالة لدينا أو مديرة لمنزلنا لكي لاتغضب منذ عامـين ونيف، بدأ عملها في البيوت بعد رحيل زوجها قبل ثلاثة أعـوام ونـيف، لكـي تـصرف على أربعة أولاد وثلاث بنات وأزواجهـن العاطلين عن العمل، كانت تفعل ذلك بكفاءة منقطعة النظيـر من وجهة نظرها مع إنها كلها على بعضها مجرد ثلاثين كـيلو، وحاجـة واربعـين سانتي، وحولاء كمان، لدرجة إنه من ظواهـر بيتـنا الـسعيد إنهـا كلما جاءت لتضع الحلل على نار البوتاجاز أوقعت الحلل في الأرض بسبب عدم ضبط المسافة بين عينها وعين البوتاجاز، وطبعا لإنها قصيرة فهي مابتطولش تمسح القـزاز ولاتـنفض الدواليب ولا تزعف الحيطة ولابتطول حبال الغـسيل فهـي تأخـذ نـص أجر لأننا نقوم عنها بكل هذه المهام الجسيمة.

لغايـة إقتحامها المباغت لخطاب السيد الرئيس لم تكن أم هند قـد تـبادلت معي خلال عملها لدينا كلمتين على بعض لأنها تعلم

أنـنـي "باشـتغل في السينما"، ولذلك فقد سألت عني كثيرا قبل أن تعمـل لأن المعروف أن الذين يعملون في السينما فلاتيه وهلاسين ولـذلك فأم هند تخاف على نفسها من فتنتي برغم أن "عندها إتنين وسـتين سـنة"، لكن من قال أن العمر يهم كثيرا مع سيدة عفيفة "زوجهـا مـيت والـست ماحيلـتهاش غير سمعتها"، ولذلك فهي لاتحدثنـي إلا وهـي تنظـر فـي الأرض خوفا من سهم النظرة المـسموم "برضه هتاكل مكرونة اسباكته ياستاذ.. الغيارات فين إنشاء الله.. ياه لحقوا يتوسخوا زيي".

لـذلك ولذلك كله فقد كان حدثا حقيقيا بالنسبة لي أن اشهد بأم عيني مواجهة أم هند مع سيادة الرئيس في التلفزيون بشكل تلقائي وهـي تقـول له كأنه يراها فإن لم يكن يراها فإنها تراه " ده حتى جـه الـباحث الاجتماعي لقى عندنا تلفزيون وكاسيت قال لنا انتو مبـسوطين مـش محتاجين معاش.. قلت له ياعم الحاجات دي انا جايـبها والـراجل عايش .. ماصدقنيش.. رحت مرة عيطت لهم وقلـت لهـم الواحد لو قعد يشحت هياخد فلوس اكتر من المعاش بـتاعكو.. ده هديـر لـوحدها بتاخد دروس بمية جنية وفي باقي المـواد المدرسـين مابيرضوش ياخدوا فلوس عشان ابوها ميت". كانـت تلك مفاجأتي التالية،أم هند لديها هدير كمان، المرحوم على مايبدو كان صاحب مزاج في اختيار اسماء بناته، المفاجأة الأولى لـو كـنت نسيت هي أنني أمتلك مزرعة ثقة في صدري للرئيس دون أن يخبرني أحد ببدء تشغيلها.

أخـذ الرئيس يواصل حديثه عن إلتزام الدولة، دولته، بتقديم

www.alkottob.com

العـــون لمـــن لايستطيع تأمين عيشه، وحمايتها لغير القادرين من أبناء الوطن، دون أن تعطيه أم هند فرصة لإكمال حديثه، مواصلة هلفطتها بكلام يؤكد أنه ليس في قلبها ذرة من إيمان بسيادته فضلا عـــن وجـــود مـــزرعة ثقة فيه، كان جليا أن الدور لم يصبها في إفتـــتاح مزرعة الثقة، هزني حماسها الباكي المفاجئ فقلت لها " لا والنبـــي بـــلاش تعيطـــي ليه ياأم هند"، فقالت لي وهي تنظر في الأرض كعادتهـــا " وهـــو عاد في دموع ياأستاذ .. ده البصل إبن الوسخة".

استدارت أم هند مباشرة لتواصل مواجهتها مع الرئيس وهي تلـــوح له بسكينة صغيرة خرجت بها من المطبخ، حمدت الله لأن الـــبث لـــم يكـــن تفاعليا لكي لاألبس أنا وأم هند قضية أمن دولة لاتحقـــيق فيها ولامحاكمة، بل مشرحة على الفور، أخذت أم هند تقول ساخطة سخطا تلقائيا لم أر له مثيلا " معاش إيه بس.. ده أنا رحـــت بـــنك فيصل عشان آخد المعاش اللي بيدوه للفقرا قالت لي واحدة اقلعي الخاتم الدهب ده عشان هيقولوا عليكي مبسوطة قلت لهـــا ده قـــشرة بقـــى له خمس سنين وهو اللي فاضل من ريحة المـــرحوم .. قالـــت لـــي اقلعـــيه وبس .. لقيت طوابير وستات بتتـــضرب مـــن العساكر وزعيق وقلة أدب وتجرمة .. وياخدوا الورق من الناس ويرموه.. وكل ده عشان تلاتين جنيه آخدهم كل موســـم .. وانا وحظي .. لقيت نفسي هاموت تحت الرجلين قلت بـــلاش العـــيال عايزيني. لا وإيه وعايزينك لما تروح تقدم تبقى لابـــس مقطع وشبشب مقطع مش تروح نضيف، الحكومة عشان

تساعدك لازم تبقى معفن، رحت لبست لبس مقطع من ورا العيال ونـــزلت، قالوا لي الباحث لسه ماجاش، ليه هو مسافر يعني، طب لاهدوم عدلة نافع ولا هدوم مقطعة نافع".

تـــوقفت أم هـــند فجأة عن الكلام المباح بعد أن بدا أنها قالت كلمـــتها وصار واجبا أن تمشي كأي مواطن صالح، اتجهت نحو المطـــبخ وقـــد عادت إلى صمتها الأثير ثم قررت أن تقول كلمة أخيرة كانت واقفة في زورها، وتسألني سؤالا مباشرا لأول وربما آخـــر مرة، "إنما إنت بتتفرج على الكلام ده ليه ياأستاذ"، قلت لها "عـــشان عندي مزرعة"، قالت لي "مزرعة إيه"، قلت لها "مزرعة ثقـــة.. هو إنتي ماعندكيش مزرعة ثقة"، قالت لي وهي تدلف إلى المطبخ "لأ .. بس من اسبوع كنت تعبانة شوية رحت المعمن بتاع مصطفى محمود الله يبارك له، وعملت مزرعة بول".

ســـيادة الـــرئيس.. أم هند تنتظر منكم أحد أمرين.. "ياتدوها معاش ياتركبوا لها مزرعة ثقة".

www.alkottob.com

في وادي المصريين!

www.alkottob.com

صـــباح اليوم التالي لإعلان الرئيس مبارك للتغيير الوزاري المحـــدود الذي أطيح فيه بعدد قليل من الوزراء على رأسهم أقدم وأضـــخم وزراء مـــصر السيد كمال الشاذلي، سألني بتاع عربية الفـــول المتلقحة أسفل بيتي سؤالا أعتبره أهم وأجرأ وأذكى تعليق سياسي على التغيير الوزاري " لامؤاخذة ياباشمهندس.. هو يعني كمـــال الشاذلي اللي كان خارب البلد؟"، ردي هو الآخر جاء على نفس المستوى من الذكاء والجرأة والأهمية "كتر الطحينة ياريس".

بعـــدها بدقائق قال لي بياع الجرائد بألمعية ليست غريبة على مهنـــته " عارف يابيه ياريتهم كانوا جابوا مرتضى منصور رئيس حكـــومة علـــى الأقـــل كـــنا نتسلى حبتين" قلت له "أنا سامع إنهم هـــيعملوا لـــه هو وكمال الشاذلي برنامج توك شوك في التلفزيون عـــشان الشعب مايحسش بالغربة بعد رحيل كمال الشاذلي"، وبينما نحـــن نتهاذر ونتهازر دخل إلى نطاق فرشة الجرائد موظف قديم في وزارة الصحة القريبة منا ليقوم بعادته اليومية وهي أخذ جميع الـــصحف اليومية السيارة على إختلاف ميولها السياسية لتصوير أبواب الكلمات المتقاطعة والقيام بحلها أثناء ساعات العمل، ضايقه انشغال بياع الجرايد بالحديث معي فقال له "والنبي بسرعة عشان

www.alkottob.com

الإمضاء"، رد عليه البائع متهكما "ياعم مستعجل ليه ماشالوا الوزير خلاص"، قال له الموظف بقلق "والنبي بلاش هزار"، قال له البائع "زعلان ليه هو كان من بقية أهلك"، قال له الموظف "ياعم اتنيل هم دول بيشيلوا حد"، أشار له البائع إلى مانشيتات الصحف فجرى بعينيه باحثا عن إسم وزيره وهو يقلب رأسه حيرة، قال له البائع " ياله شد حيلك"، قال له "ياعم وأنا مالي هو يعني أنا كنت خدت منه حاجة عشان أزعل عليه.. بس ده مين ده الوزير اللي جابوه مكانه"، قلت له " ده دكتور إسمه حاتم الجبلي كان بيشتغل مدير دار الفؤاد كليفلاند كلينيك"، سرح الموظف قليلا ثم قال لي وهو يلوي شفتيه باشمئزاز "البلد خربت.. بقى يمسكوا وزارة الصحة لرئيس بنك"، هلكت من الضحك وسط دهشته هو وبائع الجرائد، سأل الموظف بائع الجرائد مشيرا إلي "وهو الأخ تبع أنهي وزارة"، قال له "ده مسكف تبع وزارة السكافة.. الوزير بتاعهم قاعد"، نظر الموظف لي نظرة غير بريئة فهمت مغزاها وابتعد وهو يبسمل ويحوقل، وبعد أن انصرف قال لي البائع "عارف ليه طلعوا الدكتور عوض تاج الدين من وزارة الصحة.. قلت له عشان البلد بقت بعافية قال لي لأ ماهي طول عمرها كده.. دول طلعوه من الوزارة عشان في المدة اللي قعد فيها في الوزارة طول حبتين وبقى أطول من نظيف وده مايصحش"، قلت له "بس غريبة مامشوش فاروق حسني عشان التلاتين واحد اللي اتحرقوا"، قال لي "ماهم شالوا المسئول عن الدكاترة اللي ماعرفوش يطفوهم.. مش المهم اللي حرق ياباشا المهم اللي ماعرفش

يداوي". أعجبني منطقه فسألته "طيب والنيشي وزير الزراعة ازاي يمشوه.. تفتكر عشان جاب سيرة الفساد بتاع يوسف والي ورجالته" قال لي "لأ يابيه.. طلعوه عشان الجراد فضحنا في الدنيا كلها عشان لما جه مصر مالقاش حاجة ياكلها"، سألته "طب تفتكر سابوا وزير الداخلية حبيب العادلي ليه"، لبس على الفور وجها خشبيا ناظرا إلي بحياد ولاكأننا كنا نتحدث على مدى نص ساعة قبل أن يشخط في وهو يمد المائة جنيه التي أعطيتها له منذ قليل "والنبي فك لي المية دي من البنزينة.. ياله عشان نشوف أكل عيشنا يابيه"، قدرت ظروفه وضحكت ثم عبرت الشارع إلى بنزينة التعاون، باركت لعامل البنزينة على بقاء وزير البترول في منصبه فقال لي "بس على الله نادي إنبي يعمل حاجة السنة دي في الدوري".

عندما عدت إلى بائع الجرائد وجدته يقول لأمين شرطة "والله ماحد عرف يمسك البلد ديه ويشكم أهلها زي الباشا العادلي"، أخذ فلوسه متحاشيا أن تقع عينه في عيني. وأنا قدرت ظروفه، وعدت إلى البيت، في الطريق مررت على المكوجي فوجدته منتشيا للغاية سألته "إيه ياسطى شكلك فرحان إن في رجال أعمال جداد دخلوا الوزارة"، قال لي " لا الحمد لله ربنا أظهر الحق طلع التايير بتاع مدام سناء واقع في البلكونة اللي تحت.. كانوا متهمينى فيه غلط.. ظهر الحق وزهك الباطل". وأنا أشتري الزبادي من محل ألبان عمر المجاور قال لي عامل المحل الحاصل على بكالوريوس تجارة "إيه كل الجرايد دي ياباشا.. إنت

www.alkottob.com

مابتـــزهقش"، قلـــت لـــه "لا ده أنا جايبهم بمناسبة تغيير الحكومة أصـــلهم خـــلاص هيوفـــروا ٤ ملايين ونص فرصة عمل وربنا هيـــتوب علـــيك مـــن الغلب اللي إنت فيه"، قال لي بعد أن أصدر صـــوتا غير قابل للكتابة ولو كان قابلا للكتابة لما كان قابلا للنشر ثـــم أردف قـــائلا " والنبـــي ياباشا شوف لنا كاتبين إيه عن ماتش أوغـــندا.. ده شكلنا هنتقطع في كأس الأمم.. عشان الكابتن حسن شـــحاتة يفرح بإعلانات البيبسي.. طب ماكانوا خلوا اللعيبة بتوعنا عملوا إعلانات لكوكا كولا أحسن على الأقل يبقوا زملا مع نانسي عجرم دي وشها حلو وإنت فاهمني بقى.. طلبك أهوه ياباشا". قلت لـــه وأنـــا أخرج من المحل مغيظا له بشعار حملة الألبان الشهير "ياحمـــد صدقني صحتك في الحكومة دي"، وهو لم يتقبل الدعابة وواصل إطلاق الأصوات المستعصية على الكتابة.

عـــندما وصـــلت أسفل البيت ابتدرني أسعد البواب – إسمه أســـعد مـــع أننـــي لم أر من هو أتعس منه – مطالبا بأجرة مسح الـــسلم، أعطيته عشرة جنيهات وانتظرت الباقي فقال لي "كل سنة وانـــت طيب.. حلاوة الحكومة الجديدة"، أتيت على ذكر أهله بما لايلـــيق ثـــم قلـــت لـــه "حد قالك إني اتعينت فيها وزير"، قال لي بابتـــسامة نظـــيفة "أيوه ياباشا بس يعني هتاكل على قفاها عيش.. ماإنـــتو يابـــتوع الكتوبة اللي بتستنفعوا من الحاجات دي"، أفحمني مـــنطقه فقلت له "طيب هات اتنين جنيه وهاديك باقي الحلاوة بعد حلف اليمين الوزاري".

بعـــدها بكام يوم وفور مجيئ أم هند "متيرة" المنزل لممارسة

عملهـــا في تخريب المنزل باركت لها بحرارة على رحيل وزيرة التأميـــنات التي داخت أم هند السبع دوخات فيها لكي تصرف من وزارتهـــا معـــاش الـــرئيس مبارك "اللي بيقولوا عليه"، قالت لي بذهول وقد صدمها الخبر الذي لم تكن قد سمعت به " يانهار اسود لايكونوا مشوا معاها الموظفين.. الورق معاهم؟"، قلت لها محترما ذكاءهـــا "ماتخافيش هم مشوا الوزيرة بس ولغوا الوزارة كمان.. فتحوها على وزارة التموين وسموها وزارة الضمان الإجتماعي"، أخذت تلطم وتبكي وتقول لي "ضاع المعاش ياولاد المفترية"، قلت لهـــا "ماتخافـــيش ورق المعاش اللي معاكي بإسم الريس والريس قاعـــد لـــسه ست سنين.. يعني حقك محفوظ"، حاولت أن تتماسك وتتمسك ببصيص الأمل الذي ألقيته إليها قبل أن تغرق في اليأس، واتجهت إلى المطبخ محاولة التماسك لكنها قبل أن تدخله استدارت وســـألتني سؤالا أخطر من سؤال بتاع الفول "ألا ياباشا هي وزارة الـــضمان الإجتماعي دي ضمانها كام سنة". قلت لها " ست سنين شـــاملة قطـــع الغـــيار والتوريث". ظنت أني أسخر منها وظهر الغـــضب على وجهها، حاولت ملاطفتها فقلت لها "كل سنة وإنتي طيـــبة ياأم هند.. النهارده عيد ميلاد الريس"، فخبطت جبينها بكفها بقوة وقالت "ياحول الله يارب.. نسيت أصوم".

www.alkottob.com

"العاسيفة" التي ستأخذهم!

www.alkottob.com

كلما حدث حدث جلل في مصر انتظر الكثيرون رأي الأستاذ محمد حسنين هيكل لكي يطل عليهم بتحليلاته الجامعة المانعة عبر شاشة قناة الجزيرة، عن نفسي أهتم كثيرا لأراء الأستاذ هيكل وأستضيئ بها لكنني أنتظر بشغف أكثر تحليلات أم هند شغالة منزلنا العامر أو مديرة منزلنا كما تحب أن تسمي نفسها بعد أن شاهدت تلك التسمية في مسلسل أصحاب المقام الرفيع الذي سامح الله كاتبته منى نور الدين لأنها عبثت بعقل أم هند فجعلتها تصر على أن تخاطبني بلقب إكسلانس.. حتى لو كان ذلك اللقب لايتسق مع جمل من نوعية " أنا دعكت الحمام خليته زي الفل يااكسلانس أو في غيارات وسخة للغسيل يااكسلانس". وبرغم إعتراضي مرارا وتكرارا على مااستحدثته أم هند في لغة الخطاب إلا أن أيا من هذه الإعتراضات لم يكن له أي جدوى، ليس فقط لأن زوجتي سعدت بتلك التغييرات التي اعتبرت أنها أوجدت "إسبيس" ضروريا بيننا وبين أم هند خاصة أن زوجتي ورثتها مكرهة من أيام عزوبيتي، وإنما لأن أم هند ترى أن الأصول تقضي أن تعاملنا بما نستحقه كأصحاب مقام رفيع لاينقصنا من وجهة نظري إلا امتلاك فازة ضخمة كالتي يمتلكها حسين فهمي في مسلسل

www.alkottob.com

أصحاب المقام الرفيع والتي صارت لدي علامة على كون أي مسلسل به فازات ضخمة بالضرورة من تأليف منى نور الدين.

أنتم الآن تعلمون أن هناك ضديات سياسية باتت تربط أم هند بالرئيس مبارك الذي ترى أم هند أنه يتخذ منها موقفا شخصيا بسبب عدم حصولها حتى الآن على المعاش الذي وعد به شعبه منذ أكثر من عامين، ياما قلت لها أن الرئيس مبارك برئ مما جرى وأن اللوم يقع على الباحثين الإجتماعيين الأشرار الذين يعرقلون حصولها على معاش سيادة الرئيس لأنهم يرون أن أم هند غنية لأنها تملك تلفزيونا، بينما أم هند تحاججهم بقولها أنه "دا حتى الجرابيع عندهم تلفزيونات"، لم أهتم ولو لمرة أن أسأل أم هند: من هم الذين تقصدهم بالجرابيع وماهو المستوى الإجتماعي لهم، فأنا بحكم تاريخي ونشأتي ضليع في علوم الفقر، وأعرف عن ضهر فقر أن هناك حول أم هند من هم أفقر بكثير من أم هند ويعتبرونها هي وأمثالها من أهل الحظوة فهم على الأقل يأخذون من حياة العز لحسة، تماما كما تتعامل أم هند معي بوصفي من علية القوم لأنها رأتني في التلفزيون أكثر من مرة وهو ماأغراها أن تقول لي "ماتكلم لنا والنبي جمال باشا مبارك يخلص لنا موضوع المعاش الله يبارك لك.. قول له والله بادعي له ربنا ينوله اللي في باله"، لم أسألها عن الذي في بال جمال فأنا أعلمه، لكنني حاولت أن أقول لها ببساطة أنني لاأعرفه شخصيا، توقفت عن الكنس واعتدلت ناظرة إليّ بعينين هجرهما الحول الإختياري لتقول لي "عيب كده ياالكسلانس.. ده أنا شايفاك في التلفزيون في

لوتانا سينما وإنت مع هالة سرحان وتامر حسني".. حاولت أن أشرح لها أن طبيعة البرنامج الفنية لم تتح لي أن أتثبت من صلات الإثنين بجمال مبارك، لكنها لم تستجب لشرحي وقالت لي بحدة "عيب الكلام ده ياأستاذ ماكلكو منفدين على بعض". ثم عادت لحولها وكنسها وتركتني غاضبة وهي تتمتم بما فهمت من طراطيشه أنه دعاء حار على الكفرة وأولاد الحرام الذين لم تحدد في الدعاء ماإذا كانت تراني منهم صراحة، وأنا بدوري لم أشأ التصعيد بسؤالها عما إذا كانت تعدني منهم لاسمح الله.

منذ تلك اللحظة وثمة شرخ في العلاقة بيني وبين أم هند، شرخ لم يزل بمحاولة التودد إليها بأكثر من وسيلة أو علاوة فقد حرصت من جهتها على تعميق "الإسبيس" القائم بيننا والذي يكون مستفزا أحيانا عندما يصبح تمتمة شبه مسموعة بالدعاء والشتائم المبطنة فضلا عن حكي قصص بصوت عال لزوجتي عن الزمن اللي بيغير الناس وبيظهر قلالات الأصل على حقيقتهم، وهو ماحاولت أن أحرص دائما على تجاهله باعتبار أن أي رد عليه سينزل بي إلى مستوى أم هند وسيخلع عني استحقاقي للقب الإكسلانس الذي أصبحت زوجتي نفسها تناديني به.

لكن كل ماجرى لم يمنع أبدا عني شغفي بمعرفة موقف أم هند السياسي إزاء كل المنعطفات التاريخية الكبرى التي تمر بها الوطن والتي يتصادف أن أم هند تتعطف علينا بالصدفة الحسنة إبان حدوث هذه المنعطفات. للأسف كنا أنا وأم هند في أوج خلافنا صبيحة خطاب الرئيس مبارك في مدرسة المساعي

www.alkottob.com

المشكورة في مسقط رأسه بالمنوفية حيث أعلن من هناك عن رغبته في ترشيح نفسه رئيسا للبلاد لفترة رئاسية خامسة أو سادسة، والله ماعدت فاكر، يومها قلت لها "ماتيجي تتفرجي ياأم هند.. ده خطاب تاريخي بلاش يفوتك"، فقالت بشمم تعرفه من رفعة مناخيرها إلى السماء "أنا مش فاضية للكلام ده.. ده للناس الرايقة اللي ماوراهاش حاجة"، جرحني التعليق لكنني قررت أن أسعى لمصالحتها حتيا قبل أن ينتهي موسم الإنتخابات الرئاسية الذي خشيت أن ينقضي وأنا محروم من العيش بدون آرائها السياسية التي لايجود الزمان بمثلها، توجهت إلى المطبخ مباشرة وأعطيتها خمسين جنيها مرة واحدة على أساس أنها علاوة قائلا لتوضيح دهشتها " معلهش بقى اعتبريني بديل عن مبارك الشهر ده وباديكي المعاش بتاعه". فقالت لي وهي تأخذ الفلوس ونبض عروقها كبرياء "بس هو أجدع منك هيديهم لي كل شهر". تجاهلت التعليق وقررت أن أصبر عليها حتى يمر موسم احتياجي لتحليلاتها وبعد كده تبقى تقابلني لو شافت هي ولا غيرها معاش مبارك أو علاوتي.

نيتي لم تكن صافية ولذلك يوم أن ألقى الرئيس مبارك خطاب حملته الإنتخابية من داخل الأزهر بارك كان الوقت مساء فلم تكن أم هند موجودة في بيتنا، وحرمت من سماع تحليلاتها. على العكس تماما يوم أن قام الرئيس مبارك بزيارته المفاجئة لخص أحد المواطنين في المنيا وشرب معه الشاي قبل أن يتضح أن المواطن مخبر مربوط على الدرجة الرابعة، كانت أم هند يومها

في بيتنا أثناء بث الزيارة مباشرة على الهواء، وكانت راضية عني ومنجلية على الآخر لكن ماقالته يومها لايصلح للنشر بتاتا.

هاهي أم هند اليوم في بيتنا بينما مصر تشهد أزهى أعراسها - بالسين طبعا - وتحتفل بأول إنتخابات رئاسية حرة في تاريخها الحديث، وتعيش قلق إمكانية خسارتها لرئيسها المبارك الذي حكمها منذ نعومة أظافرها. فور أن دخلت أم هند إلى البيت بادرتها بسؤالي: "إيه.. اتأخرتي ليه ياأم هند.. كنتي بتصوتي"، نظرت إلي مرتبكة وقالت لي " بسم الله الرحمن الرحيم.. عرفت إزاي ياالكسلانس"، قلت لها دون أن أفهم ارتباكها " مش عايزه فكاكه يعني.. كل الناس المفروض تصوت النهارده"، فهدأت قليلا ثم قالت "آه والله ده الحارة كلها هرت نفسها صويط النهارده أصل البت انشراح دي كانت نوارة الحارة، ماحدش مصدق إنها ولعت في نفسها كده وعشان جوزها الواطي، قال إيه بيعرف واحدة عليها، طب ده حافي ماتسيبيه يولع معاها ليه تموتي روحك عشان نجس زي ده".

غرقت في كريزة ضحك بينما هي تنظر إلى مستغربة، قالت لي وقد عاودها الإندهاش "إنت بتضحك ليه ياالكسلانس هو إنت كنت تعرف انشراح"، قلت لها بحميمية "ياأم هند انشراح أخت عزيزة علينا كلنا وخسارتها كبيرة قوي بس أنا باتكلم عن التصويت في الإنتخابات الرئاسية". ظننت أنها لم تسمع عنها شيئا ربما لأن أم هند مركزة في البيزنس الذي أخذها من السياسة في الفترة الماضية. لكنها خيبت ظني وقالت لي بمرارة وهي

www.alkottob.com

تمصمص شفاهها متجهة إلى المطبخ "إنتخابات إيه بس ياكسلانس.. دول بيضحكوا على الناس.. كل واحد بيدور على مصلحته.. ولاد (...) دايرين على الناس في كل حتة اللي يقولك هاديكو شقة وعربية واللي يقولك هاديكو فلوس في ايديكو.. ده أنا دايخة بقى لي سنتين على المعاش بتاع مبارك من ساعة ماالراجل مات وكلهم خمسين جنيه لاراحو ولاجم ومش عارفه آخدهم.. هيديهم لي يعني دلوقتي". قلت لها وأنا أنكشها "بس هو الريس مش غلطان ياأم هند.. انتي اللي غلطانة.. يعني لو كان عندك خص كان الريس جالك فيه.. إنما إنتي ساكنة في شقة محندقة في امبابة إنتي نفسك مابتعرفيش تروحي لها". قالت بإستعلاء "وأنا ايه اللي يوديني أنا وبنتي وبناتها نقعد في خص وإحنا ولايا.. ليه هو إحنا شحاتين"، مرة أخرى تظهر أمارات الإستعلاء الطبقي التي تستفزني لدى أم هند فقلت لها "لا العفو ياأم هند هو إنتو وش ذلك.. بس لعلمك إنتو لو قعدتو في خص هتقابلوا الريس.. عارفه يعني إيه هتقابلي الريس يعني هتطلعي في نشرة ستة ونشرة تسعة ويمكن كمان في أحداث اربعة وعشرين ساعة ومش بعيد تطلعي في ملف خاص وحالة حوار" قالت لي وهي تشوح بيديها "ياسيدي يعني هيطلعوني أحج"، استغربت وقلت لها "هو إنتي عايزه معاش ولا عايزه تحجي.. ماتحددي طلباتك بالضبط"، قالت وهي تسحب تنهيدة عميقة "لأ.. نفسي أطلع أحج عشان أدعي ربنا ياخدني وأستريح من غلبي". قلت لها "طب ماتدعي ربنا ياخدك وانتي في مصر من غير ماتشحططي روحك.. على الأقل لما ربنا ياخدك

تبقي وسطينا"، قالت لي مخرجة حزنها الدفين الذي لايظهر بسهولة "ماأنا من يوم ماوعيت على الدنيا وأنا بادعي ربنا ياخدني مافيش فايدة".. ثم صمتت قليلا وعادت إلى عدوانيتها قائلة "هو يعني ربنا هيستجيب لي إزاي وسط النجاسة اللي إحنا فيها دي". قلت لها "الله يكرم أصلك ياأم هند".. بادرت مستدركة "والنبي ماتزعل ياإكسلانس ده انت مافيش زيك.. أنا قصدي النسوان العريانة اللي في التلفزيون والبانجو اللي العيال بتشربه في الشوارع والخمرة اللي بتتباع في الفنائ".. قلت لها "وإنتي مالك إنتي ومال الفنائ ياأم هند".. قالت لي "إزاي مش دي في بلدنا ويوم ماربنا يخفس بينا الأرض هياخدنا كلنا".

ياجلال الله.. هاأنا أكتشف أن أم هند تمتلك رؤية سياسية خاصة بها أعمق مما كنت أتصور، علامات الإهتمام التي ظهرت على وجهي جعلتها تواصل بإخلاص تحذيري مما أنا غافل عنه قائلة "انت فاكر إن ربنا هيسيبنا كده.. ده إحنا رايحين كلنا في داهية قريب قوي"، قلت لها "إحنا قصدك يعني أنا وإنتي والمدام واللي زينا ولا اللي مرشحين نفسهم في الإنتخابات"، فقالت لي بود ظاهر " لا إنتو ناس أمرا أنا قصدي على الظلمة اللي ياكلوا مال النبي إن شاء الله ربنا هياخدهم كلهم وهيجيب لهم عاسيفة تاخدهم". والعاسيفة التي تتحدث عنها أم هند لمن لايعلم مفردات قاموس أم هند اللغوي تعني في لغتنا الجميلة العاصفة أو الإعصار، وهي كانت تتحدث تحديدا عن الإعصار الذي اجتاح أيامها بعض الولايات الأمريكية والذي كانت النشرة تعرض وقتها

www.alkottob.com

مشاهد لآثاره المدمرة. قلت لأم هند محاولا أن أعيدها إلى جادة الصواب " لكن العاسيفة دي ياأم هند يوم ماتيجي هتاخدنا كلنا معاها وإنتي أولنا، ده إنتي أساسا قصيرة مش هتاخدي غلوة في العاسيفة". قالت لي بثقة شديدة "ماهو ربنا هيرحم اللي زينا ومش هيموتوا في العاسيفة هنبقى ضحايا بس وساعتها هيدونا مساعدات ويمكن نطلع بأي مصلحة.. شوية دوا حبة أكل حبة بطاطين". ثم تنهدت بعمق وواصلت قولها " إنت عارف ده بيقولوا اللي اتحرقوا في المسرح بتاع بني سويف ياعيني الله يرحمهم إدوا كل واحد فيهم عشرين ألف جنيه .. عشان إحنا في موسم انتخابات.. إنما اللي اتحرقوا في قطر الصعيد ادوهم خمستلاف بس عشان ماكانش في انتخابات.. ماتعرفليش حتة أتحرق فيها اليومين دول والنبي عشان أنفع الولاد".

اعتصر كلامها قلبي فقلت لها "أعوذ بالله إنتي بتتكلمي جد ياأم هند.. هو في حاجة تعوض الإنسان عن حياته أو تعوض ولاده عنه"، قالت لي بمرارة "الكلام ده للناس اللي زيك ياإكسلانس.. طب ماعندك انشراح أهي اتحرقت ببلاش وكل يوم في كتير زيها بيتحرقوا وهم عايشين.. طب انت إتسيل بهند بنتي كده وقولها إنك هتديها خمستلاف جنيه.. خليهم عشرة.. وهي هتولع لك فيا وفي روحها، إحنا مش عايشين ياإكسلانس.. إحنا مدفونين بالحيا".

حاولت الخروج من كآبة حديثها مسرعا فقلت لها "بس أنا عايزك تطمني خالص.. أهوه الريس مبارك بينجح أهوه في

الإنتخابات.. شايفاه بينجح أهوه قدامك وساعتها هيوفي بوعوده وهيدي الناس كلها فلوس ومش هيخلي حد إلا لما يديله اللي في نفسه"، نظرت نحوي بتشكك، وربما لأن علامات الجدية لم تكن قد فارقتني ولذلك صدقتني فقالت مباغتة لي بموقفها البراجماتي " والله الراجل ده أصيل وقلبي انفتح له من ساعة مامسك البلد ده حتى بيفكرني بالمرحوم جوزي.. كان عشري كده ولسانه حلو وإبن بلد"، قلت لها "يعني هتخلصي الشغل وتروحي تنتخبيه ياأم هند"، فصمتت برهة ثم قالت لي بدهاء "أنتخبه المرة الجاية.. لما أشوف هيدوني الخمسين جنيه ولا إيه في سنتنا اللي مش فايته دي"، قلت لها "ماهو احتمال مايبقاش في مرة جاية واحتمال مايبقاش في خمسين جنيه".

كان ماقلته اختبارا لموقف أم هند المباركي الذي لم يتماسك أمام ماقلته فغرقت في حيرة بانت جلية في تخبطها في أرجاء الشقة، قبل أن تعود لتقول لي بصوت يملؤه العشم "باقولك ايه ياإكسلانس.. إنت شايفني أهوه نضافة وأمانة ودين.. مش هاشكر في نفسي يعني"، لأول وهلة ظننت أن أم هند تريد أن ترشح نفسها في الإنتخابات القادمة فهي تتحدث عن نفسها كأنها مرشح عابر للمستقبل، لكنها كالعادة خيبت ظني وقالت لي "ماتشوفليش مكان أشتغل فيه تاني غير عندك، أصل انت بصراحة بغزالة، وكل شوية تأجل مجيتي لعندكو وتقولي بلاش النهارده أصلي باكتب، طب ماتكتب وأنا باشتغل هو أنا يعني هاغش اللي بتكتبه"، قلت لها "لأ ياأم هند ماتفهمنيش غلط أصل الكتابة دي مود

www.alkottob.com

ومأحبش حد يطلعني منه"، قالت لي "مالحنا طالع عين اللي خلفونا في العيشة أهوه وعايشين، فيها إيه لما تطلع منه شوية عشان إحنا نعرف نعيش.. ماتشوف لي حد أشتغل عنده مابيقاش عنده اللي بتقول عليه ده، الموض".

كانت قناة الجزيرة تذيع تنويهات عن لقائها الخاص مع الأستاذ هيكل مساء اليوم فقلت لأم هند مداعبا "طيب هاشوف لك الأستاذ هيكل لو محتاج حد يشتغل عنده"، قالت لي "أقولك عيالي تعبانين تقولي هيكل هي ناقصة عضم.. نفسنا في الزفر شوية"، قلت لها "ياعبيطة وهو إنتي تطولي تشتغلي عنده.. ده اللي بيشتغلوا عنده بيلبسوا بابيونات وفساتين سهرة"، قالت لي "ياسيدي ألبس بالونات بس يشغلني ويديني فلوس كتيرة"، قلت لها "والله بمنظرك ده صعب يشغلك عنده غير في البيت الصيفي في برقاش"، قالت لي بإباء "لأ أنا مابابانش عند حد"، فقلت لها "لا إنتي بتقفلي على روحك.. ماتزعليش مني يعني شحات ومشارط". نظرت لي بقرف وقالت لي " طبعا ياالكسلانس ليك حق تذلنا بالقرشين اللي بتديهم لنا.. ربنا يتوب علينا من خدمة البيوت". ابتعدت عني بعودها القصير وهي تتمتم بما أنا متأكد أنه دعوات حارة صريحة علي بأن يشملني الله ضمن الذين ستأخذهم "عاسيفة" أم هند. اللهم لاتستجب.

وهكذا سقطت أم هند!

www.alkottob.com

سألني عامل الكاشير في محل لعب الأطفال: "هي أم هند حقيقية"؟. فاجأني السؤال ففكرت في الإجابة للحظات، ثم قلت له: مش عارف إستنى لما أسألها وأرد عليك. امتعض الشاب الجميل المكافح الذي يقرأ ماأكتبه في صحيفة الدستور "شركة" مع زملائه في المحل، ظن أنني أسخر منه، عز علي زعله فحاولت أن اشرح له "هي أم هند موجودة فعلا لكن حقيقية دي فيها كلام فأنا أميل إلى أنها شخصية أسطورية"، توقفت عن الشرح عندما بدأ إمتعاضه من كلامي يتحول إلى إحتقار.

بعدها بكم يوم سألت أم هند "ألا ياأم هند هو إنتي حقيقية؟"، نظرت لي بعينها السليمة نظرة ذات مغزى مريض وقالت لي "اللي تشوفه ياسعادة البيه"، عندما تكون أم هند غاضبة مني تناديني بهذا اللقب الكريه، أما عندما تكون راضية عني تناديني بالإكسلانس أو ياأستاذ، ولأنني لست قد غضب أم هند التي يمكن ببساطة أن تقف في حلة البامية أو تضع إفرازا أنفيا وسط المكرونة القواقع أو تكوم التراب تحت الكنب أو توقع أثمن قطعة غسيل عند الجار الذي أكرهه أو ماإلى ذلك من وسائل الإنتقام التي لاقبل لي بدرئها حتى لو كنت أمتلك قمرا صناعيا يراقبها في

www.alkottob.com

قلب الشقة. لذلك بادرت فورا لمصالحة أم هند قائلا لها "أصل أنا لما بافكر في قصة كفاحك باحس إن إنتي عاملة زي ماتكوني حكاية بطولية لازم يتعمل عنها مسلسل أو سيرة شعبية زي الأميرة زينا وناعسة وعلية العيوطي"، أضاء وجهها الأسمر بابتسامة وخفت مؤقتا من حولها وقالت لي "طب البركة فيك ماتشد حيلك وتكتب كصة حياتي مسلسلة بس فلوسها تبقى أبو قسم"، قلت لها "من عينيا ياأم هند وهاخلي عبلة كامل تعمله كمان"، قالت لي بألاطة وكأنها تقف في مكتب رئيس شركة صوت القاهرة تتفق على عقد المسلسل "هي عبلة حبيبتي بس ياريت تخلي يسرا هي اللي تعمله عشان يعرضوه في الكناة الأولى"، حبك الإفيه قلت لها " تفتكري يسرا توافق تعمل عملية تجميل عشان تقرب منك في الشكل"، فنظرت إلي شزرا من جديد، وبعد أن سمعت سيل اعتذاراتي قالت لي "إنت ماشفتنيش قبل ماأخلف هند.. كنت فرسة.. هو أبو هند مات من شوية"، لو كنت أستمع إلى أم هند في التليفون لصدقتها لكن المشكلة أنني كنت أشاهدها وهي تقول هذا الكلام وهو ماجعلني لامحالة أدرك أنها تقصد أنها كانت فرس النبي قبل أن تنجب هند، لاأعيب على خلقة الله لكن محمد هنيدي يعتبر عملاقا مقارنة بأم هند، هذا من حيث البنية الجسدية أما من حيث الجمال فالفنانة عائشة الكيلاني تعتبر جريتا جاربو لو قارنتها بأم هند، لكن أم هند ربك والحق تمتلك كعائشة الكيلاني وجريتا جاربو أيضا إبتسامة تملأ وجهها بنور رباني ليس له حل.

إذن ياسادة هكذا فشلت محاولة الإجابة على السؤال العلمي

الذي طرحه صديقنا الكاشيرجي "هل أم هند حقيقية". لكنني لم أعرف أنني سأجد إجابة هذا السؤال بعد أسابيع من محاولة طرحه على أم هند. ويالبتني ماعرفت.

آآآه. أم هند حقيقية أيها الناس. ليست أسطورة كما ظننتها. فالأسطورة لاتصاب بالشلل. الأسطورة لاتطق من جنابها وتقع من طولها بعد أن تعبت من شيل الهم وحمل الأحزان وخدمة البيوت، الأسطورة لاتفقد القدرة على تحريك جنبها الأيمن. أم هند حقيقية، ترقد في مستشفى الهرم طريحة الفراش، في عينيها بكاء محبوس تحاول أن ترسم ابتسامة تعلن فيها أنها كانت يوما ما فرسة، كانت يوما ما سيدة تحلم بأن تتستت وتتدلع على زوجها وتشخط في ولادها وتفرح بهداياهم في عيد الأم ويتقطم وسطها من شغل البيت، بيتها هي، لاالخمسة بيوت التي تعمل فيها لكي تصرف على أولادها اليتامى وبناتها وأزواجهن العاطلين. "ليه ياأم هند.. حصل ده من إيه"، ترفع إصبعها السبابة إلى السماء وهي تبتسم إبتسامة رضا، أستغفر الله العظيم ياأم هند، رضينا بقضاء الله، تقول لي إبنتها "حملها تقيل ياأستاذ"، أعرف، رأيت رجالا بشنبات وطول وعرض لايحتملون ربع مالحتملته، خروا وسقطوا وتدهولوا ومشوا في الشوارع مهلهلين بسبب أزمة عاطفية أو معاش مبكر أو خذلان عائلي أو فقدان ثقة في الحياة، أعرف الحمل التقيل ياهند، لكنني ظننت أمك تعايشت معه، وعرفت كيف تعض عليه بالنواجذ كأي ست مصرية جدعة تسير في ذات مدينة أو ذات قرية حاملة على رأسها مايفوق وزنها بمعلمة لأنها تعرف

www.alkottob.com

كـيف تحمـل حملها ومن أين تحمله حتى لو لم تكن تعرف متى ستضعه.

يـدخل الدكتور إلى العنبر الذي ترقد فيه أم هند ليقول كلاما يغم النفس عن حالة أم هند ومانتطلبه، تقول له هند أنهم ماقدروش يلمـوا فلـوس "الرنيم المغناطيسي والسومار"، هكذا تقولها فأفهم الرسـالة، أقول لأم هند "ماتحمليش هم"، لكن نظرتها إلى أحفادها المتحلقين حولها بذهول حملت لي الرد البليغ. إزاي ماأحملش هم.

سـقطت أم هند في نفس اليوم الذي غرقت فيه العبارة السلام ٩٨ فـي عـرض البحـر الأحمر الذي لايكف عن إبتلاع فقراء المصريين، كما سقطت أم هند سقطت العبارة حاملة معها آباء هند وأمهـات هـند كثيرين ليستقروا في قاع البحر وبطون الأسماك الـضارية، حاملين معهم أحلامهم بهداوة السر وراحة البال وشقة محـندقة ولمة العيال وعدم الحوجة للناس، كان يمكن أن تكون أم هـند معهم فقد سافرت على عبارة كهذه في العام الماضي وذهبت إلـى العمرة بعد أن ظلت تحوش ثمنها لمدة عشر سنوات، يومها دخلـت إلـى مقـام حضرة النبي واستقتلت حتى تضع يدها على شـباكه كما قالت، دون أن أعرف هل كان هذا ماحدث لها أم أنها كانت تروي حلمها الذي لم يتحقق، "قلت له يارسول الله إنت داري بحالـنا.. إحـنا متمرمطين ياسيدنا النبي.. والنبي خلي ولاد بنتي يلاقوا شغل عشان أنا تعبت.. ونفسي أرتاح.. وحياة غلاوتك ياأبو سـتنا فاطمة أنا مابافوت ركعة.. بادعي دايما إن ربنا يريح سري ويـتوب علـيا مـن خدمة البيوت بس ربنا لسه مش كاتبها لي..

والنبي يارب إكتبها لي"، وأنا أنظر إليها وهي راقدة على سريرها تذكرت حكايتها فمنعت نفسي من البكاء بصعوبة، "مكتوبه لك ياأم هند أهي الراحة من خدمة البيوت بس غصبا عنك"، تقول هند أنها مـستعدة لكـي تسد مكان أمها، تحرك أم هند يدها بعصبية كأنها تـرفض أن تنـزلق إبنـتها إلى المصير الأسود الذي عاشت فيه عمرها كله.

أنظر إلى صورة الرئيس المعلقة على أحد جدران المستشفى، أتذكـر الـيوم الـذي اندفعت فيه أم هند خارجة من المطبخ وهو يخطـب فـي إحتفال عيد العمال وأخذت تصرخ في وجهه وهي تـشوح بـسكين المطـبخ الـصغيرة وهي لاتكاد تطول ارتفاع التلفـزيون "حرام عليك.. حرام عليك"، وأخذت تحكي له معاناتها مـن أجل الحصول على معاشه الموعود الذي لم يأت حتى تاريخ سقوطها مشلولة عاجزة عن تحريك جنبها الأيمن الذي أثقله المسح والكـنس والتـسييق والتنفيض والغسيل والنشر والعصر والمرش والتلمـيع والتطويق، كان سيادته يوم دخول أم هند إلى المستشفى مشغولا بزيارة أبنائه أبطال المنتخب القومي أشاوس مصر وأسود أفـريقيا الـذين تقـول الـصحافة أنهم أدخلوا الفرحة على قلوب الملايـين، الملايـين الـذين لم يكن من بينهم بالتأكيد أم هند ولا أسـرتها ولا الآلاف أمـثالها مـن نزلاء المستشفيات ولا الآلاف أمـثالها من أهالي ضحايا العبارات الغارقة وأهالي ضحايا الطرق المميـتة والقطـارات المحروقة وضحايا الفقر المستديم وضحايا الفكر الجديد، هؤلاء لايسعدهم استقتال أحمد حسن في الملعب ولا

www.alkottob.com

يؤسفهم تطاول ميدو على حسن شحاتة، هؤلاء في دنيا غير الدنيا، هـؤلاء لا "بواكـي" تصرف لهم ولا بواكي تذرفن الدمع عليهم، هـؤلاء عندما يمرضون أو يحرقون أو يغرقون أو يروحون في سـتين داهـية لايعلن أحد عليهم الحداد الوطني، ولايستحقون أن تـتوقف الأغانـي الراقصة من أجلهم، لاتصمت الجماهير حزنا علـيهم، ولايضع اللاعبون شارات حداد عليهم، لاتتذكرهم جميعا، نكتفي بأن نقول لهم الله. ونعم بالله.

يخرجنـي صوت همهمة أم هند من أفكاري الحزينة، لازالت تـرفع سـبابة يـدها اليـسرى إلـى السماء، أنظر إلى السيدات الطاهـرات الطيبات الحزينات المباركات الراقدات على السراير المجـاورة، أتذكر ذلك اليوم الذي رقدت فيه أمي في سرير كئيب فـي عنبـر مقـبض من عنابر معهد الأورام، لم أكن أمتلك ثمن علاجهـا، ولولا الواسطة لما قدرت على إدخالها إلى هذا العنبر، (جميل سأظل مدينا به للفنان صلاح السعدني ماحييت)، أتذكر أمي يومها وهي ترقد على سريرها واهنة طاهرة منكسرة ترفع سبابتها إلى السماء تماما كأم هند، فمها يلهج بذكر الله، كلما دخل ممرض إلـى العنبر أخذت تتأكد من أن شعرها مغطى، تنظر إلى وتبتسم، أهـرب إلـى الـبلكونة الكئيبة المطلة على شارع القصر العيني، وأبكـي متحاشيا النظر إلى السماء، لأنني لم أكن يومها مؤمنا بالله حـق إيمانـه، لم أكن صابرا على قضائه، أدخل إلى العنبر ثانية خوفا من أن تكون بحاجة إلي، تطلب مني أن أدنو إليها، تشير إلى الأسـرة المجاورة لها وتقول لي "إحمد ربنا.. أنا فين والناس دي

كلهـا فـين.. أنا في نعمة يابني"، أنظر حيث تشير فأعرف ماذا تقصد، أحمد الله وأسأله لها الشفاء.

لاأدري كـيف قـرأت أم هند ماجال بخاطري وأنا أنظر إلى رفـيقاتها في العنبر، باست يدها اليسرى وجها وضهرا ثم رفعتها إلـى الـسماء شـاكرة حامدة راضية. ياااارب. ياااارب. عبادك الغلابـة يارب تعبانين، إرحمهم يارب، خفف عنهم، هؤلاء الناس لاضهر لهم يالله، كرمتهم وخلقتهم في أحسن صورة، لكن الأراذل من عبادك داسوا عليهم، دهسوهم، امتهنوهم، سرقوهم، انتهكوهم، حكمـتك يـارب، لك حكمة في تأخير الفرج وإمهال الظالم دون إهماله، يارب إسق العطاش تكرما، فالعقل طاش من الظمأ، يارب عبادك الغلابة مطروحون على أسرة المستشفيات إن وجدوها ربما لايجدون فيها العناية ولايصادفون فيها الشفاء، عبادك جثثهم ملقاة علـى وش المالح لأيام لايجدون من ينتشلهم، عبادك كواهم الغلاء والعـيا والـشقاء والقهر، عبادك مرميون في المعتقلات لاتعرف أمهاتهم لهم طريق جرة، عبادك مواطنون درجة ثانية في بلادهم، لاحـق لهم في التغيير أو الإعتراض أو البكاء أو الشكوى، ربما لهذا لاتستجيب دعائهم لأنهم لم يغيروا مابأنفسهم، لكنك أرحم بهم مـن أنفسهم، هب لهم نسمة من نسمات رضاك، فرج عنهم ماهم فـيه، يارب أم هند من يبكي على حالها ومن يجري على أحفادها ومـن يـصادر حـق أزواج بناتها في العمل، من يجعل أحفادها يعـتادون طعـم اللحمة والجبنة واللبن والفراخ والسمك، من يكفل لهـم حق التعليم والعلاج والأمن والعيش الكريم، يارب إرحم هذه

www.alkottob.com

السيدة التي انحنى ظهرها من أجل أن تكفل لمن تعولهم عيشا على الكفاف، يارب أنصر عبادك المكروبين في مستشفيات الحكومة وأخرجهم منها على خير. ياااااارب.

تعذبني إبتسامة أم هند التي تغتصبها من بين آلامها، أتذكر حكاياتها التي تروي فخرها بأنها فقدت كل شيئ حتى جمالها وقوامها، لكنها لم تفقد كرامتها، كيف أنها عملت عند مذيعة تلفزيونية بمرتب مغري، لكنها تركتها لأن زوج المذيعة اتهمها في يوم عيد بأنها فتحت علبة الشيكولاتة وأخذت منه شكولاتاية، "وهي يعني الشكولاتاية دي كانت هتعمل لي إيه.. هتشبعني ولاهتشبع عيال بناتي.. ربنا يحرقهم بجاز وسخ.. هيذلوني بفلوسهم.. من يومها وهي كلما تطلع في التلفزيون اتف على وشها.. العيال يقولوا لي حاسبي هتحرقي التلفزيون الحيلة".

أتذكر يقينها بأن الله سيرسل "عاسيفة" ستأخذ دون شك "الكفار والفسقة ونزلاء الأوتيلات الذين يشربون الخمرة في الفناتيز والممثلات اللي بيعروا لحمهم والشباب اللي مابيصلوش والموظفين اللي مغلبينها في التأمينات"، ولعلها الآن تضم إلى قائمتها الخاصة لضحايا "العاسيفة" دكاترة المستشفى وبتوع الرنيم والسومار والممرضات، وياليتها تضم كل من تولى أمر هذه الأمة فأفسد ولم يصلح. تذكرت سيدنا عمر بن الخطاب الذي كان يخشى أن يسأله الله عن بغلة عثرت في العراق، وقارنته بالبغال الذين لايخشون أن يسألهم الله عن ملايين البشر الذين ساسوهم فزادوهم رهقا، رفعت سبابتي إلى السماء فشاركتني أم هند وهي تهمهم بما

أظنه حمدا لله، أخذت أدعو الله على الظالم والمفتري وأنا أصنع قائمتي الخاصة لضحايا "العاسيفة" المرجوة.

إدعوا لأم هند الحقيقية بالشفاء رحمة بأحفادها وبناتها وأزواجهن العاطلين وبمنزلي الذي يفتقد بشدة فشلها في تنظيفه.

www.alkottob.com

يأهل الله يالـلي فوق!

www.alkottob.com

بـصفتي "مـشجع درجة ثالثة قديم" استفزني وأحزنني كثيرا مانشر في جميع الصحف والمجلات التي غطت بطولة كأس الأمم الأفـريقية ٢٠٠٦ التـي أقيمت بالقاهرة، والتي أجمعت الصحف والمجـلات قاطـبة على أنها شهدت ارتفاعا وتحسنا في مستوى مشجعي المنتخب المصري، حيث غزت البنات الجميلات الراقيات مـدرجات إسـتاد القاهـرة بدلا من المشجعين الإعتياديين الذين اعتبـرت الـصحافة أن المدرجات استراحت من شكلهم الوحش وريحـتهم الوحـشة وأخلاقهـم الوحشة وكلامهم اللي مش حلو، لدرجة أن صحيفة محترمة كالمصري اليوم نشرت صورة لشباب قمـرات وبنات مزات يظهر عليهم وعليهن آثار العز وأكل الوز، ثـم وضـعت على الصورة عنوانا موحيا "هي دي مصر"، وهو عـنوان تكـرر معناه في كتابات وتعليقات الكثيرين الذين قالوها بملء الفم "أيوه هو ده الجمهور المصري الحقيقي".

بالطـبع كـنت أتمنـى أن يكون هذا الجمهور هو الجمهور المـصري الحقيقي وتكون هي دي مصر فعلا، فهذا مانصبو إليه جمـيعا، حـد يكـره النضافة والوجاهة، لكن الحقيقة المرة التي لاتحـتاج لكـي تـدركها سوى أن تسير في تسعين في المائة من

www.alkottob.com

شـوارع مصر، هي أن مصر ليست كذلك وأبناؤها ليسوا كذلك، فقـد جعلهـم الفساد والظلم شعثا غبرا عليهم وعثاء السفر والفقر والقهر ولايعرفهم منا أحد.

فـي الحقـيقة لـم أكن أعرف أن رؤية هؤلاء الفقراء في مـدرجات الإستاد أمر قاس على النفس إلى هذا الحد بحيث يحدث غـيابهم كل هذه الفرحة لدى الكتاب والمذيعين الذين لم يستفز أيا مـنهم أبدا أن يحرم آلاف الغلابة من عشقهم للتشجيع لأن اللجنة المـنظمة للبطولة قررت أن ترفع سعر تذكرة الدرجة الثالثة إلى خمسين جنيها ده إن لقيتها أساسا، وعلى الفقير أن يخبط دماغه في الحـيط ويتفرج في وصلة بيتهم المقرصنة أو على القهوة مع اللي زيـه ومن مستواه، فالمستقبل الآن للناس الشيك المؤدبة المهذبة، والـذي يـريد أن يكـون وسطيهم عليه أن يتعلم الأدب والشياكة والنضافة قبل أن يذهب إلى الإستاد، ليس مهما كيف يحصل على الفلـوس اللازمـة لعمل كل هذا ولا كيف يتمكن بمفرده من عمل إنتعاشـة طبقـية مفاجئة دون أن يسرق أو ينصب أو يخرج على القانون، وإذا لم يتمكن من عمل هذا فعليه أن يرضى بما قسم الله لـه ويـضع حـذاءا في فمه ولايحتج عندما يشاهد صور الناس المـستريحة تمـلأ الإستاد دون أن يفكر أحد في أن يوفر له مكانا وسـطهم، وعليه أن يطنش خالص مايقال ويكتب عن أن الإستاد أصـبح مكانـا محتـرما يليق بالأسر والعائلات والناس النضيفة، فـنحن فـي زمـن تـرفع الحكـومة فـيه شعار "اللي مامعوش مايلزموش"، وإذا كانت الدولة ترفع أيديها شيئا فشيئا عن المواطن

محـدود الـدخل فـي الصحة والتعليم والتأمينات والمعاشات فهل ستفكر في متعته الكروية أساسا.

بالمناسبة ولكي لايفهمني أحد خطئا أنا فرحان للغاية بظاهرة ذهـاب الأسـر والعـائلات إلى الإستاد، فبالتأكيد مشاهدة فتيات جمـيلات يرسـمن أعلام مصر على خدودهن الحمراء أمر يفتح الـنفس، لكـن الذي يسد النفس هو أن نستمر جميعا في التضييق علـى السكان الأصليين لمصر الذين كان حضور الإستاد للتشجيع واحـدا مـن مـنافذ فرحتهم المحدودة، وإذا كان شكلهم لايعجبنا وكلامهـم وهتافاتهم لاتريحنا فهم لم يولدوا جاهلين بأصول اللبس أو بـآداب الكـلام، بل أصبحوا كذلك بسبب سياسات حكام مصر المتعاقبين الذين نهبوا خيرات البلاد وجعلوا العيش فيها متاحا فقط لمن يدفع أكثر.

أعـرف أن ماكـتب أو قـيل عن هذا الموضوع تم من قبل الكثيـرين بحـسن نية، لكنه لسوء الحظ كشف عن ظاهرة مؤسفة أتمنى أن نناقشها جميعا، هي ظاهرة الإستعلاء الموجود لدى أهل الله اللـي فـوق علـى حد تعبير عدوية من أبناء الطبقتين العليا والوسطى تجاه أهل الله اللي تحت من أبناء الطبقة المسحوقة الذين يـشكلون الغالبية العظمى من أبناء مصر، حاول أن تواجه نفسك بصراحة وتتذكر كيف تتعامل معهم على أساس أنهم قدر مفروض نحـاول أن نتحاشـاه طـيلة الوقت، نصفهم بأنهم بيئة أو أخلاقهم زبالـة أو بلـدي أو تـصرفاتهم غريبة، يزعجنا صوتهم العالي وتـصرفاتهم الفطـرية، نـسخر مـن طريقتهم في اللبس والأكل

www.alkottob.com

والـصوت الذي يحدثونه أثناء الشرب، ونرفض ذوقهم في الغناء والفـن والبـناء والعفش، لانفهم لماذا يلجأون للبذاءة كسلاح لفش الغـل، ولا لمـاذا يتخذون من الصوت العالي والتطجين والتربقة عمـال علـى بطـال وسائل لإثبات الوجود، لاندرك أن تضييق الخـناق علـيهم شيئا فشيئا يمكن أن يودي بهذه البلاد والعياذ بالله إلـى جحيم لايمكن تصور لهيبه. أعلم أن كل ذلك لم يخطر ببال الـسيد العبقـري الذي رفع أسعار التذاكر إلى هذا الحد الجنوني، تماما كما لايخطر ببال أي منا نحن السكان المنتفعين بمصر سواء مـن ولـد مـنهم هكذا أو كان مثلي واحدا من السكان الأصليين وعـدى ليصبح منتفعا بمصر كغيره، الطيب فينا هو الذي يتعامل معهـم بوصفهم مستحقين للصدقة أو الشفقة، لاأحد يتحدث باسمهم ولايبكـي عليهم ولايسأل فيهم. هنا يحضرني استشهاد مؤلم ومهم للمكتـرث الأكبر الأديب الكبير أستاذي علاء الديب – في تذييله لـروايته الـبديعة "أيام وردية" – يكشف عن روح شفافة تكترث بآلام الآخرين،يقول عم علاء "يحصل الواحد منا نحن أبناء الطبقة المتوسطة على أكثر من حقه، أنظر إلى الكادحين العارقين حولك، هل تعرف كم يقبضون في آخر النهار، وكيف ينامون، وكيف تنام أنـت، فكر في المزايا المجانية الجسيمة التي تحصل عليها بجهد قليل أو بلا جهد على الإطلاق، شعور ساذج بالذنب مستمر ولكنه يكفـي لكـي يثيـر دائمـا نقاشا نظريا لم يحسم عن دور الطبقة المتوسـطة فـي بلادنا وماذا أخذت وماذا أعطت وعن مصيرها الـذي انـتهت إليه... وكيف تكون هي الوحيدة التي تملك القدرة

على التواصل والتعبير، لكنها هي نفسها مضطربة متناقضة تعطي اشارات متباينة لاتزيد حياة الناس إلا ارتباكا. على من يبحث عن هوية لمصر أو عن فن لمصر أن يبحث عنه خارج نطاق الطبقة المتوسطة بكل الأشكال التي أخذتها سابقا وحتى الآن".

الآن وهنا، أرجو أن يكون كلام عم علاء ردا مبدئيا على من يظـن أننـي محبكها، مع إعترافي بأنني أشعر بذنب أكبر لأنني انتقلت من هذه الطبقة بحكم النجاح المهني والمادي الذي تحقق – وبالـسخرية الأقدار– بسبب تعبيري عن هذه الطبقة، وربما كان هذا الإحساس كما قلت قبلا هو الذي دفعني لكتابة مشروع السكان الأصـليون لمصر لأروي فيه ماشهدته وعشته عن هؤلاء البشر الـذين لايكترث بهم أحد، البشر الذين يجمعون بين كل متناقضات الدنـيا ويعيشون على أمل مصير أفضل في الآخرة، البشر الذين فـرحنا كثيـرا لأنهم لم يعودوا يقدرون على الذهاب إلى الإستاد فيجرحوا مشاعرنا ويخدشوا حياءنا، البشر الذين نتناسى أنهم لو لم يـصيروا الـشغل الـشاغل لكل منا فقل على هذه البلد يارحمن يارحيم.

يارحمن يارحيم.

www.alkottob.com

فرختين وشوية مكرونة!

www.alkottob.com

كـنت أجلـس على مقهى بالكيت كات أرفو جورب الوقت، عندما شدني حديث بعض الجالسين خلفي، فرميت على الفور ودنا لهم بحكم المهنة وياليتني مارميت.

كـان أحـدهم يحـدث أصدقاءه زاعما ظهور حالات كثيرة لأنفلونـزا الطـيور فـي مـنطقة إمبابة يحاول مسئولو مستشفى الحميات أن يتكتموا عليها ويخفوها عن عيون الصحفيين ووسائل الإعـلام، على الفور إتهمه صديقه بالمبالغة قائلا له أن الحكومة لـيس لهـا مصلحة في إنكار وجود أنفلونزا الطيور لأنها ليست مـسئولة عـنه بدليل أنه ظهر في أكثر دول العالم تقدما، أصدر صديق ثالث صوتا غير مستحب ردا على صديقه العقلاني ثم قال لـه أن حكومتنا - وصفها بلفظ خادش لحياء الحكومة - دونا عن كـل حكـومات الأرض هي السبب في كل البلاوي التي أصابتنا وتصيبنا، ففي كل بلاد الدنيا يصاب الإنسان بأنفلونزا الطيور لأن ربـنا كاتـبها له، إلا في مصر يصاب المواطن بأنفلونزا الطيور بـسبب الفقر الدكر الذي كتبته عليه الحكومة المباركة، هممت أن أسـأله توضـيحا لـوجهة نظره لكي لايكون ماقاله مجرد نفثات مـصدور حاقـد، لكنه كفاني مؤونة ذلك فاندفع يحكي - والعهدة

www.alkottob.com

علـيه هو ومن أيده في تلك الجلسة - كيف أن عددا من أصحاب مـزارع الـدواجن فـي محافظات مختلفة قاموا بإخفاء آلاف من الـدجاجات المصابة بالأنفلونزا بعيدا عن أعين جهات الضبط أو بعـد أن قام والله أعلم بتحلية أعينها لكي لاترى الرشح ينساب من مناقيـر الفراخ، ثم تم تهريب هذه الفراخ بين المحافظات بالمخالفة لكل القرارات الوزارية خاصة وقد بات المواطن للمواطن كالبنيان المرصـوص يرشي بعضه بعضا، وعندما وصلت الفراخ الداخل علـيها دور البـرد إلى الأحياء الفقيرة تم بيع الفرخة منها بأسعار تتـراوح بين جنيهين وثلاث جنيهات فتخاطفتها أيدي الفقراء الذين لطالمـا وقفـت علـيهم الفرخة المعضمة السليمة بعشرة واثناشر جنيه، قال أحد الجالسين حالفا بالله أن الموضوع تحول إلى سبوبة مـضمونة الـربح طيلة الأسابيع الماضية خاصة أن البعض كان يـشتري كمية من الفراخ أم اتنين جنيه الفرخة ويبيعها في أحياء شـعبية بـسعر ستة جنيه للفرخة، وعلى عينك ياتاجر وسلامات يالأجهـزة رقابـية والعواف ياصحة المواطن محدود الدخل الذي تضعه الدولة نصب أعينها بفتح النون طبعا.

بالطـبع كـان الغلابـة يضحكون على أنفسهم وهم يشترون الفـراخ المـشبوهة بدعوى أن الحكومة ذات نفسها قالت لهم أن يأكلـوا الفـراخ هنيـئا مريئا طالما تم طهيها أو غليها في درجة حـرارة سـبعين مئوية، إذن فلنشتري الفراخ ونهريها سوا وندلق الـشوربة ونغـسل أيديـنا قـبل الغلي وبعده، وعلى رأي السيد المعـارض طلعت السادات نسمي وناكل، خاصة وأن الذي جعلنا

قبل ذلك نأكل الطيور الجارحة والطيور الفاسدة والطيور المهاجرة وحمامـة السلام وطيور الظلام وطير الوروار سيعيننا على أكل طـيور عندها شوية رشح. لكن المأساة في أن المتاجرين بالفراخ المشبوهة كانوا يبيعونها حية غير متحملين مسئولية ذبحها تاركين ذلـك للناس كل على مسئوليته، والله أعلم هل راعى أولئك الذين ذبحـوا الإشـتراطات الصحية أم لا، هذا إذا كانوا قد راعوا في حياتهم البائسة التي يمشون فيها بالزق أي اشتراطات من أي نوع، لذلك ولذلك كله لم يستبعد جميع الحاضرين على المقهى وأنا معهم بتبعـية رمـي الودان أن يكون ماذكره صديقهم عن تزايد حالات المـرض في عدد من الأحياء الشعبية صحيحا، قد يكون ماأضافه عن محاولة التعتيم على حالات المرض أمرا حقيقيا وقد يكون من بنات أفكاره، لكنك لايمكن أن تعزوه إلى توظيف لخيال خصب أو موقـف عدائـي مـن الحكومة الشفافة أو رغبة في الإرجاف في الأرض عمال على بطال، بقدر مايمكن أن تعزوه إلى إيمانهم بأن " اللي اتلسع من الريادة ينفخ في الشفافية".

عـن نفـسي سأصدق الحكومة إذا أقسمت أنها لن تكتم حالة إصـابة بشرية مهما حدث، لأنه لم يعد شيئ يستخبا، لكنني أصدق أيضا أن الناس أكلت فراخا فاسدة، لاشك عندي في ذلك، حكى لي سـائق أحـد أصدقائي حكاية مريرة أبكتني وأبكت من سمعها من الـذين يعـرفون فيه الصدق والأمانة وطيبة القلب، كان صاحبنا المـواطن المبتلـى بالعيش في أزهى عصور الإنجازات قد شاهد وهو عائد إلى بيته في الحي الفقير الذي يسكن فيه عربية نقل تبيع

www.alkottob.com

فـراخا بسعر خمسة جنيه للفرخة، تذكر أن أولاده لم يذوقوا الزفر مـنذ مدة، ليس لموقف من الزفر، بل لأنهم يتكاسلون عن الذهاب إلـى مترو أو ألفا ماركت لشراء اللحمة الفريش، في لحظة تجلي قـرر أن يـشتري فرختين ويخلي العيال تاكل، عاد إلى أم العيال التـي كـتمت الزغـرودة بالعافية خوفا من حسد أم حسين ساكنة الـشقة "الملازقـة" فقامـت في صمت بعمل الفراخ صينية عقبال أمالـتك بالبـصل والطمـاطم والفلفل الأخضر وسائر البهارات، تغاضـى الجمـيع عـن أي ألوان ظاهرة في الفراخ أثناء ذبحها وتقطيعها مستحرمين السؤال عنها لكي لاتبد لهم فتسوءهم، عملت الأم مكـرونة معتبـرة وسلطة مية مية، وجلس الجميع ينتظرون طلوع الصينية من ثنيات الفرن، كان ثمة صراع شرس يدور في خاطـر الأب وهو يرى أولاده يتندرون ويضحكون بانتظار إلتهام الفـراخ، أخذ يتساءل ماالذي يمكن أن يحدث لو أكل أولاده الفراخ وكـان بهـا شـيئ ضـار، قـرر حسم الصراع قبل أن تستوي الفـرختان، فانقض عليهما ليرميهما في صفيحة الزبالة، طالبا من أولاده أن يقـنعوا بالمكـرونة والـسلطة، فلازالا مضمونين حتى الآن، بعـد بكـاء هـذا وصخب ذاك وقلم على وش تلك، رضي الجميع بالأمر الواقع، تحلقوا حول الطبلية في المطبخ، ليس لأنهم لايحبون الأكل في أودة السفرة بل لأن الشقة أودتين بمضارهم - فهـم لـم يتسلموا المنافع مع الشقة - .. أخذ صديقنا يصف وهو يمـنع نفسه من البكاء كيف رأى أولاده يأكلون المكرونة والسلطة وأعيـنهم متعلقة بصفيحة الزبالة حيث تستقر الفرختان اللتين كانتا

حلمـا لـم يكـتب لـه أن يتحقق، فجأة بكت إبنته وقالت له "ربنا هيحاسـبنا عـشان بنبطر بالنعمة وبنرمي الفراخ في الزبالة وفي ناس مش لاقيينها"، أخذ الجميع بما فيهم زوجته يؤيدونها ويؤكدون حرصهم على أكل الفراخ ليس حبا لها ولكن خوفا من عذاب الله، شعر صديقنا أن الله قد يعذبه ليس لأنه رمى الفراخ في الزبالة بل لأنـه كـسر بخاطـر أولاده، فقرر أن يخرج الفرختين من حيث اسـتقرتا، قامت الأم بإعادة طهيهما حتى اتهرا لحمهما وأصبحتا بلغـة المطـاعم الـراقية " فيـري ويـل دون" حرصا على قتل الفيروسـات الكامـنة، خـرجت الصينية موهوجة من الفرن إلى الطبلـية، تحلـق الجمـيع حـولها وقرأوا الفاتحة وآية الكرسي والمعوذتـين ودعت الإبنة الكبرى بدعاء حفظته في المدرسة "بسم الله الـذي لايضر مع إسمه شيئ في الأرض ولا في السماء وهو الـسميع العليم"، وأكل الجميع الفرختين فلم يغادرا منهما نسيرة أو زلمكـة، وبعـد أن حبسوا بالشاي ناموا ليلتها سعداء لأن الله لن يعـذبهم علـى بطرهم بنعمته. وأنا يقيني بالله أنه لن يعذبهم أبدا فرحمته موفورة بالغلابة والمساكين لكن يقيني أن عذابه جد واقع على الذين أكلوا هذه البلاد "ويل دان".

www.alkottob.com

وإنت طيب ياسيدي!

www.alkottob.com

صديقي اللبناني الذي جاء هذا العام ليقضي شهر رمضان في مصر بعد أن سمع كثيرا عن خصوصية شهر رمضان في مصر، غضب مني بشدة لأنه قال لي "كل سنة وانت طيب" فرددت عليه بشكل لاإرادي "ربنا يسهل لك".

حاولت أن أقنعه أنني كنت أمزح لكنه لم يقتنع مدعيا أن وجهي كان جادا وأنا أرد عليه بذلك الرد المهين. اضطررت لأن أشرح له موقفي دون أن أسيئ إلى سمعة مصر في نفس الوقت، وأعتقد أنني لم أوفق في ذلك. فلم يكن من اللائق أن أشرح للرجل ماسيشاهده بنفسه بمجرد نزوله إلى الشارع، على الأقل ماتجيش مني. أعتقد أنك عزيزي القارئ تفهم موقفي جيدا إن لم تكن قد تعرضت له، بعد أن دخلت جملة (كل سنة وانت طيب) في عداد الجمل سيئة السمعة بفضل الحكومة المباركة التي تحول التسول في عهدها إلى الصناعة القومية الأكثر انتشارا وربحا في مصر، بل الأدهى أنه صار بمباركة الدولة وبتنظيمها وعلى عينها وقلبهازى العسل.

وقبل أن يتقافز أحد من أنصار حزب (مصريتنا وطنيتنا حماها الله) ليتهمني بالإساءة إلى سمعة مصر أو بأني ثري حاقد

www.alkottob.com

أعمـــاه ثراؤه عن التعاطف مع الناس، أتمنى أن لاتتاح له أو لكم الفرصـــة لكي تذهبوا قبل الإفطار إلى أحد شوارع المهندسين أو الدقـــي أو المعـــادي أو مـــصر الجديدة أو الزمالك فتشاهدوا ذلك الجـــيش الجـــرار من عمال النضافة الذين لاينضغون شيئا سوى جـــيوب المارة، يقف الواحد منهم مرتديا اليونيفورم المتسخ ممسكا بالمقـــشة وحـــاملا فـــي يده كيس نايلون، لايفعل شيئا سوى إلقاء التهنـــئات الطيـــبات على الراكبين والمترجلين، يتفرس في ملامح الـــزبون الذي يستحق أن يلقي عليه تهنئته بشهر رمضان أو بأي عيد من الأعياد الدينية أو الوطنية أو حتى تهنئته في المطلق بدون حاجـــة لأي مناسبة لعل اليوم يكون بالصدفة عيد ميلاده، أو ربما لأنه مصري يعيش في عهد الرئيس مبارك الذي جعل أيامنا كلها أعـــيادا. وربمـــا لـــو كنت حديث عهد بطقس التهنئة هذا لرددتها بأفـــضل منها ظنا منك أن حالة من السمو الروحي قد عمت أفراد الـــشعب غنـــيهم وفقيرهم فأدركوا خطأ ماكانوا عليه من جفاء في الـــسلوك وتقطـــع في الصلات. وعندها ستجتاز التصفيات الأولى وتدخل مع المهنئ إلى المرحلة الثانية التي تتمثل بوقوفه أمامك أو إلى جوار شباك سيارتك مصدرا جبته وإبتسامته لك مكررا التهنئة ومـــائلا نحـــوك ميل من ينتظر ماهو أكثر من رد التهنئة بأحسن مـــنها. عندها إما أن ترق لحاله فتعطيه مما أعطاك الله، وإما أن تدرك أنك كنت أمام طقس مقنع من طقوس التسول فتصعر خدك له معرضا عنه وأنت تعجب كيف يلجأ للتسول من كان مثله غالبا صـــحيح الـــبدن به قوة تكفي لحرث حقل كامل بمفرده أوأحيانا به

ضـــعف نابـــع من سوء التغذية يعاني منه الملايين في مصر لكنه لـــيس مبررا للتسول وأحيانا به قوة يتصنع لها ضعفا يرسمه على وجهـــه بجدارة تليق بممثل تلفزيوني عتيد. لكن إعراضك هذا لن يمـــنعه عن مطاردتك ممعنا في التذلل فيظهر لمن لايعرف حقيقة الأمر أنك من الذين قست قلوبهم فهي كالحجارة، بل وربما حدثتك نفسك لائمة لك كيف تستكثر على من هو أفقر منك بضع جنيهات يقمن صلبه حتى لو كان صلبه قائما أمامك يخزي العين، المهم أن تعطـــي أو تمـــنع مـــن غير أن تحدثك نفسك بتغيير المنكر الذي يرتكبه ذلك الشحط وزملاؤه في حق بلادهم وحق أنفسهم، لأنك لو فكـــرت أن تفعل ذلك ولو حتى بتوجيه نظرة استنكار ساخطة إليه لـــوجدت نظـــرة المسكنة قد اختفت من عينيه وحلت مكانها نظرة شر تكشف عن قدرة على الفتك بك لو سيحت وعملت فيها حامي سمعة مصر، أو فكرت أن تلقي عليه درسا في الأخلاق تتهمه فيه بأنه شذ عن أعراف الشخصية المصرية التي تقبل العمى ولاتقبل مـــد اليد، وأنه يمكن له أن يبحث عن أي شغلانة شريفة حتى لو كـــان الـــوطن من حولها مليئا بالكاسبين بغير ماشرف أو شغل. وكـــأن فـــساد حال البلاد مبرر لكي يفقد المواطن المصري آخر مايبقى لديه من شرف كان يفتخر بأنه ماحيلتوش غيره.

كـــان المألـــوف حتـــى سنوات قليلة مضت أن يتجمع عمال النـــضافة حول من يرغب من المحسنين في توزيع حسنة قليلة أو كثيرة، كما كان من المألوف أن يقوم أصحاب الدكاكين والمحلات والبـــيوت بإعطـــاء مـــبلغ رمـــزي شهري للعمال الذين يقومون

www.alkottob.com

بتنـــضيف الشارع، ولم يكن على ذلك أي غبار، بل على العكس كـــان دلـــيلا علـــى قـــوة التكافل الإجتماعي بين المصريين، لكن مايحدث الآن لاعلاقة له بالتكافل الإجتماعي من قريب أو من بعيد بـــل له علاقة بتربية جيش جرار من المتسولين الذين يرتدون زيا رسميا، جيش سيدمن الحصول على المال السهل الذي لو منع عنه لكـــان جاهزا للفتك من أجل الحصول عليه لكي لايعود ثانية لبذل مجهود من أجل الرزق.

الخطيـــر وهو ماعلمته من أحد هؤلاء العمال الذين لاحظت أنه يقف ليتسول بينما لايمتلك مقشة أساسا، أعطيته عشرة جنيهات مـــرة واحدة وقبل أن يقول لي كل سنة وانت طيب عشر مرات، قلت له أنني أقوم بعمل فيلم سينمائي بطله عامل نضافة وأريد أن أعـــرف مـــنه الصعوبات التي تواجهه في عمله لكي أقوم بتخليد مهنـــته على الشاشة، ضحك وسألني عن صدر أحد الممثلات هل هـــو طبيعـــي ولامعمول زي مابيقولوا، فاستغربت سعة مداركه، وقلـــت له "مش هاجاوبك إلا لما تحكي لي ليه مش شايل مقشة"، عندها أفضى به التباسط لإذاعة سره الخطير وهو أنه ليس عامل نـــضافة أساسا، بل إنه يقوم بتأجير البدلة من صاحبها الذي يعمل فـــي هيـــئة نظافـــة القاهرة مقابل عشرين جنيها في اليوم يأخذها صاحب البدلة دون أن يطمع فيما يناله المؤجر حتى لو جمع آلاف الجنيهات، ولكي يبرهن لي على أن لديه ضميرا قال لي أنه عندما تـــزيد غلـــته أحيانا ويبارك الله له في الرزق يقوم بزيادة صاحب الـــبدلة قليلا عشان ربنا يبارك له فيها، وقال لي أن صاحب البدلة

غلـــيان ومعـــذور لأن "الحكـــومة موظفاه بمية جنيه بس ولما هو وزمايلـــه قالـــوا للحكـــومة إن مـــية جنـــيه شوية قالوا لهم انتو وشـــطارتكو.. اللـــي تاخدوه من الناس حلال عليكم" – أقسم بالله أننـــي أنقل هذا الكلام حرفيا دون تدخل مني – . سألته هل يفعل ذلـــك الكثير من زملائه فقال لي "بص لما تلاقي حد ماشي لابس الـــبدلة دي – لاحـــظ أنـــه يسميها البدلة – وماسك في إيده كيس إعـــرف إنـــه زي حالاتي، عشان الكيس بيبقى جواه هدومه اللي بيلبـــسها أول مايرجع البدلة ويحاسب صاحبها"، حاولت السيطرة علـــى دهـــشتي خاصـــة بعد أن فهمت سر الكيس الذي كان يثير دهشتي دائما. أخرجني سؤاله من ذهولي "هه قول ياباشا صدرها طبيعـــي ولا معمول"، قلت له "لا صدرها ده زي البدلة بتاعتك.. مأجراه".

أخيـــرا عزيزي القارئ كنت سأقول لك كل سنة وأنت طيب ومبارك، لكني لاأريد أن ترد عليّ ردا لاإراديا فنخسر بعض.

www.alkottob.com

مما شكّ فيه!

www.alkottob.com

ممـــا شك فيه أن يكون انتشار رائحة البول المشهورة شعبيا بإسم "الصنان" في الكثير من شوارع مدن بلادنا والتي تعد للأسف من أقذر شوارع العالم أمرا مرتبطا بالإنفجار السكاني وأخلاقيات الـــزحام كمـــا يدعـــي دائما أهل الحكم ومن لف لفهم من الكتاب والباحثين، بدليل أن الصين أم المنفجرين سكانيا في العالم لايوجد بها مايوجد في بلادنا من مناظر مؤسفة لاتسر الناظرين.

فـــي الأســـبوع الماضي قابلت صحفيا صينيا جاء في مهمة صـــحفية للقاهـــرة، ولمد حبل الود سألته عن إنطباعه عن القاهرة التـــي اتـــضح أنـــه مقيم فيها منذ عدة أسابيع، لم يكن لدى الرجل مايجبـــره على النفاق أو المجاملة، قالها بدون مواربة "كان يمكن لـــبلدكم أن تكون جميلة لكني لاحظت أن عمال النظافة لايريدون تنظـــيف الشوارع، هل هم في حالة إضراب؟" قلت له " لا هم في حالـــة إســـتنطاع"، لم يفهم قصدي وأضاف أنه لاحظ أنهم يطلبون نقـــودا من المارة بكثرة، قلت له ساخرا وأنا لاأدري كيف أقول له الحقيقة "هؤلاء ليسوا عمال نظافة بل هم متسولون قررت الحكومة أن تقـــوم بعمل يونيفورم رسمي لهم لكي يتمكن المواطن والسائح مـــن تحديـــدهم"، قـــال لي " لكن هناك آخرين يتسولون بدون أن

www.alkottob.com

يـرتدوا اليونـيفورم"، قلت له " هؤلاء لم يحصلوا على تراخيص بالتـسول وهو مايعرضهم لعقوبات قاسية"، هز رأسه كأنه معجب بالفكـرة ثـم قـال " لكن لابد أن نبحثوا عن أحد ينظف القاهرة خـصوصا أن كثيرا من الشوارع الجانبية التي دخلتها تفوح منها رائحة البول"، لم أعرف كيف أرد، فكرت أن أمضي في سخريتي فأقـول لـه أن تلك عادة مصرية قديمة لزيادة الإرتباط بالأرض، وأن الأبحـاث أثبـتت أن تبولنا في أرضنا يغني تربتنا بالأملاح فيـزيد مـن تماسكها ويحمينا شر التجريف والإنهيارات الأرضية الشائعة في الصين، لكنني اتخنقت من رائحة الشوارع التي ذكرني بهـا كلامه فتمنيت له إقامة طيبة في القاهرة ونصحته بأن يركز خلال الفترة الباقية مع الشوارع الرئيسية.

تـركت أخانـا الـصيني ذا الأنف الحساس وخواطر كثيرة تتصارع في ذهني، أهمها أن من السهل بعد محادثة كهذه أن تلقي باللوم على الساكن الأصلي لمصر الذي يجيب لبلده الكلام بإدمانه الطرطـرة علـى أرضها، لكن معرفتك الوثيقة بالسكان الأصليين لمـصر لايجـب أن تـوقعك في حكم خاطئ كهذا، فأنت تعلم أن الـناس فـي بلادنا يفعلون ذلك لأنهم لم يجدوا من يحترم آدميتهم ويـنشئ لهم مراحيض عامة في كل مكان، كما يوجد في كل بلاد الدنـيا المتحضرة، فلايمكن أن أتصور أن هناك مواطنا مهما بلغ فقره أو ازدادت وطايته سيقف ليتبول تحت كوبري بينما يمكن أن يكـون إلى جواره مرحاض عام نظيف ومتاح له ولغيره مجانا أو بسعر رمزي كما هو الحال في كل بلاد الدنيا المتحضرة.

ببـساطة هذا المواطن الذي نلقي على عاتقه مسئولية رائحة شوارعنا الكريهة، لم يفكر أحد من حكام مصر في كيف سيقضي حاجـته فانشغلوا بالتسابق لإفتتاح الكباري والأنفاق دون تزويدها بـأهم المـرافق الـصحية، ولذلك فقد قرر أن يحتفل معهم بتلك الكباري والأنفاق على طريقته ليقوم بتحويلها إلى مراحيض عامة تعبق بأحط روائح الصنان.

ممـا شـك فيه ياقوم أن المواطن المصري يوسخ بلاده لأنه يـشعر بإسـتبداد حكامها وفسادهم، فثمة بلاد عربية كثيرة تحفل بالإستبداد والفساد، وشوارعها من أنظف مايمكن ولايمكن أن تجد فـيها أحـدا يتبول في الشارع، سوريا على سبيل المثال أو حتى الصين نفسها، فوطأة الإستبداد في تلك الدول جعلت للدولة سلطانا يخشاه من يريد مخالفة القانون أو تشويهه، العكس تماما ستجده في الـدول المتحضرة حيث يشعر المواطن بروح المسئولية عن بلاد هو شريك في صنع تقدمها وهي لاتحرمه من خير ذلك التقدم، أما فـي بلادنا فقد فكت الحكومة الإرتباط بينها وبين المواطن، ولذلك فهـي تتـركه يفعـل مايريد مقابل أن يطرمخ على فعلها بالبلاد ماتـريد، لم تعد معنية بحل مشاكل المواطن لا في الأكل ولا في تـصريف الأكـل، وصـار مطلوبا منه أن يسلك نفسه ويتصرف بمعرفته، المهم أن يحدث ذلك بعيدا عن عينها، محاولة أن تغمض عينها وتتجاهل رائحة الصنان التي تتعالى يوما بعد يوم في أرجاء الوطن.

هـنا أتذكـر أنني قرأت قصة للكاتب التركي الساخر مظفر

www.alkottob.com

أوزغو في مجموعته طاقم الباندو عنوانها "من يتبول هنا فهو حمار" كانت تعالج مشكلة تبول المواطنين على الحوائط وكيف حاول صاحب إحدى الحوائط أن يغير ذلك بكتابة عبارة من يتبول هنا فهو حمار فأدى ذلك إلى استفزاز الناس ودفعهم لإغاظته أكثر ليس بإدمان التبول على حائطه بل وبكتابة عبارات مستفزة له وإضافة كلمة لا إلى الجملة التي كتبها لتصبح "من لايتبول هنا فهو حمار"، قرر الرجل أن يشتكي إلى المحافظة ففوجئ بها تغرمه مائة ليرة لأنه لايحافظ على الصحة العامة وفتح مبولة دون ترخيص، وبعد أن وجد أن الأمر لن يجدي قرر الرجل أن يقف إلى جوار الحائط ويبيع مناديل للراغبين في التبول مقابل أجر، فتمكن من القضاء على المشكلة تماما. ولأنني كنت قد قرأت قبل قصة أوزغو قصة للكاتب الكبير عزيز نيسين عن نفس الموضوع وبمعالجة قريبة جدا، فقد ظننت أنني سأرى في شوارع إستانبول وأحيائها الشعبية وتحت كباريها مأأجده في مصر تماما، لكنني لم أجد ذلك أبدا عند زيارتي لها، لماذا، ليس لأن مظفر أزغو ومن قبله عزيز نيسين كانا يتبليان على بلدهما، بل لأن بلادهما تغيرت وصار بها حرية سياسية إلى حد كبير، وحدثت بها تحولات إقتصادية وإجتماعية جعلت المواطن التركي يشعر أنه شريك في بناء بلده وأيقظ كل ذلك الروح القومية التي لطالما اشتهر بها الأتراك، وبرغم وجود مشاكل إقتصادية كبيرة في البلاد وعدم قضاء الحكومات المتعاقبة على البطالة والتضخم والفساد، إلا أن شيوع مناخ التغيير في البلاد انعكس على سلوك أهلها فعادت

بلادهم لتصبح جنة حقيقية تحتل المركز السادس في العالم من حيث الجذب السياحي، وهو درس ينبغي أن نتعلم منه أن "صنائنا" ليس قدرا مفروضا علينا، بل هو نتيجة طبيعية لسياسة ترك المواطنين يصارعون أمواج الحياة دون أن يشعروا أن هناك من هو يكترث بهم أو يأسى عليهم. ومما شك فيه أن يتغير هذا الحال المزري طالما ظل السكان الأصليون لمصر يرفعون ذلك الشعارالذي قالته لي جدتي رحمها الله وأنا ذاهب إلى الجامعة "يابني البلد بلدهم ويعملوا مابدا لهم"، وهو شعار تجد فيه وحده تفسيرا لظاهرة عمل المواطنين مابدالهم تحت كباري بلدهم.

www.alkottob.com

لماذا أكره موائد الرحمن؟

www.alkottob.com

صُـعِقت المذيعة البلهاء عندما قلت لها على بلاطة أنني أكره موائد الرحمن.

هـي طلبت الإجابة صريحة وأنا كنت سأجيب بصراحة حتى لو لم يكن هناك بلاطة.

أنا فعلا لاأحب موائد الرحمن. لاتتعجل الحكم علي وتتهمني بقسوة القلب وإنعدام الضمير وكراهية الخير لفقراء الناس. فأنا أكره موائد الرحمن لأني لاأطيق أبدا وتحت أي ظروف وفي ظل أي محسنات بديعية حقيقة أن يكون هناك في بلد هي في رأيي من أغنى بلاد العالم فقراء يضطرون لإنتظار شهر رمضان من السنة إلى السنة لكي يكون بمقدورهم شم رائحة اللحمة وهم موقنون أن بعضا منها سينزل لهم على طبق من رز ليأكلوا حتى الإمتلاء دون أن يكون ذهنهم مشغولا ولو للحظة بدفع الحساب أو التفكير في الهروب من دفع الحساب بمعنى أصح. سامحوني فأنا أجد من المخزي أن نفرح بأن لدينا مئات الآلاف من البشر لايأكلون الفراخ كل يوم إلا لمدة شهر واحد في العام وهم يعيشون في بلد الطيور الأول في القارة، قلت للمذيعة مستطردا أنني أتحدث عن الفراخ بمعناها الحقيقي صدر وورك وجناح وليست الفراخ

www.alkottob.com

المبذولة لفقراء مصر من رقاب ورجلين ومناقير ومالي ذلك من فرش الفرخة التي لم يعد ينجو منها لدى فقرائنا إلا الريش بعد أن فشلت حتى الآن كل محاولات توظيفه كنوع من الحلويات أو المحاشي، وطلبت منها أن تبادر بزيارة أي سوق للفقراء في أي منطقة عشوائية لترى كيف يتهافت الناس على شراء سقط متاع الفراخ فتفهم حقيقة سخطي.

كل هذا قلته للمذيعة التي بدأت عيناها تنهمر في بكاء اضطرنا لوقف التسجيل حتى تتمالك نفسها، قلت لها وقد صعبت عليّ أنني آسف لأنني طسست وجهها بالحقيقة المرة، قالت لي بعد تنهيدة عميقة أنها تبكي لأن هذه الحلقة لن تذاع بسبب ماأقوله وسيكون واجبا عليها أن تبحث عن ضيف جديد للتسجيل معه قبل الوقفة، نظرت إلى معد البرنامج إبن دفعتي في الكلية شزرا ثم نهضت غاضبا وأنا أبرطم بالدعاء على تلك المذيعة أن تلقى يوما مصير الدكتورة عبلة بطلة مسلسل قضية رأي عام على يد مغتصبها سيد شكمان، لكنه ابتلع غضبي عندما وضع يده على رأسه مقلدا طريقة صديقنا الممثل أشرف مصيلحي في المسلسل وقائلا لي " على راسي ياباشا"، ضحكت من قلبي، فاستغل زميلي ضحكي ليوجه لي جملة أكثر من شتيمة حارقة خارقة تذكرني بالذي مضى دون أن يفقد أصله ويذكرني به تفصيلا، ربما لأن منظرنا كان سيكون وحشا جدا لو ذكرني صراحة أمام الناس أنني تعرفت على البفتيك والنجرسكو والجمبري الجامبو في بيتهم وعلى يد المرحومة والدته.

طعم أكل والدته الساحر تفجر في ريقي كأنه نبع ثجاج فرقق قلبي عليه وعلى المذيعة البلهاء، لممت نفسي وعدت إلى التسجيل محاولا تسنيد كبريائي على حيله بالدمدمة بعبارات من نوعية " لما إنتو مش قد الكلام الجرئ جبتوني ليه.. ماالليي ممكن يقولوا كلام يبسطكو كتير.. عموما لو عايزين نقلبها هجايص وماله.. اتفضلي ياأستاذة إسألي السؤال تاني"، أخذت نفسا عميقا لأهدأ تماما متشجعا بفعل نظرات الإمتنان المنبعثة من عيني صديقي والتي عكرها دون قصد تأثير واضح منبعث من جملة " الله يرحم زمانك ياواطي" التي سمعتها تتردد في وجدانه بقوة الآن، أو إن جئت للحق منذ اتصل بي لحضور الحلقة وتحججت بضيق الوقت.

هي أعادت سؤال عن رأيي في مشهد موائد الرحمن المنتشرة في شوارع مصر وأنا انطلقت كتوك توك يطوي الفلا طيّا، "الحقيقة إن العين لتدمع والقلب ليحزن وإنا على فراق رمضان محزونون لأنه سيحرمنا من مشهد موائد الرحمن الفظيع، إنتي عارفه سيادتك إني بأنزل ساعة الفطار مخصوص وأسيب بيتنا ومابه من أكل يسر الناظرين لكي أستلذ بالنظر إلى أيدي أبناء مصر المعطاءة وهي تتسابق على خطف أطباق الرز بالشعرية الذي تزينه حتة لحمة أو حتة ونص في أحسن الأحوال، ياسلام إيه العظمة دي، في بلد في الدنيا فيها الكم ده من الناس اللي ماعندهاش بيوت تفطر فيها، الله، ده شيئ بجد يفرح، فعلا مصر بخير طالما فيها كل الفقراء دول اللي بيزيدوا يوم عن يوم، أصل الفقراء ملح الأرض زي مالإحنا عارفين، وأنا خايف على مصر

www.alkottob.com

عشان كده بقى ملحها زيادة وده ممكن يرفع لها الضغط لاسمح الله.. طبعا إحنا عارفين الفقراء موجودين في كل العالم زي ماإحنا عارفين وده شيئ مايعيبناش، حتى البلاد الصناعية الكبرى فيها متشردين في الشوارع وفقراء مدقعين، لكن هناك لإن في صقيع يسود القلوب الحكومة بتديهم إعانة فقر، إنما حكومتنا بتديهم على قفاهم عشان مايدمنوش المعونة، بس قلبها بيرق عليهم في رمضان فتبسيبهم يطحنوا بعض بالبواني واللكميات عشان يلحقوا معونات المحسنين.. وبتوفر للمحسنين الكرام قطع الأرض اللازمة لرص الكراسي والترابيزات والغرف في الأطباق والكوبايات.. دون أن تفرض على هؤلاء الفقراء رسوم ولا غرامات ولا ضرائب لأنهم على عكس المفترض في مجتمع لم يعد اشتراكيا بعد تعديل الدستور يأكلون بدون أي مجهود".

حال المذيعة أثناء كلامي كان يصعب على الكافر، فقد كانت مضطرة للتفكير ألف مرة بين نزع الإبتسامة البلهاء من على وجهها واستبدالها بتقطيبة عدم فهم، لكن زغرات زميلي المعد لها من وراء الكاميرا وإشارته بإصبعه إشارة كادت تكون بذيئة بأن تنتقل إلى سؤال آخر، نظرت إلى الورقة مرتبكة ثم قالت لي " عايزه أسألك - شالت كلمة حضرتك من ساعة ماأعدنا التسجيل.. عادي - مشهد موائد الرحمن الجميل اللي بيفكرنا بإن الدنيا لسه بخير مش ممكن يوحي لك كسيناريست بفكرة فيلم ؟"، كدت للحظات أواصل نهجي التهجيصي حتى يعدي البرنامج على خير، لكن سؤالها الأبله كان وسبحان العاطي الوهاب، كمستصغر

الشرر الذي يوقد معظم النار، فجأة انتابتني موجة عارمة من الشجن بعد أن أعادني سؤالها إلى يوم رمضاني لم يكن مباركا بالنسبة لي مع أنه كان كذلك على العالم أجمع، فهمت صمتي خطئا فقالت لي " مش لازم فكرة فيلم كامل يعني.. ممكن حتى فكرة مشهد درامي لو حبيت"، فجأة وجدتني أقول لها وأنا أغالب رغبة عارمة في البكاء "الحقيقة أنا مضطر أصارحك بإني مش هاقدر أبدا أكتب مشهد زي ده لإني في الحقيقة على المستوى الشخصي باكره موائد الرحمن.. أنا عارف إنها شيء عظيم ورائع وبيدل على قد إيه بلدنا في خير.. بس أنا باكرهها لسبب شخصي جدا.. أصلها مرتبطة بموقف حصل معايا سنة ٩٢ يعني من ييجي خمستاشر ستاشر سنة"، كادت توقف التسجيل من إرتباكها لولا أن أشار إليها صديقي بإصبعه السبابة والوسطى لكي تكمل التسجيل منتظرا حكاية حراقة تملأ فراغ الكلام الذي قلته آنفا والذي يعلم بخبرته أنه لن يذاع أبدا.

" أيامها كنت ساكن في غرفة حقيرة في شقة أحقر في شارع ليس حقيرا متفرع من شارع المحطة في الجيزة.. كنت طالبا في سنة تانية من كلية إعلام بكره شهور السنة الدراسية كلها لكنه بخص شهر رمضان والعياذ بالله بكراهية عميقة لأن جلوسه وحيدا فقيرا غريبا ساعة الإفطار كان يهشم قلبه تهشيما.. كان ساكن معايا شيف سندوتشات من الفيوم بس كان المحظوظ بيفطر في المطعم اللي بيشتغل فيه في وسط البلد وساعات يسافر لبلدهم القريبة من الجيزة.. أنا بقى ماكنتش أقدر أسافر اسكندرية غير

www.alkottob.com

يومين في الأسبوع.. وميزانية السفر كانت بتبهدل الدنيا فكان الامر بينتهي بيا.. متنيل على عيني في الأودة الحقيرة في الشقة الأحقر.. مجبرا بحكم قانون ألا يزيد ماأصرفه في اليوم عن أربعة جنيهات على أن يكون مينيو الأكل متنوعا مابين الفول والبيض والطعمية والزبادي وشوية بطاطس ومخلل وبتنجان مع تغيير البيض يومين في الأسبوع بعلبتين تونة مفتتة لأن علبة التونة القطعة الواحدة أغلى.. تخيلي كانت الأربعة جنيهات تجيب كل ده ساعتها.. كنت باحاول أدلع نفسي بإضافة القوطة والبصل والخضرة إلى الفول عشان يبقى فول بالخلطة وإلى البيض عشان يبقى شكشوكة.. كان كل ده بيخلي الأكل محتمل ولذيذ خصوصا مع برامج إذاعتي البرنامج العام والشرق الأوسط اللي كانت في إعتقادي هي اللي بتبلع الأكل وساعات بتحليه وبتعمل مع كوباية الشاي الكشري العظيمة تفاعل كيميائي يحدث نفس مفعول الخارج توا من مطعم أبو شقرة فرع مصطفى محمود.. هتقولي لي وإيه اللي يخليك تفطر لوحدك أساسا.. بصراحة عمري ماكنت باقتنع بفكرة إني أروح موائد الرحمن عشان آكل أكل سخن.. إذا كنت بارفض عزومات صحابي أساسا عشان عندي عقدة فقر بتخليني أحس إن الكون كله حاسس بفقري وبإنه عايز يبقشش عليا أو يهين كرامتي اللي ماحيلتيش غيرها.. في اليوم اللي باحكي لك عنه أنبوبة البوتاجاز خلصت فجأة.. قعدت مذلول ساعتين في مايفترض أنه بلكونة.. إن أي حد يعدي من بتوع الأنابيب اللي بيصحوني كل يوم برزعهم وخبطهم.. مافيش فايدة.. فجأة كبس

عليا الفطار.. إستحالة آكل الأكل ساقع كده.. بدأت أحاول منع نفسي من البكا.. فجأة خدت قرار ثوري إني النهارده مش هاكل لوحدي واضطر آكل أكل ساقع.. أنا النهارده هاكل أكل سخن على مائدة رحمن واللي يحصل يحصل.. العشر دقايق اللي كانت فاضلة كانت يادوبك تكفي إني آخد الشوارع فزح لغاية ماأوصل جامع الجمعية الشرعية اللي في ميدان الجيزة.. لإني ياما سمعت من أصدقاء رفيق سكني الفيومي سمع خير عن أكل مائدة الرحمن الفاخرة التي تقيمها الجمعية.. زائد إن ميزتها إنها بتتعمل جوه الجامع.. يعني لن أكون مضطرا لمكابدة مشاعر أحمد زكي في أنا لاأكذب ولكني أتجمل أو تمثل آلام سعاد حسني في خلي بالك من زوزو لو مر أحد زملائي وشاهدني أجلس مع العامة والدهماء في مائدة رحمن.. ألا يكفي مأكابده من تعليقات على مظهري الرث وملابسي المبهدلة غير المتناسقة ورائحتي التي تفوح أحيانا بفعل إنقطاع المياه المتكرر.. قبل آذان المغرب بدقائق وصلت وإلى جامع الجمعية الشرعية الكبير دخلت.. اخترت موقعا استراتيجيا قريبا من الباب الذي علقت عليه لافتة بخط أنيق كتب عليها (مائدة الرحمن ترحب بضيوف الرحمن الكرام)، ياه ياربي.. قد إيه هزتني فكرة إني النهارده من ضيوف الرحمن.. كل اللي كان جوايا من مشاعر تتأرجح بين الإهانة والحرج راح وحسيت بدفء فظيع وقعدت الدقائق الفاضلة لحد معاد إنطلاق مدفع الإفطار استغبي نفسي وأتهمها بأنها معقدة وملیانة كلاكيع.. وإنها حرمتني من خيرات الرحمن اللي أنعم بيها على ضيوفه..

www.alkottob.com

الحقيقة روائح الأكل الخلابة الفتانة التي كانت مختلطة بزفر حقيقي من الذي افتقدته منذ سنوات.. خلتني أقسى على نفسي أكثر وأكثر لدرجة أنني بدأت أشتمها بصوت عال.. لكني توقفت لما حسيت من نظرات بعض الإخوة المشايخ اللي جنبي إنهم ممكن يفتكروني ملبوس وساعتها ممكن يطرحوني أرضا.. ويقف أحدهم في ودني ويصرخ فيها لغاية مايفقع طبلة ودني "أخرج ياعدو الله".. سألت الله لنفسي الهداية وأن يجعلني أدرك حقا لاصدقا أن الفقر ليس عيبا خصوصا لو كان من أجل تحقيق هدف وغاية.. فجأة اختفى كل مابي من ذلة وانكسار وأصبحت أشعر كأني عفاف شعيب تقف بكل صلابة الدنيا في مواجهة يوسف شعبان في المشهد والدموع مسلسل الفقراء الأكثر تفضيلا في تاريخ مصر.. أدركني أذان المغرب فحمدت الله أن قرب البعيد.. دار علينا غلمان غير مخلدون من أبناء الجمعية الشرعية بتمرات يقمن صلبنا وأكواب مية وتمر هندي من النوع الفاخر.. كنت حاسس إني باشرب من نهر من أنهار الجنة من شدة عطشي المادي والروحي في نفس الوقت.. كنت أظن أن الصلاة ستقام على الفور بعد إنتهاء الأذان لكي يتمكن الجميع من المسارعة إلى الإفطار.. لكني اكتشفت أن الجميع قام لأداء صلاة سنة المغرب.. بيني وبينك كنت هفتان جدا.. فكرت إني أريح شوية وأطلب كوباية تمر هندي تانية.. لكن خبطة تلقيتها في رجلي من رجل رجل ملتحي سبقني للقيام ألغت الفكرة.. قاومت بصلابة مقاتل من حزب الله تأثير قصف الروائح المنبعثة من مؤخرة المسجد وأنهيت

ركعتي السنة وأنا أحاول ألا تزهق روحي الجائعة تقتي في حرص أهل الجمعية على السنة المطهرة.. أعطاني أملا أن صلاة المغرب هتخلص قوام قوام كما أوصى سيدنا النبي في حديثه إذا أمّ أحدكم الناس فليخفف فإن منهم الضعيف والمريض وذا الحاجة، لكني لم أكن أعلم أن إمام الجامع يومها لم يكن قد سمع على مايبدو بهذا الحديث أو ربما قال له أحد إنه حديث ضعيف، ولذلك فقد صلى بنا صلاة مودع حتى كدنا نودع فعلا من فرط الجوع، الحقيقة أنا صليت قبل كده وأنا باحاول أقاوم النوم، وصليت قبل كده وأنا باحاول أقاوم الإستماع إلى كاسيت بيذيع أغاني باحبها وأنا باصلي، وصليت قبل كده وأنا باغض البصر وإحنا بنصلي في الشارع في إسكندرية، لكن كانت أول مرة أصلي وأنا باحاول أغض الشم، لدرجة أني كنت في الركعة الأولى باصلي وأنا باسد مناخيري عشان ماأشمش روائح الأكل، لولا إني رفعت أصابعي عن أنفي بعد زغدة من جاري الذي ربما تخيل أني غير معجب برائحة المسك التي "دهنن" بها إيدي قسرا قبل الصلاة، لاأعتقد أبدا إن ربنا قبل صلاتي في ذلك اليوم الكئيب لإني بجد كنت عايز أشق الصفوف وأنقض على الإمام وأنهال عليه ضربا لإنه بجد فاهم الإسلام غلط.. الإسلام دين الرحمة ومش من الرحمة بتاتا إنك تنل كذا مائة جائع من ضيوف الرحمن يقفون خلفك بعد أن أكلوا لحم بطونهم من شدة الجوع.. مش عايز أقول كل الأفكار اللي كانت في خيالي وقتها عشان ماحدش يفهمني غلط.. مع إن ربنا أرحم بي من عبيده وعارف بحالي وقتها.. المهم وبعد طول

www.alkottob.com

إنـتظار وبعد بلاد تشيلنا وبلاد تحطنا.. وصلنا أخيرا إلى التشهد الـذي أعـتقد أن الإمام قرأه سبع مرات.. ده التفسير الوحيد للمدة الطـويلة اللي استغرقها وهو بيقرا.. لدرجة إن صباعي اتلوح من كتـر الـتلويح بيه أثناء التشهد.. المهم وصلنا إلى لحظة الحقيقة وسـلم الإمام.. لم يكد يكمل السلام عليكم الثانية حتى كنت وأغلب مـن فـي المسجد قد وثبنا من أماكننا كنمور أفريقية جائعة تتدافع بإتجاه باب مائدة مضيفنا الذي هو بالتأكيد أرحم بنا من هذا الإمام الجائـر.. فجـأة وجدت يدا تمسك بي بغلظة لتعيدني إلى مكاني.. وهـو أمر مش سهل لو أدركت أنني وقتها كنت أتخن من دلوقتي مـرتين.. كانـت تلك اليد تخص جاري الزاغد لي مرتين.. مرة بـرجله لكـي أصـلي السنة ومرة بيده لكي أرفع يدي من على مناخيري.. قال لي والشرر يطق من عينيه " يأخي اتق الله واختم صلاتك لكي لاتفقد الأجر"، قلت له باستغراب " مانا مصلي معاك تلات ركعات وخاتم الصلاة.. مش المغرب تلات ركعات"، تحول الـشرر في عينيه إلى لهب وقال لي " إنت هتهزر في بيت الله.. مـش كفايـة صباعك اللي عمال تلف بيه وخايلتنا طول التشهد.. يأخـي دي بدعة مستفزة مش عارف خدتوها منين"، كنت أستمع إليه وأنا أرى باب مائدة ضيوف الرحمن وقد سدته الكتل البشرية حتـى أصبح لايكاد يبين من الزحام، قبلت رأسه وقلت له "أوعدك لـو ربـنا جمعـنا وصلينا جنب بعض سوا .. لو شفت صباعي بيتحـرك بعد كده في التشهد اكسره ولا تثريب عليك"، ثم اندفعت جاريـا لألتحم بالكتلة البشرية الزاحفة دون وعي نحو باب المائدة

الـذي لايكفي لدخول ربع المتدافعين عليه بأي حال من الأحوال.. فجـأة وبـدون أي مقدمات طلع علينا من ثنيات المسجد وجنباته عـشرة مـن الشحوطة.. لولا ملابسهم الناصعة البياض لظننتهم عساكر أمن مركزي مخضرمين.. في يد كل منهم عصاية مكنسة لاتخطئ غلظتها العين.. وابتدوا ينهالوا ضربا علينا نحن ضيوف الـرحمن.. ربـك والحـق أنا للحظات تجمدت مش من الرعب والهلـع.. لا من عدم الفهم.. سألت نفسي.. هو أنا فين بالضبط.. هل أنا في مائدة فيفي عبده اللي كانت سمعتها وقتها إنها مائدة فيها سـيكيوريتي.. ولا أنا واقف على باب سينما يوم العيد وباتضرب بإحزمة العساكر.. ولا أنا في مظاهرة بتهتف باحرية فينك وفينك أمـن الدولـة بيننا وبينك.. فوقني على حقيقة إني في جامع.. في بـيت مـن بيوت الله.. صوت الإمام في الميكروفون وهو بيهتف بالإخوانـي النظام لو سمحتم عشان كده مش هينفع.. اتقوا الله في أنفـسكم.. كنت فاهم إن الضرب هيوقف بعد طلبه بتقوى الله لكن اتـضح أنه زاد شراسة لأنه طلع بيطلب التقوى من الجعانين اللي بيتـضربوا مش من اللي بيضربوا.. بصيت في عينين اللي حواليا شـفت تعاسـة وبؤس وإستسلام مرير خلوني أحس إني على كل مـاأظن أننـي فيه أعتبر محمد الفايد بعد خمس دقائق من تسجيله محـلات هـارودز بإسـمه في شهر لندن العقاري.. فجأة لقيتني بأعـيط عياط هستيري.. عياط عمري ماعيطته في حياتي لا قبل ولا بعـد.. كرهت العلم والأحلام والطموح والمجد المتخيل.. لو كـنت قعدت ثواني أكتر.. كنت كرهت نفسي كمان.. وأنا عمري

www.alkottob.com

ماكرهت نفسي.. ابتديت أزق بايديا زي المجنون في كل حتة وأنا باصرخ صرخات هستيرية مش مفهومة يمكن لإني ماكنتش لاقي كلام يتقال.. ضربة عصاية نزلت على كوعي شعللت ناري أكتر وطلعت من جوايا طاقة مجنونة خلتني أطيح في كل اللي حواليا.. وأنا شايف قدامي باب الجامع من بعيد وباحلم إني أوصل له بسرعة وأخرج من بيت الرحمن اللي استولى عليه البشر بغلظتهم وقسوتهم.. كل اللي كنت عايزه يحصل وقتها إني أرجع عيل صغير بيتزاحم مع إخواته على الطبلية وأمي بتوزع علينا حتت اللحمة المعدودة سلفا.. وبتشخط فينا إن كل واحد ياكل مذابه وبس.. لولا الملامة كنت وقفت في ميدان الجيزة اللي كان ساعتها فاضي قوي وموحش قوي زي قلبي، وصرخت بجنون "أنا عايز أروح لأمي.. روحوني لأمي أبوس إيديكو".. ساعتها حسيت إن كل الحاجات اللي كنت فاكر نفسي متأكد منها ساعتها شكيت فيها.. ساعتها بس فهمت ليه سيدنا علي كان بيقول لو كان الفقر رجلا لقتلته.. أنا بيني وبينك كنت عملت فيه حاجة ألعن من القتل.. مش هينفع أقولها.. يمكن الشيء الوحيد اللي خرجني من حزني وسكت بكايا هو صوت ترزيع بتاع أنابيب على أنبوبته جنب البيت الذي وصلت إليه بعد ساعتين من المشي هائما على وجهي مع إنه زي ماقلت لايبعد أكتر من عشر دقايق عن ميدان الجيزة.. هو صوت ترزيع بتاع أنابيب.. كان بالنسبة لي صوت الأمل يعيد إلى من جديد إحساس أنني يمكن أن أعيش شبعانا ومحتفظا بكرامتي في نفس الوقت.. ومن يومها وأنا أكره موائد

الرحمن كراهية العمى.. تفتكري ممكن الرقابة تعدي المشهد ده".

فجأة أخدت بالي أن المذيعة منهمرة في بكاء كاد يتحول إلى نشيج حاد، وأن التسجيل توقف على مايبدو منذ فترة دون أن آخذ بالي، لأن صديقي المعد كان داخل الكادر يحاول تهدئة المذيعة، لم أفهم ماالذي حدث، هل كانت حكايتي ثقيلة الوطأة عليهم إلى هذا الحد؟، كنت على وشك أن أبدأ في الحلفان لصديقي أنني لم أكن أقصد أن أنكد على أحد وأن تداعي الحديث هو الذي جعلني ذاهلا عن نفسي وعما حولي، لكنني فوجئت به يقول لي مبتسما إبتسامة ظفر لم أفهمها أبدا وهو يقول " حلو قوي ياقمر بس هنضطر نعيد تاني عشان نحذف حتة في النص عشان الحكاية الفظيعة دي تتذاع.. إنت إزاي عمرك ماحكيتها لنا ياأخي.. إوعى تكون مألفها على الهوا"، فجأة علا صوت المذيعة وهي تقول باكية " مش معقول يعني كل ده هيتعاد.. هاستحمل الكلام ده كله من تاني.. ماكنتو توقفونا من بدري"، زاغت نظراتي حائرة بين المذيعة والمعد الذي محوته للتو من قائمة أصدقائي وإلى الأبد، ظننت أن ذكر إسم الجمعية الشرعية هو الذي يمكن أن يثير المتاعب للبرنامج، فقلت بحماس " ذيعوا الكلام ده على مسئوليتي وأنا مستعد إني أحلف ميت يمين إن كل اللي باحكيه ده حصل.. وبعدين مش معنى إنه حصل في جامع تابع ليهم إنهم كلهم يبقوا وحشين.. إحنا ممكن نزود الجملة دي عشان مانظلمش الكل معانا"، فوجئت بصديقي يبتسم إبتسامة من لقى التايهة قائلا " حلو قوي.. الله ينور عليك.. لحقتنا.. ولو إننا كنا عايزين نعيد لسبب

www.alkottob.com

تانـــي.. عايـــزين نشيل الجملة اللي اتكلمت فيها عن ابو شقرة.. عشان ده يعتبر إعلان".

فـــي السابع من إبريل عام ٢٠٠٨ تناقلت وكالات الأنباء صورا حزينة التقطها مـــصور جـــريدة الـــبديل المستقلة لشباب من مدينة المحلة الكبرى تعرضـــوا للإصابة خلال المظاهرات التي اندلعت في المحلة يوم السادس من إبريل الذي كانت القوى المعارضة قد دعت لإعلانه يوم إضراب عن العمل.. رأى العالم بأسره في الصور المفزعة كيف يرقد الشباب المصاب على أسرة المستشفيات مغمى عليه من الإعياء والفزع والأسى.. وبرغم ذلك كان أولئك الـــشباب ويالله العجب مقيدين بكلابشات إلى الأسرة كأنهم من عتاة المجرمين.. هزتنـــي الـــصور من الأعماق فكتبت من وحيها هذا الخطاب الإفتراضي من مـــواطن محـــلاوي كليش حب الوطن في قلبه وكلابشات الوطني في يده إلى رئيس البلاد وحاكم العباد:

سيـــادة الرئيس ..

أريد أن أهرش

www.alkottob.com

سيادة الرئيس..

أكتب لسيادتك بالقلم الرصاص.. عنوان المحبة والإخلاص.

الكـــذب خيـــبة سيادتك. صحيح أن هذه الرسالة مكتوبة بقلم رصـــاص دفعنا رشوة لعم حسنين عامل النضافة لكي يدخله إلينا من ورا ضهر الحراسة، لكن الحقيقة أنني لست أنا الذي أكتب، بل أنـــا أملـــي هذه الرسالة على مريض يزاملنا في العنبر طلب عدم ذكر إسمه، برغم أن الدكاترة قالوا أن أمامه بالكثير أسبوعين لكي يـــريح ويستريح، أي أنه ليس لديه مايخشاه، لكنه يخشى أن يطلع تـــشخيص الدكاتـــرة خطـــئا ويكتب له عمر جديد فيكمل جلسات العلاج في السجن. والحقيقة أيضا أن حكاية القلم الرصاص كانت من بنات أفكاره هو ليس استرخاصا وإنما لأنه يرى أن ذلك يسهل التخلص مما كتبناه إذا حدثت كبسة على العنبر.

كـــنت أتمنـــى أن أخط لسيادتك هذه الرسالة بيدي لكي تشعر بنـــبض مشاعري مباشرة، كان نفسي والله، لكن المشكلة أن يدي اليمنـــى غـــرزوا فيها إبرة المحلول الذي تقطمني الممرضة بأنه خـــسارة فـــي جتتـــي كلما قامت بتغييره، ويدي اليسرى كما تعلم ســـيادتك قـــيدوها بالكلابش إلى ضهر السرير المعدني، أنا آسف

www.alkottob.com

لأنني افترضت أن سيادتك تعلم بأن هذا حدث، فقلبي يحدثني أنك لاتعلم بأن هذا يحدث لأحد أبنائك، لكن لساني لم يطاوعني أن أقول أنك لاتعلم، لأن المفروض أن سيادتك تعلم بكل كبيرة وصغيرة في هذا الوطن، الحقيقة أن لساني طاوعني، لكن زميلي الذي يكتب مأأمليه عليه هو الذي نصحني بألا أفترض أن سيادتك لاتعلم بهذه الحال، لأن ذلك من الممكن أن يوقعني تحت طائلة القانون، وأنا اللي فيا مكفيني.

زملاؤنا المرضى الذين لم يحدد لهم الأطباء بعد موعدا لمغادرة الحياة، يقولون لي أنهم سمعوا طبيبا شابا إبن حلال يقول لزملائه الذين ليسوا كذلك أن صورتي وأنا نائم ويدي مقيدة في السرير تمكن مصور صحفي ماكر من إلتقاطها ونشرت في كل أنحاء الدنيا، ومع أنني فرحت عندما سمعت ذلك لأن صورتي وأنا متبهدل كل هذه البهدلة ستصل إلى سيادتك وستأمر بمعاقبة الذين كانوا وراء هذه البهدلة، إلا أن زميلي الكئيب الذي يستعد لمغادرة عهد سيادتكم إلى رحاب الله قال لي أن هذه الصورة ستجر لي مزيدا من الخراب والبهدلة، وأنه مش بعيد أن يقيدوا يدي الأخرى إلى الناحية الأخرى من ضهر السرير، فضلا عن تقييد قدمي الإثنتين إلى رجل السرير، وذلك لأنني تعاونت في صناعة صورة كهذه يمكن أن تظهر عهد سيادتكم على غير حقيقته، عهد يقيد المرضى إلى أسرتهم كما لم يحدث من قبل في العالم كله، هكذا قال زميلي الكئيب محذرا إياي، فجعل الخوف يكاد يجعلني أفعلها على روحي، لكنني امتنعت عندما تذكرت

مايمكن أن تفعله بي الممرضات لو حدث ذلك، أخذت أحلف بالله لسيادتك كأنك أمامي أنني لم أر جنس مصور منذ دخلت إلى هنا، وأنني كنت رايح في سبعين نومة لأن جسمي كله كان بينقح عليا من كتر الضرب، ظللت أرتجف من الخوف وأسح في الدموع حتى صعبت على كل من معي في العنبر، ولم يجعلني أتوقف عن الإرتجاف والبكاء سوى نزيل آخر طلب ذكر إسمه هو الحاج عبد البديع الذي دخل ليكشف على الكلى فاكتشف أن لديه كلية واحدة فقط والأخرى سرقت عندما دخل إلى المستشفى منذ سنتين لكي يستأصل المرارة، الدكاترة قالوا له أن كليته لم تسرق بل ذابت، وعندما اعترض قالوا له أن الله قادر على كل شيئ، فخاف أن يعترض لكي لاتطلع عليه سمعة أنه دانماركي مسيئ للإسلام، عم عبد البديع طمأنني قائلا أن ظهوري في الصورة نائما يمكن أن يطلعني من القضية صاغ سليم، فإذا كان الله عز وجل يسامح الذي يترك صلاة الجمعة إذا كان نائما، فكيف يؤاخذ عباده من كان نائما على تصويره أثناء النوم، زميلنا الكئيب سكت ممتعضا وهو ينظر إلى وأنا أحتضن عم عبد البديع وأدعو له الله أن يخرج من المستشفى ببقية أعضائه سالمة، وقاطع فرحتنا بقوله " طيب لو طلعت من قضية التصوير.. هتطلع إزاي من قضية الشغب ياخفيف"، عدت لأرتجف وأبكي فيما انقض عم عبد البديع عليه وطلب منه أن يعود ليتلقح في سريره متطوعا بمواصلة كتابة هذه الرسالة، ومقررا أن ينتقم من زميلنا الكئيب بذكر إسمه صراحة في هذا الخطاب لكي ينال جزاءه العادل، لكنني استحرمت وطلبت

www.alkottob.com

منه أن يتركه يموت في سلام على رجاء القيامة.

سيدي الرئيس.. أنا آسف لأنني لم أنقل لك تحيات عم عبد البديع وكل المرضى المجاورين لنا في العنبر، وعددهم عشرة فشل كلوي واثنا عشر فشل كبد وأربعتاشر أورام متفرقة، جميعهم حملوني أنا وعم عبد البديع السلام أمانة لسيادتك، وجميعهم ينقلون لسيادتك رغباتهم الحارة في أن تنظر إلى بعين العطف والحنان الذين تعودوه دائما كمواطنين في عهد سيادتك الذي نشأوا وترعرعوا وشبوا ومرضوا في ظله.

سأفترض أن سيادتك شاهدت الصورة التي يقولون أنها التقطت لي وأنا نائم، وعهد الله كنت نائما، وسأسأل سيادتك، أستغفر الله العظيم، تخيل سيادتك أن الشيطان وسوس لي أن أقول لسعادتك أن تضع نفسك مكاني وأنا في هذا الحال، بل ووسوس لعم عبد البديع أن يكتب ماقلته، والله سيادتك لو كانت يدي حرة طليقة لنهضت من فوري وضربت نفسي وعم عبد البديع والشيطان بالحذاء لكي لاينفث في العقد بخيالات مريضة مثل هذه، لكن يدي مقيدة ويد عم عبد البديع مشغولة بالكتابة، ولذلك اكتفيت أنا وعم عبد البديع بأن استعذنا بالله من الوسواس الخناس، فنحن لانحب أبدا أن نتصور سيادتك مكاننا أبدا، متعك الله بالصحة والعافية لأن مصر تحتاجك، أما نحن فلديها منا الكثير.

المشكلة أن الشيطان يجري فينا مجرى فيروس سي في الدم، ولذلك نعلم أنه سيعود إلينا طالبا أن نسأل سيادتك هل يرضيك أن يتعرض لما أتعرض له أحد أبنائك أو أقاربك، لو لاقدر الله دخل

المستشفى ذات يوم، لذلك لكي لايدخل الشيطان بيننا أبدا، قررنا أن نسأل سيادتك السؤال بشكل غير مباشر، هل يمكن أن يتعرض لما أنا فيه الآن من كلبشة في ضهر السرير إبن أحد الوزراء أو الكبراء أو اللواءات أو المحافظين أو رجال الأعمال؟.

كنا فرحين أنا وعم عبد البديع بهذه الصيغة للسؤال التي تخرجنا من أي مساءلة قانونية، وتوصل في نفس الوقت لسيادتك مانريد أن نقوله، لولا أن جاءنا من آخر العنبر صوت الكئيب إبن الكئيبة لكي يقول لنا " وهو في حد من دول ولا ولادهم ولا قرايبهم هيتعالج في مصر أساسا.. دول بيطلعوا من بره بره بيتعالجوا بره.. وبره مافيش كلابشات أساسا في الإقسام عشان يبقى في كلابشات في المستشفيات". لم نستطع أن نرد عليه الصراحة، ولذلك قررنا أن نبلغ عن إسمه، سيادتك إسمه عدلي عبد الشهيد، زملاؤنا المسيحيون يقولون أنه مسلم، ونحن نقول أنه مسيحي، وعندما نجتمع سويا نقول أنه زي الفقر مالوش ملة.

عم عبد البديع يرى أن لانضيع وقت سيادتك في أي مقدمات عبثية وأن ندخل في الموضوع مباشرة، بعيدا عن محاولة تقريب صورة ماأنا فيه لسيادتك، لأنه متأكد أن سيادتك لو شاهدت صورتي أو سمعت عنها لن يرضيك أبدا ماحدث لي وستأمر فورا بمحاسبة المسئول عنه. الحقيقة أن عم عبد البديع متفائل بطبعه، بدليل أنه صدق أن كليته ذابت ونزلت وهو يقضي الحاجة، عندما لمسته قال لي "يابني العيشة اللي إحنا عايشينها دي تذوب الصخر مش هتذوب كليتي".

www.alkottob.com

أنا لست عبد البديع، طموحاتي بسيطة، أنا لاأريد أن أحاسب أحدا، لا الذين اعتقلوني ولا الذين ضربوني بالرصاص المطاطي ولا الذين ضربوني على قفايا ولا الذين سبوني بالأب والأم ولا الذين قيدوني إلى ضهر السرير كأنني خطر داهم على هذا الوطن، خطر لايحتمل حتى حراسة إضافية بل يتطلب تقييدي كذبيحة، لاأريد أن أحاسب الذين حكموا علي قبل أن يحاكموني، ولا حتى الذين يأتون إلي كل يوم ليطلبوا مني بحزم أن أشد حيلي عشان يطلعوا عين أهلي لما أخرج.

سيدي. أنا لدي مشكلتان لاثالث لهما، الأولى مع الذباب الشرس الحقير الغتيت الذي يحاصرني في هذه المستشفى الكئيبة، ذباب واعي ساقل يتعمد أن يحط على الجهة اليسرى من وجهي كأنه يعلم أنني لن أتمكن من هشه بيدي المقيدة، والله العظيم ياسيدي أنا مستعد أن أدلي باعترافات تفصيلية عن دوري المزعوم في المؤامرة التخريبية كما وصفها الضباط الذين عكشوني، مقابل أن يفكوا الكلابش فقط لكي أهش الذباب المتوحش عني.

مشكلتي الثانية هي أنني أشعر بأكلان فظيع في ضهري، لاأدري هل سببه الحشرات التي يقسم زملائي أنها أقدم في المستشفى من بهيرة كبيرة الممرضات، أم سببه رقودي على السرير على وضع واحد كل هذا الوقت، مع أن التغيير سنة الحياة، نبهني عم عبد البديع إلى التباس الجملة الاخيرة وكونها يمكن أن تسوء موقفي في القضية، لكنني أقسم لسيادتك أنني

لاأقصد منها شيئا سوى أنني فعلا أريد أن أمارس حقي الدستوري في الهرش وتغيير وضع رقودي على السرير، فأنا لست دولة تستحمل أن تعيش ربع قرن على وضع واحد دون أي تغيير، أنا بشر ضعيف خلقت من تراب وسفقت التراب ويلزمني بين الحين والآخر أن أتقلب على الجنبين، فهل هذا كثير عليّ سيادتك.

سيدي الرئيس. والله العظيم وليس لسيادتك على شعبك حلفان، هل تعلم أنني أحلم كثيرا بأن كل مانا فيه سينتهي فجأة عندما تدخل سيادتك علينا فجأة في زيارة مفاجئة، لكي تقول لنا أنه لايرضيك أبدا أن يعامل مواطن في عهدك هكذا، حتى لو كان مخطئا أو مشتبها في خطئه، وأن سيادتك تؤمن بأن المتهم برئ حتى تثبت إدانته عندها فقط تصح كلبشته.

عارف سيادتك. طيلة عمري كنت أحلم بأن أصاب يوما ما بكسور ورضوض في حادثة قطار أو أصاب بحروق من الدرجة الأولى في حريق مسرح أو أنجو من الغرق في عبارة أو أتعرض لجروح قطعية في إنقلاب بيجو سبعة راكب، فقط لكي أحظى بذلك المشهد المهيب الذي حظي به الآلاف قبلي، أعني مشهد دخول سيادتك إلى عنبر المستشفى لكي تتفقد المصابين، وتنحني عليهم ودودا حنونا تلاطفهم وتطمئن عليهم وتطبطب عليهم وتوصيهم بأن يبطلوا دلع ويشدوا حيلهم، ياالله، هل من الممكن أن أحظى بشرف كهذا، وأرى صورتي مع سيادتك في الجرنان وأنت تمسك بمفتاح الكلابش وتفكه بيدك الكريمة وقد كتب تحت الصورة "سيادة الرئيس الأب يتفقد أحد أبنائه المصابين".

www.alkottob.com

أنا آسف سيادتك. عدلي مش ناوي يجيبها لبر. من جديد أخرجني صوته من أحلامي، عم عبد البديع نفسه كان قد بدأ يحلم بأن يتصور مع سيادتك وأنت تعده بأن كليته الباقية لن تذوب بأي شكل، " هو إنت فاكر نفسك ناجي من الغرق أو الحريق أو الموت.. إنت يابني ممسوك في قضية شغب.. فكيف تحظى بشرف كهذا لايناله إلا المغدور بهم أو المصابون بشرف".

خرجت في المظاهرات.. نعم.. أعترف سيادتك.

لن ألف ولن أدور. لن أحلف بالله كذبا أنني كنت رايح درس أو جاي من مجموعة.. لن أقول أنني خرجت لكي أتفرج وفوجئت بأنني ممسوك.. عم عبد البديع يطلب مني أن أمسح كل ماقلته الآن.. لكنني عاهدت نفسي أن أكون صادقا وأنا أكتب إليك.. قد أكون مخطئا لأنني خرجت في المظاهرة. بلاش أنا فعلا أخطأت.. لكن ماذا أفعل وأنا على آخري ككل الذين أعرفهم.. خرجنا لكي نفش غلنا ونصرخ لعل أصواتنا تصل إلى سيادتك فترحمنا من الغلاء والكواء والخواء والبلاء والغش حتى في الدواء.. خرجنا لكي نسأل سيادتك كيف يمكن لأهالينا أن يضمنوا لنا حياة كريمة بمرتبات لئيمة.. كيف يمكن لنا أن نحلم بالمستقبل ونحن ندرس في مدارس وجامعات لاتعلم منها شيئا ينفعنا في الدنيا أو الآخرة.. نعم ياسيدي خرجت في المظاهرات كغيري.. لكن لاأنا ولا أحد من الذين أعرفهم أحرقنا مدرسة أو نهبنا محلا أو اقتحمنا مطعما أو كسرنا جهاز كمبيوتر.. سمعت أنهم أحرقوا المدرسة فحزنت.. صحيح أنني لم أتعلم فيها شيئا ذا بال لكنني حزنت

لأنني قضيت فيها أياما جميلة وضحكت فيها من قلبي أنا وزملائي كما لم أضحك من قبل وكما لن أضحك من بعد.

سيدي الرئيس.. أنا حزين على كل طوبة رميت بوجه عسكري أمن مركزي أمروه أن يقمعنا فقمعنا وهو يرتعد خوفا.. حزين على كل شجرة أحرقت فوق شريط القطار.. حزين على كل محل نهبوه.. على كل مطعم لم يأكلوا فيه فأكلوه.. على كل فصل اقتحموه وأشعلوا فيه النار.. حزين على أن نصل جميعا إلى هذه الحال.. لكنني حزين أيضا على حياتي وحياة كل الذين أعرفهم.. هل تتصور سيادتك أننا نعشق التظاهر ونهوى الإضراب وندمن الوقفات الإحتجاجية.. هل تظن سيادتك أننا كنا سنخرج من بيوتنا أساسا لو كنا نشعر بالرضا عن اليوم أو الأمل في بكره.. أعلم أنه لايوجد أبدا مايبرر خروجنا لكي نولع في مدينتنا.. في شوارعنا.. في مدارسنا.. لكن ماذا نفعل إذا كانت الحياة في بلادنا جعلتنا نرغب في أن نولع في أنفسنا.

سيدي الرئيس أنا جاهز لكي أتحمل المسئولية عن كل مانسب إلي.. مستعد لكي أمثل أمام القضاء.. مستعد لأن تقيد كل أطرافي إلى جميع أرجاء السرير.. لكن فقط بعد أن تثبت إدانتي.. مستعد لأن أحاكم ولكن بعد أن يحاكم معي كل الذين سرقوا مني الأمل وحرموني من أن أحلم بغد أقل سوءا.. بعد أن يحاكم معي كل الذين غرفوا من خيرات هذه البلاد دون أن يعطونا منابنا.. بعد أن يحاكم معي كل الذين أشعلوا النيران في آدميتنا وانتماءنا وحبنا لهذه البلاد التي عشنا فيها سنين راضيين بقليلنا لأننا نؤمن

www.alkottob.com

أن القليل من الحبيب كثير.

سيدي.. أنا مضطر أن أتوقف الآن لكي أترك عم عبد البديع يرتاح من نوبة البكاء التي أصابته.. لكي أطمئن على عدلي الذي أعطانا ضهره وأخذ يرتجف.. لكي أطلب من الجميع أن يكفوا عن النشيج الحاد لكي ننجو من غضب الحراس الذين اقترب موعد تفتيشهم المفاجئ لنا.

سيدي الرئيس.. أنا الآن أعرف ماأريد

أنا لم أعد أريد لاحبا ولاحنانا .. ولاحلا..

لم أعد أريد لا الخبز ولا الحرية..

لم أعد أريد لا الحراك السياسي ولا العدالة الإجتماعية.. لم أعد أريد تكافؤ الفرص ولا فرص التكافؤ.. لا التنمية الشاملة ولا الخروج من عنق الزجاجة.

كل ماأريده أن تأمرهم سيادتك بأن يفكوا قيودي.. فأنا حقا أريد أن أهرش.

قاطعوا الحصبة الألمانية!

www.alkottob.com

لايمكنك أبدا أن تفهم كيف يفكر بعض الناس.

عندما سمعنا نبأ المصاب الذي ألم بإبن عم شافعي القهوجي ذهبنا على الفور لمواساته خلف النصبة، لنفاجأ بالرجل العاقل الكامل أو الذي كان كذلك يندفع صارخا في وجوهنا "عاجبك ياباشا اللي بيحصل لنا في البلد دي اللي مايعلم بيها إلا ربنا.. يعني يوم ماحاجة مستوردة تخش بيتي تبقى الحصبة الألماني".

حاولنا استيعاب الموقف فذكره الشيخ سيد السباك بأن الله تعالى إذا أحب عبدا ابتلاه، لكن عم شافعي لم يستقبل كلام الشيخ سيد على النحو الأمثل، ربما لأنه فكر أنه بعد انضمام إبنه إلى قائمة المرضى التي تملأ البيت " إتنين كلى وواحد كبد وواحدة داخله في مرارة" يكون شافعي قد وصل إلى درجة تؤهله لمنافسة رابعة العدوية شهيدة العشق الإلهي.

حاولت لم النظرات الحائرة التي صوبها شافعي إلى الشيخ سيد لكي لايدخل الشيطان بينهما فسألت عم شافعي مغيرا الموضوع " إنت خدته لدكتور بيفهم كويس في الحصبة الألماني"، تنهد الرجل قائلا " مش عارف والله ياباشا بس الراجل كشفه غالي.. أكيد بيفهم في العيا الألماني"، فجأة انفجر الموقف عندما

www.alkottob.com

سأل عم أنور فجأة "هو مين واخد توكيل الحصبة الألماني في مصر"، بصعوبة منعنا عم شافعي من دلق براد الميه المغلي على رأسه بعد أن ذكرناه بأنه لايمكن أن يقصد الإستهزاء بمعاناته خاصة وهو راجل حاج وشايل القرنية.

عندما جاءت الجرائد وقرأنا أنباء التقرير الذي نشره موقع سي إن إن عن أحوال الصحة في مصر وعودة أمراض قديمة كانت الحكومة قد أعلنت القضاء عليها مثل الحصبة والسل، دوى صوت الأستاذ كامل مدرس أول عربي وهو يترحم بصوت عال على العبقري مصطفى لطفي المنفلوطي، شاركناه الترحم ثم سألنا عن المناسبة فقال أن الأيام أثبتت نظرته المبعدية وخلود رواياته التي كان يترجمها عن روايات القرن الثامن عشر والتي تموت البطلة فيها بالسل قبل أن يغتصبها حبيبها. لم يضحك أحد عندما قلت ساخرا أن الرئيس مبارك رجل يتميز بالأصالة والعراقة بدليل أن حكمه المبارك أعاد إلينا السل والحصبة من جديد، وأنه لن تنقضي فترته السادسة قبل أن نشهد عودة مرض الفالج الذي كنا نقرأ عنه في كتب التاريخ.

لما كح عم أنور كحة ختمها بصوت يشبه كركرة الديك، هرع الكل طالبا الحساب بعد أن خيم شبح السعال الديكي على القهوة. بعدها وعند ركوبي التاكسي كان الراديو يذيع أغنية تتر البرنامج الشهير "عشانك يامصر"، بعد إنقضاء التيتر بدأ المذيع جهير الصوت في إستضافة دكتور كبير يدير مشروعا قال أنه مجاني لعلاج الفقراء من مرضى القلب، فجأة أصدر السائق

صوتا لايليق بجلال البرنامج، وأغلق الراديو قائلا لي " معلهش مش هاقدر أستحمل الـ (..) دي"، قلت له مواصلا حديث المرض - الحديث الأكثر شعبية في مصر مبارك بعد إلغاء برنامج حديث الروح - " شكلك مبقوق ياسطى من مستشفيات الحكومة"، قال لي وهو يشير بإصبع غير مستحب إلى الراديو " اللي عمال يتكلم عن علاج القلب ببلاش نفسي أقوله ياريت تعالجوا اللي يتكسروا الأول ببلاش.. تصدق من يومين ركب معايا واحد رجله مكسورة بعد نص الليل وقالي أوديه القصر العيني.. عالسواد اللي شافه هناك.. صحينا الدكتور بالعافية شخط فينا وقال إن العيان لازم يطلع يعمل أشعة.. مشينا ممر أطول من نفق الشهيد أحمد حمدي والراجل مكسور ومافيش كرسي.. ظبطنا بتاع الأشعة عشان مايرجعناش نقطع تذكرة.. وفي الآخر بعتوه يشتري رباط من بره على حسابه.. من ساعتها كلما حد يركب معايا ويقولي القصر العيني أنصحه يعدي على الأجزاخانه الأول يجيب حاجته.. بس الشهادة لله في دكاترة ولاد ناس.. تصدق إن في دكتور الأسبوع اللي فات عالجني من الكوليرا على حسابه".

"على جنب ياسطى.. أنا خلاص وصلت".

www.alkottob.com

إشي خيال ياناس!

www.alkottob.com

تراجع الإقبال على السيرك القومي عندما تحولت مصر كلها إلى سيرك قومي. وتكررت الشكوى من فقر الخيال لدى كتاب الأدب والدراما لأن الواقع المصري في عصر مبارك أصبح يفوق الخيال. لو ظهر بين ظهرانينا اليوم أديب يقوم بنقل أخبار صفحات الحوادث، مجرد نقل لايضيف إليه شيئا ثم تمت ترجمة كتابه لاعتبر العالم كتابه فتحا جديدا في الواقعية السحرية يفوق ماكتبه ماركيز وإخوانه اللاتينيون الذين يكتبون الواقعية السحرية أدبا بينما نحن نعيشها قلة أدب.

تطمئن على حال الخيال في مصر عندما تقرأ أن ضباط الأمن في إحدى المحافظات قاموا بتخدير مرشح للإخوان المسلمين حضر إليهم لتقديم أوراق ترشيحه لإنتخابات مجلس الشورى فوضعوا له حاجة أصفرة في كوباية الشاي، وصحا الرجل ليجد نفسه الله أكبر على قارعة الطريق، بملابسه ولله الحمد، وقد فاته موعد الترشيح. للأسف لم تتعب الصحف في شغلها فتعطينا فرصة لزيارة عقل رجل الأمن العبقري الذي قام بتوظيف جديد لحيلة استهلكها كتاب السينما المصرية والهندية معا، ولم تقل لنا الصحف هل تنوي الداخلية تعميم التجربة في

www.alkottob.com

الإنتخابات القادمة بدلا من اللجوء إلى البلطجة والتزوير وضرب القضاة وغيرها من الحلول المكلفة، وكيف نتقي في حالات كهذه شر ضعاف النفوس والمكبوتين من العساكر فلايصحو المرشح على آلام مروعة أسفل البطن وصوت يقول له "مبروك جبت سوسن وعبد الرحمن".

هناك خيال جديد يسري في البلاد ولامحالة. بين حكامها وأهاليها معا. الحكومة تسرب أهالي قلعة الكبش في الصحراء حتى تهدم بيوتهم. بينما سائق في هيئة الصرف الصحي يسرق سيارة مديره ويحولها إلى تاكسي يعمل عليه ٣ سنوات ثم يكتشف صدفة بعد أن خانه الميكانيكي، وربما ركب المدير التاكسي مرارا دون أن يأخذ باله. جناني إسمه عم فتاوي يزرع البانجو لسنوات داخل حديقة المستشفى التي يعمل بها فنفهم أخيرا لماذا كان المرضى يرفضون الخروج من المستشفى. مسافر زاده الخيال يحاول تهريب ٣٠٠ ثعبان حي على خطوط مصر للطيران اللي مش ناقصة بينما صناع فيلم ثعابين على الطائرة "سنيكس أون ذي بلين" في هوليود يتصورون أنهم جابوا التايهة. تتكرر حوادث القطارات بعد ظهور تنظيم غيرمعلن لأطفال الحجارة يستهدف كبائن سائقي القطارات، أحدهم قتل سائق قطار بحجر محكم التصويب ثم قال للمحققين " قتلته عشان صوت القطر بتاعه بيضايقني"، لو اهتدى تنظيم القاعدة إلى تكنيك كهذا لعاث في قطارات أوروبا وأمريكا فسادا وبدون اللجوء إلى مواويل خطف الطائرات التي لم تعد تجيب همها. تقبض الشرطة على مسجل

خطر دأب على سرقة عين القط من الطرق السريعة والإفيه أنه يسرقه من سنين وماحدش واخد باله، الصحف لاتقول لمن كان يبيع عين القط، مما يكشف أن هناك سوقا سريا قد ظهر لمسروقات الطرق السريعة فقط. النيابة تحول مسئولين بكلية زراعة الأزهر قاموا بسرقة جديدة من نوعها هي سرقة أشجار الكافور في الكلية وبيعها بـ ٢٣ ألف جنيه والمدهش أن أحدا لم يأخذ باله أبدا من اختفاء الشجر بل اكتشفت السرقة بعد إختلاف الشركاء على الحصيلة. الأعلى في دنيا الخيال الجديد تلك الحادثة التي جرت في هيئة النقل النهري عندما قام موظفان بالإبلاغ عن غرق الأتوبيس النهري الذي يعملان عليه ثم اتضح أنهما باعاه خردة ولسان حالهما يقول "ماحدش هينزل النيل يدور على أتوبيس نهري أو حتى بري، لو بيهمهم كانوا نزلوا يدوروا على العبارة الغرقانة، تعال نبيع أم الأتوبيس إحنا أولى بفلوسه".

هل أنا غيور من هذا الخيال الذي يهدد مهنتي ككاتب سيناريو؟ حاشا لله، أنا فقط خائف على مصر لأن الخيال يعدي، ولا أنا ولاأنت نحب أن نرى الحرامية الكبار وقد قرروا سرقة مصر مرة واحدة بدلا من فكها على حتت ثم يذهبوا إلى الأمم المتحدة لتحرير محضر بإختفاء مصر. أو لاقدر الله نصحو كشعب من النوم فنجد أنفسنا مرميين في الصحراء نعاني من آلام مروعة أسفل البطن وعندما نذهب إلى القسم لعمل محضر نجد صورة الرئيس جمال مبارك معلقة خلف مكتب الضابط.

www.alkottob.com

القراءة للجميع.. أما الكتابة فللي معاه فلوس

www.alkottob.com

كـنا نجلس أمام الرائي نحتسي كئوس البهجة التي قدمها لنا أبو تريكة ورفاقه أشاوس الأهلي في الشوط الأول من مباراة كأس مصر المظفرة أمام الإسماعيلي اللدود، فجأة ارتجت الكنبة والشقة والعمـارة والمنتشة كلها بدوي انفجارات أطارت أحلام النصر من رؤوسنا.

إلى الشبابيك هرعنا فزاد من روعنا تواصل الإنفجارات التي صـاحبها فجـأة صـوت رزع علـى الباب، بادرت لإنقاذ الباب فـوجدت جـاري محمـود يتصبب عرقا وقلقا ويسألني "سمعت أصـوات الإنفجـارات"، قلت بجفاء يليق بجارين لم يتحابا في الله أبـدا " اللي خلاني أسمع صوت ترزيع الباب أكيد هيخليني أسمع الإنفجـارات"، الـتفت إلـى بـاب شقته الموارب، ثم قال هامسا "معلهـش أصل المدام والعيال مارضيوش يغيروا الماتش ويجيبوا الجزيرة عشان أشوف حكاية الإنفجارات.. أصلهم أهلاوية زبال.. فـصدي أهلاويـة زيـك وفاكرينـي عايـز أقل فرحتهم عشان زملكاوي.. قلت آجي لك.. مالنا عارف إن المدام مش هنا وعندك صـحابك"، دوي إنفجار جديد منعني من إلقاء محاضرتي المعتادة عـن حـرمانية التجـسس علـى الجيران، في ثوان كان محمود

www.alkottob.com

يتوسطنا على حافة البلكونة محلقا في السماء ليستطلع مصدر الإنفجار، قبل أن يندفع إلى الداخل فيسبقني إلى الريموت جايبا الجزيرة التي كانت تذيع صور ضحايا إنفجار معتاد في الرمادي بالعراق، قلوبنا انقبضت من الفال الوحش فسارعنا بتغيير القناة إلى قناة ميلودي لكي تهدأ أعصابنا قليلا، وجدناها مغلقة لوفاة والد مالكها بعد دفعه من شرفة لندنية، كدنا نحول إلى مزيكا أطال الله عمر أهلها، لكن صوت إنفجار جديد ذكرنا باله، فاستجبنا لإقتراح أحدنا أن نحول على القناتين الأولى أو الثانية لنختبر الريادة الإعلامية في حدث جلل كهذا، فجأة وجدنا أمامنا ليل القاهرة تضيئه الألعاب النارية والشاشة مكتوب عليها " إحتفالات إنطلاق الحملة القومية لمهرجان القراءة للجميع".

لولا أنني صاحب التلفزيون لكنا كسرنا التلفزيون على صاحبه، المذيعة قالت لنا ولعموم أبناء الشعب أن الإحتفال مقام بدار الأوبرا القريبة من منطقتنا ففسرت لنا قوة صوت ماظنناه إنفجارات، ثم قالت لنا أيضا أن المهرجان أتم اليوم سبعة عشر سنة، صديقنا شوقي لم يفرح للمهرجان كما هو مفترض فقال برخامة " هانت بكره يبلغ ويطلع باسبور ويهج من البلد"، تركنا المذيعة وهي تحاول تضخيم صوتها ليليق بجلال الحدث، وعدنا إلى المانش الذي كاد يلفظ أنفاسه الأخيرة على يد المعلق الغتيت، الأستاذ محمود أطلق كعادته ملاحظة ثاقبة هي أن ثمة معارضا مندسا في إدارة مهرجان القراءة للجميع الذي تشمله السيدة الأولى بعين رعايتها، بحيث اختار إطلاق المهرجان في نفس توقيت

إذاعة مانش الأهلي والإسماعيلي لكي لايشاهد وقائع إطلاقه أحد سواها والوفد المرافق لها في دار الأوبرا فيغيب فضل سيادتها عن عموم جميع الشعب المحب لها وللقراءة، على الفور طلبت منه أن ينجر على بيته داعيا الله ألا يكون لدى أحد من علية القوم دماغه البسم فيضارّ الغلبان الذي اختار التوقيت لأن أحدا لن يصدق أنه مالوش في الكورة.

نزلنا بعد المانش لكي نستمتع بتحليله سويا على القهوة بعيدا عن سخافة الأستديوهات التحليلية التي صارت على قفا من يذيع، على ناصية شارعنا امتدت إلينا يد المتسولة التي تؤجر الناصية من رمضان زنجر البلطجي، أحب صديقنا رضا أن يستظرف فأخرج كتابا من شنطته ووضعه في يدها قائلا لها " كل سنة وإنت طيبة.. النهارده عيد ميلاد مهرجان القراءة للجميع"، ماأستطيع أن أنشره من رد فعلها قولها وهي تلوح بنسخة الكتاب " قريوا عليك ساعة وسكتوا ياإبن النسخة".

على طول طريقنا إلى القهوة رأينا بشرا أكثر من الهم على القلب ولم نلمح أحدهم يحمل سوى همه، لاوجود لكتاب مع أي أحد أيا كان جنس جلدته، سألنا بعضنا "طب آدي الجميع .. أمال فين القراءة".

في القهوة كان "الجميع" منشغلا بقراءة أوراق الدمنة والكوتشينة وزهر الطاولة بينما مافتئ خبير ثقافي في التلفزيون يحكي كيف تغيرت حياة المصريين في عهد مبارك بفضل مهرجان القراءة للجميع، كلامه كان مؤثرا لدرجة أن المصريين

www.alkottob.com

الذين في القهوة غيروا القناة.

وأنا عائد إلى البيت انبعث من راديو التاكسي صوت مذيعة تستضيف رئيس "تحرير" احتل منصبه قريبا، كان يتحدث بحماس عن الثورة الثقافية التي تشهدها مصر على يد الرئيس مبارك، وأن الكتاب في عهده تمكن من هزيمة كل وسائل الإعلام وتربع على العرش، انبعث صوت مريب من حنجرة السائق، ظننته صوت الكاربراتير، فقلت متثبتا " إيه رأيك ياسطى في كلام الراجل ده.. إنت فعلا شايف إن الكتاب تربع على العرش؟"، أجابني بهدوء شديد "مش عارف بس أنا حاسس من كلام الراجل ده إنه فعلا عرش".

لقاء في شارع الثورة!

www.alkottob.com

• مساء الخير عزيزي المواطن.. تحب حضرتك تشترك معانا في البرنامج

– على حسب الإشتراك بكام؟

• آه ده شكله عسل وهيتعبنا.. يافندم أنا قصدي تشترك معانا برأيك؟

– والله يافندم أنا لو كان عندي رأي أحب أحتفظ بيه لنفسي.

• حضرتك مكبر الموضوع ليه.. ده برنامج إذاعي بنحتفل فيه بذكرى الثورة

– يافرج الله.. هي الثورة قامت؟.. والله ماحد قال لي

• لاحول الله يارب.. عزيزي المواطن إحنا بنتكلم عن ثورة يوليو بتاعة الزعيم جمال عبد الناصر

– أيوه عارفه.. جمال عبد الناصر مبارك.. شاب أمير وربنا هينصره علينا إنشاء الله

• لا مش هينفع كده خالص.. شوفوا لنا مواطن تاني والنبي.. عشان اليوم المجيد ده يعدي

المعد: باقولك إيه ياهانم.. ده المواطن المتاح دلوقتي.. مشي حالك بيه لحد مانلاقي غيره

www.alkottob.com

– يافـندم حـضرتك متعصبة ليه.. أنا باهزر معاكي.. حد مايعـرفش ثورة يوليو.. مش دي اللي ثورة أطلقها جمال.. وإحنا حفـرنا القـنال وبعدين حررناه وبنفكر نبيعه دلوقتي.. أنا راكب معاكي في البرنامج.. اتفضلي

• الصبر من عندك يارب.. حضرتك ممكن نبتدي نسجل بس أستسمحك الإجابة تبقى على قد السؤال

– والنبـي البرنامج ده هيبقى عسل.. إنتي بس شوطي وربنا هيكرمنا

• أعزائـي المـشاهدين كل عام وأنتم بخير.. في هذا اليوم المجـيد نـزلنا إلى شارع الثورة لننقل فرحة المواطنين بهذا اليوم التاريخـي الذي غير وجه مصر.. التقينا بأحد المواطنين وسألناه عن رأيه في مبادئ ثورة يوليو؟

– هي ثورة يوليو عندها مبادئ. والله ماكنت أعرف.

• أيوه يافندم ثورة يوليو عندها ست مبادئ

– ياعينـي.. ده الواحد مننا بيبقى عنده مبدأ بيطلع عينه في الزمن ده وهي عندها ستة.. الله يكون في عونها.

• إيـه اللـي حصل للناس بس يارب. ياسيد يامحترم مبادئ يعني أهداف

– والله.. يعنـي الثورة عندها ست أهداف زي الأهلي كده.. وجابتهم في مين؟

• ماهو ده السؤال يافندم؟ في رأيك كإبن من أبناء مصر بعد مرور ٥٥ عاما على الثورة ماالذي تحقق من أهداف ثورة يوليو؟

– إنتي مش بتقولي إنها جابت ست أهداف خلاص.

• يابنـي آدم إفهـم الثورات غير المانشات.. الثورة بتيجي بأهداف وبعد كده بتحققها. فهمت؟

– أيوه فهمت.. يعني في المانش بنلعب عشان نحط الهدف.. فـي الثورة بنحط الهدف وبعد كده بنلعب فيه.. والنبي مانتترفزي ياسـت هانم.. أصل أنا والله أول مرة أسمع حكاية أهداف الثورة دي.. حضرتك قولي لي الهدف وأنا أعلق لك عليه بعون الله

• معقول برضه.. بص ياسيدي أول هدف من أهداف الثورة القـضاء علـى الإسـتعمار وأعوانه، إيه رأي حضرتك في هذا الهدف؟

– ارجوكي أعذريني أنا ماأحبش أجيب سيرة الإستعمار

• ليه إنشاء الله؟

– عـشان أعـوانه هيـزعلوا.. وزعلهـم أوحش من زعل الإستعمار ذات نفسه

• إنـت غـريب قوي على فكرة.. بلاش الإستعمار.. عندك مـثلا من أهم أهداف الثورة كان القضاء على الإحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم

– مـن فـضلك أنا وافقت أسجل على أساس إن ده برنامج تاريخـي.. ومـش هتجيبوا سيرة أحمد باشا عز وحديد عز .. أنا عندي عيال وعايز أعالجهم

• إيه علاقة أحمد باشا عز وحديده بالموضوع ياأختينا

– مـش بتقولـي إحـتكار.. عايزه تخليني أقول الكلام اللي

www.alkottob.com

بيقولوه عليه بتوع المعارضة إنه محتكر الحديد عشان هو صاحب جمـــال مبارك وأمين تنظيم الحزب الوطني.. بصي بقى أنا شاكك فيكو بصراحة.. إنتو من قناة إيه.. معاكو كارنيهات

• ييه ده هيقلب دماغنا.. بلاش ياسيدي الهدف ده.. خلينا في هدف غيره.. عندك مثلا هدف القضاء على الإقطاع

– حضرتك بتتكلمي عن الثورة الفرنساوية ولا ثورة يوليو.. ممكن تورينى كده الورقة اللي بتقري منها

• من فضلك ممكن تعلق على الهدف وإنت ساكت

– إزاي يعني.. أعلق وأنا ساكت إزاي

• قصدي تتكلم في صلب الموضوع

– ماهـــو معلهـــش ياست هانم.. إنتي عماله تقولي لي قضاء على الإقطاع وتحقيق العدالة الإجتماعية بين طبقات الشعب.. إنتي مش عايشه معانا في البلد.. أنا حاسس إنك بتتبلي على ثورة يوليو وبتلزقـــي لها أهداف من وراها.. أصل يعني لو ثورة يوليو كانت بتهدف للكلام ده ماكانتش هتقعد ٥٥ سنة من غير ماتحققه.

• طـــب خـــلاص خـــلاص أنا هاختار لك هدف تاني وقول تعليقك بأدب لو سمحت.. وبلاش ألفاظ تلزقي وتتبلي والكلام ده.. تهـــدف ثورة يوليو إلى إقامة حياة دستورية وديمقراطية سليمة.. حضرتك بتضحك ليه؟

– أصلي افتكرت إنها سليمة سليمة.. فاكره لما الكافر في فيلم فجر الإسلام قال شلت يدي وبعدين ضحك عليهم وقال إنها سليمة سليمة.. آه ياكفرة.. إنها سليمة قال

• طـــيب نكتفـــي بهـــذا القدر مع المواطن الكريم لكي نتيح الفرصـــة لعـــشرات المواطنين الذين يتسابقون خلف الكاميرا على إبـــداء رأيهم في أهداف ثورة يوليو. كفاية كده أنا مش مكملة مع الـــراجل ده.. أبقى ست مش كويسة ويارب أتنقل القناة التامنة لو كملت معاه

– المعـــد: طيب خلاص هدي نفسكي ياهانم.. هنمشيه.. بس إنتي إهدي والنبي

• إيـــه ده.. مـــش ممكـــن.. ده لسه واقف هنا.. إنت ياأخينا ماتتوكل على الله وتمشي من هنا.. ماخلصنا التسجيل.. إنت واقف هنا ليه؟

– مستني إعادة "الأهداف".

www.alkottob.com

إن لله جنودا من قش!

www.alkottob.com

كـــان الأخ النجل جمال مبارك يقف أمامنا في القهوة منتصبا قرب النصبة، يلف ويدور يمينا وشمالا على منصة المؤتمر العام للحـــزب الوطني العاكم مصدقا نفسه أنه قدها وقدود وغير منتظر أن نـــصدقه، ومـــتحدثا بـــثقة تـــشي أنه أخذ في الأشهر الماضية كورسات مكثفة في الإلقاء والأداء المسرحي والفوناتيكس وفنيات الـــتخاطب، إلـــى جواره جلس "الأونكلان" صفوت الشريف وعلي الدين هلال ينظران بفخر إلى عمايل أيديهما، ويلهجان بالدعاء لله أن يكـــون ســـيادة الـــرئيس مبسوطا من الشغل اللي إتعمل، بينما القاعـــة تـــشغي بأناس يبدو عليهم أنهم منبهرون بما يسمعونه من إنجـــازات بيـــنما المفـــروض أنهـــم يعلمون سلفا بهذه الإنجازات ولايفاجـــأون بهـــا معنا، كلما مرت الكاميرا على أحدهم أخذ يهز رأســـه بقـــوة لا لكي يدخل الكلام دماغه بل ليثبت أن الكلام خبط شـــغاف قلبه فأفقده القدرة على التحكم في أعضائه، بينما البعض الآخر يستمع صامتا كأنه يفكر بعمق في مايسمعه بينما الحقيقة أنه يفكر في اللحظة المناسبة لبدء التصفيق.

كنت أجلس على القهوة ألاعب صديقي دور دمنة.. عادة، بعد أن توقفـــنا عن لعب الدمنة الأمريكاني لكي لانلقى مصير الدكتور

www.alkottob.com

سعد الدين إبراهيم، قلت لصديقي وأنا أنظر إلى شاشة التلفزيون ثم أحاوره "تفتكر مصر فين دلوقتي؟". السؤال سمّع في القهوة التي لايصح أن ينفرد الإنسان فيها بحديث، تلقيت عليه إجابات عديدة بوخت السؤال "مصر عند دكتور الأنف والأذن بعيد عنك.. مش عارفه تاخد نفسها من السحابة السودا.. مصر بتاخد العزا في ولادها اللي غرقوا.. تاخد عزا مين ياعم إنت.. مصر مربطة مع سمسار عشان تسافر إيطاليا وتستريح من الغلب اللي شايفاه.. والنبي سيبوا مصر في حالها.. إحترموا مشاعرها.. ألا صحيح هنجيب لمصر هدية إيه في عيد الأم؟".

صديقي الموضوعي الذي لم يعجبه ذاك الهزل في موضع الجد قال لي بعمق مشيرا إلى التلفزيون "بس ماتقدرش تنكر إن أداءه تطور؟"، تجاهلنا أنا وهو أصواتا مريبة جاءت من الخلف والجناب والونجين متعاملين معها بحسن نية لامناص منها حفاظا على وحدة الجبهة الداخلية للقهوة، حاولت أن أكون موضوعيا أنا الآخر فقلت له بهدوء وبالنحوي لكي لاأنجرف وراء إغراءات العامية التي لاتخفى عليك "طيب ياعمنا عقبال ماالبلد نفسها تتطور.. ياسيدي لو كانت البلاد تحكم بالأداء لكان هتلر أعظم حاكم شهدته البشرية.. هل أصبح غاية مانتمناه كل عام أن ننتظر مؤتمر الحزب الوطني لكي نرى أن السيد جمال أصبح قد ثقة بابا فيه".

فجأة قطع حديثنا صراخ إمام القهوجي الذي لم نعد نعلم من فرط إنفراد بصناعة القرار في القهوة هل هو مجرد كبير صبيانها

أم أنه مشارك فيها كما يقول أحيانا في غياب صاحبها المعلم أبو النجا، كان إمام القهوجي ساخطا لأن أغلب زبائن القهوة قرروا مقاطعة الشيشة تماما مكتفين بما خف ثمنه من المشاريب ومستلقين على كراسي القهوة لإستنشاق السحابة السوداء التي تحقق لهم نفس مفعول الشيشة دون أن يكونوا مضطرين للتذلل لإمام لكي يغير الحجر أو يأتي بالولعة.

لم يجد صراخ إمام نفعا مع زبائن القهوة الذين ارتموا على الكراسي كأنهم خشب مسندة مشرعين مناخيرهم إلى السماء، سائلين الله ألا يرزق البلاد بمطر يبوظ ماعملوه من دماغ، استدار إمام إلى التلفزيون وأخذ يصيح في وجهه، وجه التلفزيون طبعا، فأنا لن أبلغ عن إمام فهو أخ عزيز علينا كلنا، "حرام عليكو بطلوا بقى.. وقفتوا حالنا.. لما إنتو مش قادرين على السحابة السودا هتقدروا على الغلا والكوا إزاي"، تستطيع أن تقول أن هذه الجملة هي تلخيص منهجي لما قاله إمام لأن إمام عندما يكون غاضبا يفقد منهجيته بحيث لايمكنه السيطرة على لغة خطابه الذي يتحول حينها إلى خليط غير متجانس من الحروف المنطوقة وأصوات الإنسان الأول ولغة الجسد مع لجوئه أحيانا لوضع إصبعه.. على المشكلة.

لم يكن إمام أهوجا كما قد تظنه، بدليل أنه عندما قام عم حسيني - أكبر زبائن القهوة سنا وأكثرهم إحتراما لأنه عاطل منذ سنة ٨٢ وبالتحديد عقب إختتام فعاليات المؤتمر الإقتصادي الأول والأخير - بتنبيه إمام إلى أن يواصل إفراغ غضبه في إتجاه آخر

www.alkottob.com

غيـر التلفـزيون "عشان ماتتمسكش متلبس وتودينا كلنا في داهية يـاإبن الـ..."، قـال لـه إمام مطمئنا أنه يعرف مايفعله جيدا، فالمخبـرون كلهـم هذه الأيام في قاعة المؤتمرات وماحولها في مدينـة نـصر لتأمـين مؤتمر الحزب الوطني، لم يكد إمام يكمل جملـته حتـى كان عم حسيني قد انقض على التلفزيون فاعلا ما لايليق بشخص قضى كل هذه السنين مع البطالة.

أنا وصديقي نحب الجلوس مع الغوغاء لكننا لسنا غوغائيين، نحـن أناس موضوعيين، لذلك ظللنا نتأمل كيف أن لله جنودا من قـش الرز، أفسدت كل ماصرفه قادة الحزب الوطني من ملايين لكـي يقنعوا الناس بأنهم قادرون على أن يشيلوا مصر من وحلتها التـي لايعـرف أحد من بالضبط هو الذي رماها في هذه الوحلة، نحن موضوعيون لانربط الشأن الخاص بالعام، ولذلك تركنا الشأن العـام واكتفينـا بالخاص، صديقي سألني عن إبنتي الكبرى التي لاتكـاد الكحـة تغادرها بفضل سحابات الحزب الوطني السوداء، فـرددت لـه المجاملـة بأن سألته عن خالته التي لم تعد تستطيع العيش بدون بتاع الأنابيب، أنابيب الأكسجين، فجأة اقتحم علينا ود مجاملاتـنا الشاب جابر الذي تخرج من معهد الخدمة الإجتماعية قـبل أن يـصبح المعهـد كلية وقبل أن تخدم أم جابر في البيوت لتصرف على تعليم جابر، مد جابر يده لنا بصفحة المحافظات في جورنال الأهرام، وقال لنا بصوت جهوري لايليق بفرق السن بيننا وبينـه "تـسموا إيـه ده ياأسـاتذة يامثقفين يا.."، تجاهلنا الشتيمة الأخيـرة ونظـرنا إلـى الـصفحة التي قصها جابر من جورنال

الأهرام، كلنا كان يعرف أن جابر تربطه علاقة خاصة بالأهرام، فهـو يقرأها دون غيرها من صحف الحكومة لأن لديه دائما أمل كبيـر فـي ربنا ان يعدل حاله فيصبح لديه سيولة تكفي لأن ينشر نعـيه فـي الأهرام، "عشان أحس لما أموت إني بقيت بني آدم"، المـشكلة أن جابـر يـشتري الأهرام كل يوم ولايقرأ العدد الذي يـشتريه إلا بعد شهر كامل من تاريخ صدوره، مبررا ذلك بقوله "عـشان أحـس إن البلد لسه بخير"، إصبع جابر وجهتنا إلى حيث يجـب أن ننظـر، خبر يتصدر صفحة المحافظات عنوانه (رغم الإجـراءات.. بـدأ مسلسل حرق قش الأرز)، تحته مباشرة خبر عـنوانه (للقـضاء علـى السحابة السوداء قبل ظهورها: محافظ الـشرقية يقود رؤساء المدن لمواجهة الحرائق)، لم يدع لنا جابر فرصـة لـتأمل الخبرين ملياً، أشار إلى الخبرين بإصبعه ثم أشار بإصـبع آخـر إلى حيث تتجه أصابع إمام وعم حسيني ثم قال لنا بـصوت أكثر جهورية وأشد عدوانية "الناس دي عايزه مننا إيه.. إزاي الحرايق إبتدت وإزاي المحافظ بيقضي عليها قبل مانظهر.. يعنـي أبطـل الأهـرام وأرجع تاني أشتري الشعب وأنفع حزب العمل"، لم نرد أن نصدمه بأنه لم يعد هناك عمل ولا شعب أساسا، هب فينا مجددا "ساكتين ليه ياأساتذة يامتنورين يامتعلمين.. أنا مش عايز أعرف مين اللي حرق قش الرز.. أنا عايز أعرف مين اللي نـشر الخبـرين دول فوق بعض.. وعايزك تعرف لي ده حالا"، صديقي الموضوعي زاد الطين بلة عندما طلب ينسون لجابر لكي يهـدئ أعـصابه، فجـأة أمسك جابر بخناقه صارخا " إيه ياله..

www.alkottob.com

شايفني باتحرش بيك عشان تطلب لي ينسون وتهديني.. أنا باسألك سؤال لو مش عارف إجابته قول أنا حمار ومش فاهم حاجة.. عشان أستريح وأحس إني مش لوحدي اللي حمار"، صديقي يعرف أن الحارة سد مع جابر، ولذلك على الفور أقر أنه حمار ومش فاهم حاجة، وأنا أمنت على كلامه بأنه فعلا حمار، هدأ روع جابر الأهرامجي واتجه بخطوات ثابتة إلى التلفزيون ليزيح عن طريقه كلا من إمام وعم حسيني وبوجه إصبعه – السبابة للأمانة – نحو الشاشة، قائلا بصوت هادر "إحنا لو كنا عايشين في بلد تعرف ربنا.. كنا قفلنا القاعة دي عليكو وفصلنا التكييف من مفتاح الباتشينو بتاعه.. وحرقنا لكو عشرين شوال قش رز عشان تورونا هتتقدموا بينا إزاي"، ثم اتجه من فوره إلى مبولة القهوة، وظل بها قرابة النصف ساعة ثم خرج منها مبتسما رائق الروح ناصحا الجميع بأن يدخل إلى المبولة فورا لو كان يريد "شم شوية هوا نضيف".

ظلت إبتسامة جابر مرتسمة على وجهه وهو يخرج من القهوة التي لعلع فيها صوت إمام القهوجي صارخا في المتدافعين على شم الهواء النضيف " بالدور ياجدع منك له.. مافيش فايدة.. عمركو ماهتبقوا بني آدمين.. حلال اللي بيعملوه فيكو والله".

ملاكي قريش!

www.alkottob.com

"ملاكي قريش". هكذا اختار ذلك المواطن المجهول الهوية أن يكتب على لوحة سيارته مخرجا لسانه للدنيا والمجتمع والقانون قبل أن يضبطه لواء شرطة نابه على طريق الصف - إطفيح.

أقول لنفسي وأنا أشاهد صورة لوحة سيارته على الصفحة الأولى في صحيفة الأخبار: يخرب بيت الدماغ العالية التي دفعته إلى تصرف كهذا، من هو وماحكايته، هل وراء اختياره لهذه اللوحة وعي سياسي ساخر دفعه لتكثيف كل مانحياه في كلمتين فحسب"ملاكي قريش"، أم أنها جاءت معه هكذا ربما من وحي نكتة أبو العربي الشهيرة التي لو حكيتها لك اليوم لتعرضت لإهدار دمي غدا.

عندما شاهدت لوحته كنت ضيفا على الصديق الباحث أحمد المسلماني في فقرة الصحافة ببرنامج القاهرة اليوم الذي تذيعه محطة أوربت الفضائية، قررنا أن نحاول الهروب إلى البهجة، خاصة أن الفقرة التي سبقتنا كانت تروي دراما الوزير السابق توفيق عبده إسماعيل بكل مافيها من نكد وعبث جعله يقضي سنين طويلة في السجن دون أن يعرف أحد على وجه اليقين هل هو بريء أم مذنب.

www.alkottob.com

قررت أن أستعير مدخل صاحب لوحة ملاكي قريش متعاملا معها كموقف سياسي وجدته مناسبا بشكل مذهل لقراءة الواقع كما تعكسه الصحف، بدأت القراءة قبل أن نصبح على الهواء وياليتني ماقرأت. خذ عندك، المصري اليوم تنشر صورة لسائق ميكروباص يربط يده اليمنى بلفافة شاش غارقة في الدماء بعد أن بتر ضابط شرطة من طغاة قريش إصبعه لأنه رفض أن يشتري له كارت شحن موبايل. الوفد تنشر صورة موجعة التقطها المصور مجدي شوقي داخل عنبر بإحدى مستشفيات الشرقية، مصريون فقراء وجوههم شتى يوحدها البؤس، كأنهم منفيون في شعب أبي طالب، بعضهم ينام على أسرة العنبر المتهالكة التي تصلح للتعذيب أكثر من صلاحيتها للعلاج وبعضهم ينام على الأرض فوق بطاطين في إنتظار المجهول وبعضهم ينام على البلاط حيث تمرق القطط إلى جواره وقد بدت عليها علامات الرضا ربما لأنها لن تكون مضطرة للعلاج على أيدي أطباء المستشفى. صحيفة صوت الأمة تنشر صورة والد طفلة إبتلعتها بالوعة مجاري في المقطم يجلس على الأرض ناظرا إلى البلاعة بذهول، على بعد أسطر في نفس الصحيفة ونفس الأمة قصة أشد مرارة لخمسة مواطنين قتلتهم الغازات السامة المنبعثة من بلاعات الصرف الصحي والصحيفة تنقل عن المحافظ عبارة تليق بسيد من سادات قريش "يستاهلوا اللي جرى لهم". قبل عشرين عاما كنا نطالب بحق العودة للفلسطينيين، اليوم نطالب به لبدو سيناء وإخواننا في النوبة وأهالي قلعة الكبش فهل نطلبه قريبا لقاطني

شارع مصدق. في صفحة كاملة تنشر الأسبوع إستغاثات الفقراء وأوجاعهم مفرقة الأسر التي تطلق الإستغاثات إلى أسرة فقيرة جدا جدا واسرة فقيرة جدا وأسرة فقيرة، عليك أنت أن تختار هل تمد يد العون للفقيرة أم للجدا أم للجدا جدا، يستحسن أن تتخذ قرارك قبل أن تقرأ في العدد المقبل استغاثة أسرة فقيرة جدا جدا جدا، تعذر الأسبوع لأن فقر الناس لم يعد قابلا للوصف سوى بإضافة جدا مع كل حالة تفوق سابقاتها فقرا وفاقة. الأهرام تنشر حكم محكمة بالسجن المشدد ١٥ عاما لعاطلين سرقا طالبا جامعيا، لكنها لن تنشر أبدا أي حكم على الذي جعلهما عاطلين يبلغان من اليأس مبلغا ينسيهما أن الريح لن تأخذ شيئا من البلاط سوى ١٥ سنة سجن.

تبدأ إذاعة الفقرة على الهواء فأستعرض الصحف متحاشيا النكد ماستطعت ورابطا ماأقرأه بلوحة ملاكي قريش، تنتهي الفقرة لأتلقى طيلة الطريق مكالمات تهنئة على فتاكتي في قراءة الواقع، قبل أن أخلد للنوم أستعرض ماقلته فأشعر بخزي شديد وأجد نفسي مجبرا على الإعتذار لقريش التي كان لدى بعض سادتها مكارم أخلاق شهد سيدنا النبي أنه جاء ليتممها.

جبروت قريش كان خائبا لدرجة أنه سمح للصحابة أن يلتقوا في دار الأرقم سرا لسنوات، حالات القتل تحت التعذيب كانت نادرة ومستهجنة ووجدت أحيانا سيدنا حمزة ليوقفها، والصحابة تمكنوا من الهجرة إلى الحبشة والمدينة لأنهم لم يوضعوا في سجن أبدي لايعرف له الدبان الأزرق طريق جرة، زائد أن أمية بن أبي

www.alkottob.com

خلـــف لم تكن الدناوة لتصل به إلى أن يعذب سيدنا بلال من أجل كارت شحن.

في اليوم التالي يقابلني عند بتاع الجرايد شاب متحمس مسبغا علي من الثناء مالاأستحق قبل أن يتلفت حوله ويهمس" كان نفسي تكمل جميلك في موضوع قريش وتقول لنا مين في أيامنا دي أبو جهل ومين أبو لهب". الحقيقة ماعرفتش أرد.

حكومتك في العشة ولا طارت؟

www.alkottob.com

لي صديق من كبار المتشائمين والإنهزاميين أطلقت عليه منذ عـرفته "المـتوجس خـيفة"، لأنه لايثق إطلاقا في أي شيئ تبثه وسـائل الإعـلام ويعتبره مكيدة منصوبة له ولباقي أفراد الشعب المـصري، يكفـي لتوضيح شخصيته أن أخبرك بأنه يعتقد أننا لم نفـز فعـلا بكأس الأمم الإفريقية العام الماضي وأن السنغال هي التي كسبتها في مباراة سرية لم تذاع، وأن الحكومة قبضت فريق كوت ديفوار لكي نكسبه كده وكده لتنسي الشعب المصري أحزانه على كارثة غرق العبارة، لاحظ أنه لايقول رأيه هذا اعتباطا، بل يحـاول أن يدلل عليه بالبحث المستمر حتى اللحظة عن أي موقع سـنغالي على الإنترنت ليتأكد من شكوكه،ناهيك عن إستناده لشك منطقـي فـي فكرة أن يقوم اللاعب الدولي دروجبا بجلالة رجله بإضاعة هدف سهل كالذي أضاعه لو لم يكن قابضا من الحكومة، قلـت لـه: لماذا إذن فزنا بشق الأنفس طالما كنا شاريين الماتش، قـال لـي: سأجيبك لو قلت لي أولا لماذا انتظرنا ١٧ ساعة لكي نـبعث قـوارب إنقـاذ للعبارة الغارقة، ياسيدي كلها أشياء مريبة تحدث في هذا الزمن المريب.

المهم مإن أعلنت الحكومة عن ظهور أزمة انفلونزا الطيور

www.alkottob.com

في مصر حتى بادرني صديقي المتوجس خيفة بالإتصال قائلا "شفت.. كويس إني قاطعت الفراخ والبيض من شهور وماسمعتش كلامك وكلام الحكومة إن مافيش إنفلونزا طيور في مصر.. كان زماني باكاكي"، قلت له " كنت أنتظر أن تحمد الله لأن الحكومة عملت بأصلها وأعلنت عن وجود أنفلونزا طيور بشفافية كاملة وأوضحت أن المشكلة تكمن فقط في عشش الفراخ والطيور الموجودة في منازل الغلابة، أما بقية الفراخ بخير لدرجة أن الحكومة بأكملها توقفت عن أكل السيمون فيميه والإسكالوب والستيك ويل دون والستيك تي بون ولم تعد تذوق من الزاد إلا الفراخ، لدرجة أنها تستعد لتنظيم مائدة فراخ مركزية محورية يظهر الوزراء فيها في برنامج البيض بيضك ليأكلوا الفراخ ويقطعوا قول كل خطيب مرجف في الأرض"، كأنني لم أقل له شيئا على الإطلاق، قال لي بإستهانة الواثق " ياعم الفراخ اللي بتاكلها الحكومة دي فراخ متعينة بمرتب ثابت، وفي إدارة كاملة بتكشف عليها وبتراعي طلباتها ده إن ماكانش في كمان ليها طبيب نفسي وأخصائي إجتماعي، إنما الفراخ اللي إحنا بناكلها ياعالم جايه من أنهي مصيبة، والنعمة مانا مصدق إلا لما أشوف وزير الصحة ييجي محل الفرارجي اللي في حتتنا ويتصور مع الفراخ ويبوسها من بقها، ساعتها بس يمكن أصدق"، قلت له "يعني تطلب طلب غير محترم زي ده وبعدين تقولي يمكن أصدق"، قال لي "وأنا إيش يضمني إن الفرارجي مايبيعناش للحكومة.. إذا كان مراتي نفسها أنا مش ضامن تأكلني فراخ فاسدة وتورتني، بيني وبينك بافكر أنتهز الفرصة وأبلغ عنها إنها مصابة بإنفلونزا

الطيور"، قلت له "ومن الذي يمكن أن يصدقك"، قال لي بجدية " قالوا في التلفزيون إن الفرخة المصابة بالحالة لاتبيض ومراتي لاتبيض، يعني تنطبق عليها مواصفات حمل الفيروس"، أخذت أضرب كفا بكف فقال لي ضاحكا "أعلم أنك تتهمني دائما بأنني موسوس ومتشكك في المسيرة وإنهزامي لكنك ستعتبرني رجل اليقين الأول عندما تستمع إلى قصة أم أحمد والدة سائقي وهي والمصحف قصة حقيقية.. تخيل أن الست الحاجة القاطنة بمطار إمبابة رفضت رفضا باتا التخلص من فراخ عشتها وحلفت أنها ستدعو على أولادها بالويل والثبور لو أبلغوا الحكومة عن العشة.. مكتفية بتأكيل الفراخ عسل وليمون معصفر لزوم المناعة.. ومبررة موقفها ذلك بأنه لايوجد أنفلونزا طيور ولانيلة.. وأن الموضوع كله فيه ملعوب عامله تاجر لحمة واصل جايب صفقة لحوم من بره.. ومنهية نظريتها بأن شعب مصر محمي بالأولياء وأنه كما تمكن قبل ذلك من أكل الطيور الجارحة والطيور الفاسدة والطيور المهاجرة وحمامة السلام وطيور الظلام يستطيع أن يأكل طيور عندها شوية رشح بعون الله"، أخذت أستحلفه بالله أن يصطحبني إلى هذه السيدة لأنصحها في الله وأبصرها بالعواقب الوخيمة التي يمكن أن تنتج عن موقفها هذا، وأطمئنها بأن الحكومة هذه المرة تتحلى بالشفافية غير كل مرة، فأخذ نفسا عميقا وطبطب على كتفي وقال لي "لاتؤاخذها ياصديقي.. لأن اللي اتلسع من الزيادة ينفخ في الشفافية".

www.alkottob.com

الليلة المباركية

www.alkottob.com

كانت الساعة قد قاربت منتصف الليل بقليل، عندما شق صوت بكاء حاد هدأة الليل في شارعنا المعتم، في البدء ظننت صوت البكاء قادما من شقة ما بها كرب طارئ أو فاجعة مفاجئة، فسألت الله أن يلطف بنا وبعبيده، وحاولت تجاهل الأمر، لكن أصوات البكاء أخذت تعلو شيئا فشيئا بشكل لم يعد ممكنا أن أتجاهله، خرجت إلى البلكونة لأستطلع الأمر، لم تعد الأصوات قادمة من شقق العمارة المجاورة بل أصبحت تنبعث من أحد شقق عمارتي نفسها.

لابد أن حدثا جللا قد وقع في البلاد، إستر يارب، ماالذي حدث وكيف حدث أساسا وأنا أشاهد الآن قناة الجزيرة التي لو كان هناك مصيبة لأذاعتها فورا، أقلب قنوات الأخبار الموجودة على الدش كلها، ثمة مصائب كثيرة لكن لايوجد مصيبة تستدعي أن يعلو البكاء من شقة الأستاذ عاطف الأهبل الذي لم تجعل له زوجته شيئا "يتبكي عليه" حسب تصريحه لها ذات خناقة حامية، الأمر لله، نشوف قناة النيل للأخبار جايز تكون انفردت بخبر المصيبة، كالعادة ليس بها سوى نفس المحلل الإستراتيجي الذي يثرثر مع نفس المذيعين الموظفين والمذيعات ذوات المكياج

www.alkottob.com

الـرخيص، نجـيب القنوات المحلية، لايوجد أثر لأي مصيبة إذا تجاوزنا عن كون كل قناة منهن مصيبة بحد ذاتها.

لازال صوت البكاء يعلو من الشقق المجاورة، لم يعد صوت بكـاء حاد بل أصبح صوت نشيج يقطع القلب مصحوبا بعبارات مـثل "سـامحنا.. لـيه ماخدناش بالنا من كده.. يارب غفرانك"، مابـدهاش بقى، لن أقف مكتوف الأيدي هكذا، سأجد الخبر اليقين لـدى جاري اللزم الأستاذ سيد، ربما كانت المصيبة قاصرة على شـارعنا بحـيث تـبادل الناس أخبارها في التليفون، هرعت إليه طارقـا بابه، فتح لي والدموع تبلل فانلته الحمالات، "مالك ياأستاذ سيد.. كفى الله الشر"، رد وهو يحاول مسك نفسه بالعافية "ماقيش .. نـدمان شـويتين"، كـان يبدو من صوت بكاء وعويل المدام والأولاد المتحلقـين فـي الـصالة أنهم يشاركون الأستاذ سيد في ندمـه، "مـش عايز أقتحم ندمك.. بس في حاجة أقدر أقدمها"، لم يجـب سـؤالي فقـد زعـق في أكبر أبنائه فجأة "ماتعيطش على الجـرنان ياحـيوان"، كـان إبـنه الأوسط الشهير بحيوان ممسكا بـصحيفة الأهـرام يقـرأ شـيئا ما في صفحتها الأولى ثم يبكي ويمـررها لأخيه الأصغر الذي أخذ يقرأ لأمه الأمية بعض ماهو مكـتوب فـيها بـصوت مختنق بالدموع فتلطم الأم ويتجدد بكاء الجميع. بانت الرؤية إذن، هناك مصيبة في البلد وأنت أيها الغافل لاتـدري عـنها شيئا، "هو في إيه ياإسطى سيد.. ماترسوني على الحكايـة جايز أشارككم الندم"، قال الأستاذ سيد بعد أن جفف غدده الدمعـية ونظـف غدد مناخيره "إنت بالذات هتندم قوي.. هات له

الجـرنان يافاشـل"، كان الأستاذ سيد متعودا على أن يخاطب إبنه العاطـل مـن سنين بهذا اللقب تشجيعا له، أعطاني الفاشل جرنان الأهرام مشيرا لي إلى برواز في صفحته الأولى كان مبللا بعض الـشيئ، لفت إنتباهي العنوان "كل سنة وإنت طيب ياريس"، بدأت فـي قـراءة السطور الأولى وماهي إلا لحظات وفهمت سر ندم الأسـتاذ سيد وأسرته وبكاء أهل الشارع بل وأهل مصر كلها من قراء الأهرام، ليس ذلك فقط فها أنا أشاركهم الندم والبكاء وأجتهد فـي إبعاد الصحيفة عني لكي لاتغرق في دموع الندم التي سالت مني.

" مـن بـين أستار الليل يطلع الفجر.. ومن بين حجب الغيام تـشرق الـشمس ومن قلب الشدائد والمحن يولد الأبطال العظام.. ومـن وسـط الأنواء والعواصف يظهر الربان الماهر الذي يقود بـيقظة وحنكة وحكمة سفينة الوطن إلى بر الأمان والسلام" هكذا افتـتحت الصحيفة العريقة بروازها، صحيح أنني لولا عنوان كل سـنة وإنـت طيب ياريس لظننت هذا الكلام مقتطفا من آخر ليلة محمديـة يـشدو به محمود ياسين أو محمد السبع، وصحيح أيضا أنـنـي تأخـرت في البكاء الحار قليلا لم أفهم يعني إيه غيام، فأنا أعـرف أن الحاجات اللي بتمر في السماء إسمها الغيوم، وصحيح برضـك أنـنـي لـم أطمئن لمفردات العواصف والأنواء والربان والـسلام فموضوع العبارة الغارقة جعل بيني وبين هذه المفردات قلة عمار وإستخدامه في مناسبة كعيد ميلاد الرئيس فيه قلة دراية لـولا التأكد من إخلاص من كتب لظن أنه تلقيح صريح، كل هذا

www.alkottob.com

صحيح لكن الأصح أن الكوبليه الثاني في برواز الأهرام أعادني إلى رشدي وسان جيوفاني ولوران من جديد، وجعلني أنخرط في بكاء حاد وأنا أقرأ ماهو مكتوب " نحتفل كلنا هذه الأيام بعيد مولده ونحن معه وهو يقود سفينة الوطن - هناك تصميم على حكاية السفينة لاأدري لماذا لكن ياالله مش إشكال - غير خائفين أوهيابين متقدمين لامتراجعين.. متفائلين لامتشائمين.. معه وبه يمضي زورقنا - فجأة من سفينة إلى زورق لاأدري لماذا هل غرقت السفينة وأصبحنا في زورق النجاة لم يتم تحدي ذلك - .. لكي نرسو كلنا على شاطئ بلا ألغام.. بلا أوهام.. تظلنا معا أشجار التحدي والتصدي - لم أكن أعرف أن هناك أشجار تحدي وتصدي فآخر علاقتي بالأشجار شجرة القرع - لامكان بيننا لمتخاذل هراب ولا لمتوجس مرتاب.. ولامقعد بيننا لحاسد أو حاقد ولاكاره لوطنه ودينه وبيته" - الآن فهمت سر بكاء الأستاذ سيد فهو كل يوم بعد عودته من الشغل يشتم زوجته قائلا ملعون ابوكي كرهتيني في بيتي ويبدو أنه عرف غلطته الآن وأنه يمكن أن يفقد مقعده تحت شجرة الوطن لو ثبت أنه كاره لبيته.

لم أستطع إكمال قراءة برواز الأهرام فقد صرت خاشعا متصدعا من حب الرئيس، هرعت خارجا من شقة الأستاذ سيد لأتركه هو وأسرته يغرقون في بحار الندم لأنهم لم يوفوا الرئيس حق قدره طيلة هذه السنين، قال لي الأستاذ سيد معاتبا "مش تستنى لما تقرأ إنجازات الريس عشان تندم قوي"، قلت له " ندمان من غير ماأقراهم.. لازم أروح ألحق أجيب نسخة عشان أعيط

براحتي وألحق أعدي على بتاع الزرع أجيب شتلة تحدي وتصدي بدل الورد والكلام الفاضي اللي أنا زارعه في البلكونة.. أجيب لك معايا شتلة"، قال لي " لا أصل أنا قلت أجيب شجرة حكمة من اللي كاتبين في برواز الأهرام أن سيادته حجز مكانا لمصر تحتها.. هي مشكلة شجرة الحكمة إنها بتسحب مية كتير بس أهو الواحد يكفر عن أخطاءه شوية"، قبل أن أخرج من باب شقة الأستاذ سيد جذبني من قميصي حتى كاد يقده من خلاف وقال لي بصوت متهدج "ماإنتاش خارج إلا لما تديني العهد الأول"، بسطت يدي إليه وانضم إلينا أهل بيته إلا إمرأته التي وضعت يدها على كتف زوجها منعا لوساوس الشيطان، وضعنا أيدينا على برواز الأهرام بما فينا الفاشل الذي لم يجد عملا من أربعة سنين، وأخذنا نهتف من أعماق قلبنا بصوت جهير لكي نسمع من في العمارة قائلين "تبنا إلى الله ورجعنا إلى الله وندمنا على إنتقادنا لسياسات السيد الرئيس وعزمنا على ألا نعود إلى ذلك حتى عيد ميلاد سيادته القادم" ثم إنخرطنا جميعا في بكاء مرير لم نتوقف عنه حتى الآن.

www.alkottob.com

وتعيش لنا للممات ياريس.

ياقمرنا إنت ياسكرة!

www.alkottob.com

هل أعجبتك هذه العبارة؟.

ودي عايـــزة كـــلام؟. بالتأكيد أعجبتك فأنت مواطن مصري صـــالح يحـــب رئـــيس بلاده كثيرا ويلهج لسانه بالدعاء له بظهر الغـــيب ويتمنـــى أن يقابلـــه ذات جولة تفقدية مفاجئة ليقترب منه ويقول له "إني أحبك في الله"، صحيح أن من سيرد قائلا "أحبك الله الذي أحببتني فيه" هم ضباط أمن الدولة الذين سيحققون معك بكل لطـــف كرتونـــي حول سر إقترابك المفاجئ من سيادته، لكن ذلك بالتأكـــيد لن يمنعك من التعبير عن حبك وإمتنانك للرئيس العظيم الـــذي أفنـــى عمره كله من أجل شعبه ووطنه، دون أن ينال من وراء ذلـــك شـــيئا، حتـــى عندما حاول أعضاء الطابور الخامس المندســـين في الصحف القومية أن يشوهوا صورة سيادته فيقولوا أنـــه تبـــرع بعشرين مليون جنيه من جيبه الخاص لشراء أجهزة طبـــية لمستشفيات الصعيد نسي الحاكم السابق لمصر خلال الربع قـــرن الماضي أن يشتريها، اندفع إثر ذلك الخبر البهيج حفنة من المعارضـــين يحتجون ويرغون ويزبدون دون أن يتبينوا من النبأ الـــذي ســـاقه بعـــض الفسقة والمرجفين في الأرض، لكن شمس الحقيقة سطعت في اليوم التالي عندما أعلن مصدر مسئول أن كل

www.alkottob.com

مانشر في الصحف القومية كان تهيؤات وأن الرئيس مبارك ليس لديه عشرين مليون ليتبرع بها، وأنه أصدر تعليماته بصرف العشرين مليون هذه على وجه السرعة، وبدلا من أن نشكر سيادته ونبوس إيديه شعر ودقن على رأي اللمبي أخذنا نتساءل بكل جحود: من أين له هذا؟. طبعا من حسن حظ الصحف القومية أن الحكومة لن تعاقبها بقانون الشائعات الجديد الذي أصدرته مراعاة لطول مدة الخدمة، ومن حسن حظنا أن تم التصحيح سريعا لكي لايقوم أهل العيون المدورة بحسد جيب سيادته الخاص الذي اتضح أنه ليس مليئا بالملايين كما حاول أهل الصحف القومية ان يروجوا.

لكن ماشأن كل هذا بالعبارة السابقة؟ بالمناسبة أرجو ألا تكون متأثرا بقرار رفع التحفظ عن أموال قرصان أواطي البحار ممدوح إسماعيل صاحب العبارة الغارقة وصاحب الدكتور زكريا عزمي رئيس ديوان رئيس الجمهورية فتقرأ كلمة العبارة بتشديد الباء، فلاشأن للحديث عن رئيسنا ونظام حكمه بأي عبارات غارقة أو آيلة للغرق، نحن هنا نقوم بتحليل تلك العبارة التي كانت سببا لقراءتك لهذه السطور "وتعيش لنا للمات ياريس.. ياقمرنا إنت ياسكرة"؟. من قائل هذه العبارة؟ إذا عرفت الإجابة فاتصل بصحيفة أخبار اليوم واطلب مكتب السيد رئيس تحريرها ممتاز القط واترك عنده الإجابة لتحصل على جائزة فوار يعالجك من آثار قراءة مقالاته.

لن تفعل ذلك طبعا لأنك سيستحيل عليك أن تعرف قائل هذه

الكلمات البليغات المليئات بالحب الصادق الذي كما نعرف جميعا عمره مايحتاج لكلام طبقا لتأكيد السيدة أم كلثوم، لكن الحب الصادق في حالة حب السيد الرئيس يحتاج لكلام كبير مثل هذا. في الحقيقة ولكي لايحتار حمارك أكثر من هذا، التي قالت هذه الكلمات سيدة ريفية بسيطة اعترض طريقها مصور قناة الجزيرة في أحد شوارع القاهرة أثناء تصويره لمظاهرة لبعض المارقين من معارضي الرئيس مبارك والذين كانوا يقومون بترديد أقذع الألفاظ الخارجة عن الآداب العامة مثل "كفاية.. ياقضاة خلصونا من الطغاة.. ياحرية فينك فينك أمن الدولة بيننا وبينك.. لا للتوريث" ومالى ذلك من العبارات التي تثبت أن أهاليهم لم يعلموهم أن الشتيمة تلف تلف وتتحط في الملف، كانت السيدة تمر خلف هؤلاء القبحاء - جمع أبيح - عندما تحولت الكاميرا إليها فجأة فابتسمت ملء شدقيها ورفعت إحدى يديها إلى السماء، فقد كانت الأخرى ممسكة بكيس بلاستيك إسود مليئ بخيرات مصر، وأخذت تغمغم بجمل غير مفهومة ظنها البعض جملا معارضة مشفرة لولا أنها ختمتها بقولتها التي ستصير مثلا "وتعيش لنا للمات ياريس.. ياقمرنا إنت ياسكرة". الله. شايفين الحب التلقائي العفوي، وأيم الله لقد اقشعر بدني وشاب شعر يدي عندما داهمتني هذه الكلمات وبدأت أفكر في كل الكلمات التي خطها يراعي في معارضة الرئيس مبارك دون أن ندرك أن حبه ضارب أطنابه في قلوب بسطاء المواطنين الذين صيّرهم حب الرئيس شعراء ينطقون بما يعجز عنه فحول الشعراء.

www.alkottob.com

من أين أوتيت هذه السيدة بكل هاتيك القدرة على تكثيف معاني الحب في كلمات قلائل، وكيف استطاعت أن تجمع بين الفصحى والعامية ولغة الصحافة فضلا عن لغة الجسد بهذا الشكل المعجز دون أن تلجأ لما درج العامة على ترديده من عبارات المديح المبتذلة التي لاتعلق في الأذهان والتي تفضح العيون كذبها وبهتانها؟. لاتفسير عندي لهذا سوى ما يقوله دارسو الشعر ونقاده عن كون الشعر ينبع دائما من أصالة التجربة وصدقها، وأغلب الظن أن هذه السيدة خاضت تجربة حياة حافلة، حافلة بإيه .. ورقم الحافلة كام.. مش مهم، المهم أنها حافلة وخلاص، ولذلك فقد نطقت بهذا الشعر المكثف الذي سيدخلها التاريخ عن جدارة جنبا إلى جنب مع شعراء البيت الواحد الذين قيض الله لهم الأصمعي ليحفظ ماقالوه، ولعله جعلني سببا لكي أحفظ ماقالته لكي يكون شهادة بليغة على عصر الرئيس مبارك، خاصة أننا لم نعد نورث للأجيال القادمة شهادات نكتبها على جدران المعابد فلم يعد دخولها في متناول المواطن العادي، أو حتى على جدران الكباري أهم منجزات عصرنا فقد جعلها الذين لايصونون النعمة مكانا للصنان وبدلا من أن يصيروها مراكز إشعاع ثقافي تصيروا فيها والعياذ بالله.

لكن من قال أن ذلك يمكن أن يمنعنا عن تسجيل هذه العبارة الخالدة في أي مكان نقدر عليه لكي تكون شاهدا على النعيم الذي عشناه في عهد الرئيس مبارك، خاصة أنها لم تصدر عن رجل أعمال كأحمد عز من حقه أن يدعو بمثل هذا الدعاء لمن كسب

الملـيارات في عهده، أو عن كاتب موالس كان كبيره يمسك الخشب فمسكوه رئاسة تحرير، أو عن قط مسكوه مفتاح كرار الوزارة. فلو صدر هذا الدعاء عن أي من هؤلاء لما وقر في قلوبنا هكذا لكنه صدر عن مواطنة بسيطة يشي مظهرها ساعة التصوير بأنها كانت عائدة من مقر عملها، ولو لم تكن أساريرها منبسطة وخلجاتها راضية بمائرتديه من "خلجات" وتحمله من خيرات الدنيا وأطايب الحياة لما لهجت بمثل هذا الدعاء. إنها باختصار واحدة من محدودي الدخل الذين كنا نخوض ونلعب ساخرين من قول سيادة الرئيس أنهم في عقله وقلبه، ثم جاءت هذه السيدة بدعائها لتكشف غينا وزيفنا ويتضح لنا أن القلوب عند بعضيها وأن الرئيس أيضا هو في عقول وقلوب محدودي الدخل،وليس على السادرين في غيّ المعارضة إلا أن يطلعوا منها ويتوقفوا عن لعب دور العذول ويقولوا لأنفسهم في لحظة مكاشفة "ربنا يهني سعيد بسعيدة وشعبنا برئيسه"، ولعلهم يدركون خطل وهطل منهجهم الدنيوي البراجماتي الإمبيريقي الذي يفترض أن حب الشعب لرئيسه لابد أن ينبع من غرق هذا الشعب في العز وأكل الوز، وخلوه من الأمراض والعلل، وتمتعه بما لذ وطاب من الأكل والشراب، مع أن المواطن منا لايجب أن يبتغي من الدنيا سوى قبر يلمه أقصد لقمة تسد رمقه وشربة تروي ظمأه ومكان محندق يحب فيه رئيسه ويدعو له قائلا " وتعيش لنا للممات ياريس ياقمرنا إنت ياسكرة".

لقد أشعرني هذا الدعاء الجليل بصدق وعمق ذلك الكلام الذي

www.alkottob.com

قاله يوما ما الرئيس جمال عبد الناصر عن كون الشعب هو المعلم الأعظم، وبعد أن كنت أسخر من ذلك الكلام وأقول " إذا كان الشعب معلما أعظم فلماذا إذن ترك عبد الناصر كرابيج رجاله تعلّم على جسد الشعب"، لكنني الآن أيقنت أن عبد الناصر على حق، فقد تعلمت أنا الكثير من هذه السيدة التي جعلتني أتأمل أنني برغم كل ماأنا فيه من نعم لاأشكر الرئيس مبارك ولاأدعو له، ولذلك فأنا أقضي وقتي في الحنق والسخط والمعارضة، بينما هي لاتكف عن الدعاء له بأدعية يعجز عن قولها كبار المتصوفين ولذلك فقد كانت الإبتسامة تملأ شدقيها وتنير وجهها المكدود من عناء المحبة. ومأأحوجكم إلى أن تسلكوا ماسلكته فتتعلموا من هذه السيدة التسامح والدماثة والبلاغة فتلهج ألسنتكم بأدعية كالتي دعت بها، أما إذا لم يزركم شيطان الشعر الذي زارها فاكتفوا بأن تترددوا دعاءها وتحفظوه لأولادكم "وتعيش لنا للممات ياريس. ياقمرنا إنت ياسكرة"، وإذا سألكم أحد الذين لم يثبت حب الرئيس في قلوبهم "يعيش لممات مين بالضبط" فقولوا له على الفور " لممات الشعب طبعا ياقليل الأدب".

رمضان في منشية ناصر

١٨ يوما فقط!

www.alkottob.com

جاءني صديقي الغيور على دينه وهو ثائر ومنفعل ويضرب كفا بكف ويقول لي أنه لم يكن يتصور أنه سيأتي اليوم الذي ترتكب فيه المعاصي في مصر جهارا نهارا دون خشا أو حياء. حاولت تهدئة ثائرته لكن ثائرته رفضت، فطلبت منه أن يتركها حتى تهدأ لوحدها ويبادر ويحكي لنا عن المعصية التي استفزته إلى هذا الحد، فقال لنا أنه لم يشهدها بنفسه وإلا لما كان قد أغفل واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن صديقا ثالثا لنا للأسف حكى له أنه رآها دون أن يغيرها، بدأ كلامه يغير دمي، فقلت له: ياعم خلص وإحكي لنا عنها لعلنا نذهب سويا لنغيرها.

بسمل صديقنا وحوقل واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم وذم إلى هذا الزمان أهيله ثم قال لنا أن صديقه روى أنه اضطر لبعض شئون دنياه أن يذهب في نهار اليوم الثامن عشر من شهر رمضان إلى حي منشية ناصر أحد أشهر الأحياء العشوائية والفقيرة في مصر ففوجئ أن الناس فيها يفطرون جهارا نهارا دون أن تبدو عليهم آثار السفر أو المرض، بل بالعكس كانوا في منتهى الحبور والسرور وكان أطفالهم يلبسون ملابس جديدة ويقومون بفقع البمب في الشارع، ونساؤهم يسرن بصواني الكحك

www.alkottob.com

والغـريبة فـي الشارع، بل وأن إمرأة منهن عزمت عليه بقطعة غريبة ساخنة كادت عينه تطلع عليها، وعندما تمنع خوفا من الله، قالـت لـه: ماتخـافش دي معمولة بسمن النخلتين، لكنه أبى أن يعـصي الله ويأكلهـا حتـى لو كانت معمولة بسمنة روابي "ذات الطعـم البلدي وتحدي"، ونهر المرأة التي شتمته شتيمة قبيحة كان بمقدوره في العادي أن يردها عليها بأحسن منها، لكنه خشي على أجـره فاكتفى بأن يقول لها: اللهم إني صائم، ثم لم يقدر فقال لها: ربـنا يسامحك يابنت الكلب، عازما أن يحتج بين يدي الله بأن هذه ليـست شتيمة بل تقرير واقع، ومضى في طريقه وهو ينظر إلى أطفـال المكـان وهم يلعبون بالمراجيح البلدي ويرشقون بعضهم بمـياه المجـاري فـي حبور، دون أن يفهم ماالذي حدث لهؤلاء الناس، ظن أن الفقر أفقدهم عقولهم ومن ثم أفقدهم إيمانهم، فقرروا أن يـضربوها طبـنجة ويفطـروا في نهار رمضان لعلهم بذلك يجتذبون أنظار المجتمع إليهم فيبدأ في حل مشاكلهم المعقدة وينظر إلـيهم بعـين العطف والرضا، أخذ صديقي يدعو الله أن يقيه شر الفقـر الـذي يفضي إلى الكفر، كان قد وصل إلى الصديق الذي قـصده لـبعض شئون دنياه، فزاد من حيرته أن صديقه سلم عليه بحفـاوة وقال له " كل سنة وانت طيب"، قال له "طيب إيه بقى هو انـتو خليـتو فيها رمضان ولا نيلة.. ده إنتو عيدتو مع نفسكو"، اسـتغرب صديقه كلامه وقال له "مانا باقولك كل سنة وانت طيب بمناسـبة العيد.. هو إنتو ماعيدتوش تحت" (كان يقصد بتحت هذه القاهـرة الكبرى وضواحيها والمقيمين خارجها مع مراعاة فروق

التوقـيت.. فأهـل منـشية ناصـر يعتبرون أنفسهم فوق لأسباب جيولوجـية لا طبقية). ظن صديقنا الأمر اشتغالة فشخط فيه قائلا "جـرى إيه ياعم.. إنت هتخسرني صيامي.. عيد إيه وزفت إيه.. خلـصني خليـني اشـوف مـصلحتي.. عشان شكلكو هنا فايقين ورايقـين"، أخـذ المنشاوي الناصري - نسبة إلى منشية ناصر - يهـدئ مـن روع صـديقنا وعزم عليه لأكثر من مرة أن يشرب لـيمون لكي يروق دمه، ثم توقف عن ذلك لما وجد هذا العرض يـزيد من انفعاله، ثم حكى له أن الحكومة هذه السنة عملت شهر رمـضان ١٩ يـوم بـس كهدية للناس بمناسبة فوز الرئيس في الإنتخابات وأن شيخ الأزهر قال أنه لايوجد مانع طالما رأى ولي الأمـر أن فـي ذلـك مـصلحة للناس خاصة والإسلام دين يسر لاعـسر، هـب صديقنا ثائرا يريد أن يفتك بالمنشاوي الناصري وأخـذ يتهمه بالهرطقة والزندقة، لكن الرجل استشهد له بأكثر من جـار له أكدوا له نفس الكلام، ثم استدعوا عم الجارحي الموظف الـسابق بـشركة ألبان والخارج معاش مبكر وهو من أكبر أهل المـنطقة سـنا وأكثرهم ثقافة وعلما، وقد حاول عم الجارحي أن يمتص غضب صديقنا القاهري فأكد له أن هذا الكلام جاء بتوجيه مـن الـسيد الرئيس القادم جمال مبارك، وأنه تم نشره في جريدة روز اليوسـف التـي يعلـم الجميع أنها جريدته المفضلة. انفعل صـديقنا بشدة وقال له: والمصحف لأنزل أبلغ عنكو في الأزهر دلوقتـي يقـيموا علـيكو الحـد، ولا عشان كفرانين من عيشتكو هتكفـروا رسمي، خاف الجمع من تهديد صديقنا فأخذوا يعاتبونه

www.alkottob.com

علـى أنه ظن بهم الشر وتخيل أنهم يمكن أن يفطروا جهارا نهارا لمجـرد أنهـم كفرانين من عيشتهم وفقرهم، بل وقال له أحدهم " معقـولة نعمـل كده عشان نعيش في جهنم دنيا وآخرة"، استلم عم جارحي زمام الحديث ثانية وقال لصديقنا أن كل الحكاية أن " ست الكـل السيدة سوزان مبارك زارتنا هنا في المنشية الأسبوع اللي فـات ونـورت الدنـيا كلها.. وانبسطنا بيها وانبسطت بينا وبعد مامـشيت قـرينا فـي الجرايد حكاية إن الحكومة هتقدم العيد في منـشية ناصـر، فرحنا قوي وقلنا أخيرا الحكومة حست بينا وإننا صايمين طول السنة ومش لاقيين اللضا وقالت الناس الغلابة اللي في منشية ناصر يصوموا السنة دي ١٨ يوم بس.. وإحنا عارفين إن القـرار ده مـش لـوجه الله.. لا.. ده عشان ننتخب مرشحين الحـزب الوطني.. وبصراحة إحنا هنعمل كده عشان الخدمة اللي اتعملـت ده ماكـانش يقدر يخلصها لنا غير الحزب الوطني ربنا يبارك له.. صدقت بقى إن احنا مابنعسيش ربنا لاسمح الله".

قلـت لصديقي: ماتحكيه مرعب لكنني لاأصدقه، صحيح أن زيارة السيدة سوزان مبارك لهذه المنطقة حدث مهم لأنها تأتي بعد سـنوات من التجاهل الرسمي، وصحيح أن السيدة سوزان مبارك كما قال عنها القط الممتاز في مقاله في أخبار اليوم "نذرت حياتها لإسـعاد الفقـراء والمهمشين"، لكن كل ذلك ليس كافيا لكي تقامر الحكومة بتخفيض شهر رمضان ولو على سبيل الدعاية الإنتخابية أو حتـى التخفـيف عن الناس احتفالا معهم بفوز الرئيس مبارك، خاصـة والبلد مولعة بعد حكاية مسرحية الفتنة الطائفية في كنيسة

محرم بك وضرب عساكر الأمن المركزي للمتظاهرين الغيورين علـى سـيديهات دينهم، ويصعب على الحكومة أن تغامر بالقيام بحركة مثل هذه، عموما الأمر لايستحق السكوت، ولابد أن نذهب سـويا مع صديقك إلى منشية ناصر لنشاهد بأنفسنا. قال لي: طيب اسـتنى بعـد الفطـار أصل نفسي في الغريبة اللي حكى صاحبنا عنها.

بعـد الإفطـار ذهبـنا لصديقنا الذي استغرب تأهبنا وتحفزنا للـذهاب إلـى منشية ناصر، وعندما عرف السبب وقع منا على الأرض مـن شـدة الضحك، ولم يتوقف عن الضحك إلا بعد أن نهرناه بشدة وكدنا نضربه، وعندما هدأ قليلا خشية من ثورتنا قال لنا أنه فعلا ذهب إلى منشية ناصر لكن كل ماحكاه كان من وحي خـياله، اشتغالة يعني، وأن مادفعه لذلك هو أنه قرأ مقالا لرئيس تحريـر روز اليوسـف عـبد الله كمال يعلق على زيارة السيدة سـوزان مـبارك لمنشية ناصر قائلا بالنص "العيد جاء مبكرا في منـشية ناصر" فتخيل صديقنا كل السيناريو الذي حكاه إمعانا في العـبث الـذي جعل عبد الله كمال يكتب كلاما مفضوح المواسة كالـذي كتبه، انهلنا عليه ضربا وتقريعا لأنه لعب بأعصابنا وكان يمكـن لـنا لو قررنا أن نغير المنكر بدون أن نصطحبه أن نفقد حياتـنا في منشية ناصر إذا ماذهبنا إليها لنلوم أهلها على إختصار شهر رمضان والتفريط في حد من حدود الله. وبعد طول الضرب اعتـرف لـنا صديقنا أن شأن الدنيا الذي ذهب إلى منشية ناصر بسببه هـو أنه كان رايح يجيب حشيش. فلمنا أنفسنا لأننا نسينا

www.alkottob.com

حقـيقة أمره وصدقنا حشاشا أراد أن يسخر من موالس فنسب إلى أناس أبرياء مؤمنين مثل أهالي منشية ناصر مالايمكن أن يفعلوه. كـل سـنة وأنتم طيبون، وكتب الله لنا ولكم زيارة السيدة سوزان مبارك بإذن الله.

معدوم يشتري ترباسا!

www.alkottob.com

مسرحية من فصل مرير – للكبار فقط

(كعادتهما كل يوم يلتقي المواطنان محدود ومعدوم لمناقشة هموم الوطن على قهوة العدم.. يسخران من كل حدث أيا كانت قسوته على أساس أن شر البلية مايضحك.. ويتمنيان البلا قبل وقوعه على أساس أن البلا واقع لامحالة.. في هذه المسرحية المنظر ثابت والديكور ثابت وسعر المنتج ثابت.. لاتوجد أي حركة مسرحية تذكر.. على الممثلين الأداء بشكل طبيعي وعدم الإجتهاد في توصيل الحوار لأن المفروض ألا يصل).

محدود: شفت ياعم.. مسكوا السفاح بتاع قرية بني مزار.. طلع سوكوباتي.. يعني مافيش لاعصابة بتقطع الأعضاء الذكرية وتفتح بيها طرب الفراعنة ولانيلة

معدوم: أنا ماكنتش مصدق الموضوع ده.. أعضاء إيه اللي تفتح طرب.. ماطول عمرنا ماشيين بيها ومافتحتش علبة تونة

محدود: أسكت ياعم ده الواحد عاش في رعب اليومين اللي فاتوا.. طول عمري عايش مش خايف من الحرامية عشان ماعنديش حاجة تتسرق.. حتى العمر ذات نفسه اتسرق خلاص.. جه اليوم اللي أقفل الباب بالترباس وأتمم على الشبابيك أحسن

أصحى الصبح ماألقاش أعضائي

معدوم: ياعم يعني هي كانت عملت لك إيه أساسا.. على الأقل لو اتاخدت منك هتريحك من الإحراج

محدود: على رأيك.. بس والله الناس اللي ماتت دي حاجة تقطع القلب.. ربنا يرحمهم برحمته.. اللي حصل ده مخلي الواحد يشك في صوابع رجليه

محدود: إيه ريحتهم وحشة؟.. بص لما تروح بلاش تغسلهم بمية سخنة.. هي اللي بتعمل الريحة

معدوم: مية سخنة إيه ياعم.. هو أنا باغسلهم أساسا.. المية مقطوعة بقى لها فترة.. من ساعة ماحصل عطل مفاجئ في الماسورة الأم وهم مش عارفين يلاقوا لنا أم تانية عشان نستحما

محدود: وهي الأم تتعوض

معدوم: أبدا.. المهم قصدي أقولك إن اللي حصل ده مخوف الواحد من كل اللي حواليه.. حتى قرايبه الأنتيم

محدود: بالعكس دي فرصة عشان تطهر الجبهة الداخلية

معدوم: أطاهر الجبهة الداخلية إزاي يعني

محدود: بطل هزار.. أنا شايف إن اللي حصل ده يخليك يبقى عندك سبب تقطع علاقتك بكل قرايبك وقرايب مراتك.. منها توفير للعزايم والحفلات وأعياد الميلاد والطهور وهدايا النجاح والخيلة الكدابة دي.. ومنها تضمن إن ماحدش فيهم يطلع سوكوباتي ولاملعوب في نفسيته

معدوم: وهو في حد في البلد مش ملعوب في نفسيته.. ده أنا

www.alkottob.com

قعـدت أفكر في ظروف الناس اللي معايا في العمارة لقيت يطلع منهم تلاته سفاحين وكذا قاتل مختل وتمانية "مجرم موتور"

محـدود: ياريت على كده وبس.. زمان كان أحسن حل تقفل بـاب شـقتك عليك.. دلوقتي أحسن حل تقفل باب أودتك عليك.. مانـت إيـش ضمنك يكون إبنك بيتعاطى مخدرات.. ولا مراتك عضو في عصابة سطو مشلح.. لازم تخلي تعاملك مع الناس كلها رسمي.. ماحدش ضامن الظروف

معدوم: بس لعلمك اللي حصل ده يمكن يهون مصيبة إخواننا السـودانيين اللي البوليس قتل قرايبهم المعتصمين في جنينة ميدان مـصطفى محمود ويكنعهم يعني إن الموت في مصر مش صعب قـوي.. مش لازم تعتسم في جونينة عشان تموت.. ده إنت ممكن تمـوت وإنت في قلب الترينج اللي لابسه.. ده لو ماكانش الترينج بيتغسل

محـدود: بص بقى أنا صعبان عليا الإخوة السودانيين وربنا اللي عالم بزعلي عليهم بس أنا يعني شايف إنهم ظالمين الحكومة بتاعتـنا قـوي.. قعـدوا يطالـبوها تعاملهم معاملة المصريين.. الحكـومة قلـبها رحيم ورهيف قعدت تقولهم تلات شهور بلاش معاملـة المـصريين.. خليكو سودانيين أحسن.. صمموا.. قامت ملبـية طلـباتهم وسـلطت عليهم الأمن المركزي يعاملهم معاملة المصريين.. طب تزعلوا ليه.. مش انتو طلبتو معاملة المصريين

معدوم: يحمدوا ربنا إن الحكومة موتتهم على طول مش زي مامـوتت اللـي طلعـوا ينتخبوا.. الأول سلطت عليهم البلطجية

والشراشيح يلتسكوا بيهم.. إنما إخواننا السودانيين على الأقل ماتوا بكرامتهم

محـدود: إنـت عارف لو اللي اعتسموا دول كانوا مصريين ماكانوش سابوهم تلات شهور.. كانوا فضوهم في ساعتين وتلت

معدوم: قصدك فضوا اعتصامهم

محـدود: لا.. قـصدي فضوهم.. وإنت قاريني بقى .. على فكـرة أنا زعلان من إن الدكتور نظيف زار عساكر الشرطة اللي اتجرحوا ومازارش السودانيين.. دي مش أخلاق الناس الطوال

معـدوم: يـزورهم إزاي يـاعم.. ده لـو شافوه كانوا كلوه بسنانهم.. وهو ماشاء الله ممكن يكفي خيمتين تلاته أكل.. الراجل مصر محتاجاه

محدود: محتاجاه في إيه

معدوم: مصلحة كده.. ماتوجعش دماغك.. ياالله سلام

محدود: رايح فين

معدوم: رايح أشتري ترباس لشباك المطبخ عشان السفاحين

محدود: وتشتري ليه.. هاديك الترباس بتاعي

معدوم: وإنت تتام من غير ترباس.. مش خايف على نفسك

محـدود: بينـي وبيـنك.. أنـا أتمنى ربنا يرزقني بسفاح.. يريحني من غلبي.. على الأقل أضمن أموت شهيد.. وأقضيها في الجـنة عـسل ولـبن وخمـرة.. وأهم شيئ أنهار مية مابتعطلش مواسيرها الأم

معـدوم: ياسيدي ربنا يوعدنا جميعا.. بس إفرض السفاح جه

www.alkottob.com

وإنت مش في البيت والجماعة لوحدهم

محدود: ياااه.. ده يوم المنى.. أهوه يرحمني من مراتي ومن أعضاءها

معدوم: المهم ربنا يكرمنا بسفاح يخلصنا من أعضاء العصابة اللي ناهبانا. قول يارب. سلامو عليكو

عبد الله سيتا أومباسيبل!

www.alkottob.com

عــرفت عــبد الله محمد الشهير بعبد الله سيتا في وقت كنت أظن فيه وبعض الظن إثم أن التصدع الدائم والإنهيار المتوالي في الحياة شرط أساسي لكي يكون الإنسان مثقفا.

عــبد الله الــبالغ بشق الأنفس ٢٤ عاما والحي الذي لايرزق بشبرا الخيمة كان واحدا من المعلمين العظام الذين تعلمت منهم أن الــرجل الحقيقــي هو الذي لاينخ للحياة ولايطاطي لها، كان لدي أحــزان حياتــية بعــضها حقيقي وبعضها وجودي، لكنني عندما عــرفت عــبد الله وعايشت أحزانه التي تخربق الجبال الرواسي، توقفت منذ لحظتها عن التصدع والإنهيار وأدركت أنني لن أكون شــاعرا أبدا وأن الشعر مش بالعافية، ومن ساعتها وكلما واجهت همــا أو أزمــة أتذكر وجه عبد الله السفيف وهو يذكرني بجملته الفلسفية المركزية " مطرح ماترسي دق لها.. لحد ماهي تدقك".

عــندما عــرفت عبد الله قبل سبعة أعوام كنت صحفيا يشار إليه بالبنان في زمن كثرت الإشارة للصحفيين فيه بالوسطى، كنت آخــذ مــرتبا يبلغ ستة أضعاف مايقبضه عبد الله الذي كان يقبض مائــة وخمــسين جنــيها في هيئة السكة الحديد، سألته مرة "إنت بتشتغل إيه في السكة الحديد ياعبد الله"، فقال لي "مش عارف بس

www.alkottob.com

بيشكروا فيا في الشغل". كثيرا ماحمدت لعبد الله أنني على سوء ظروفه المادية لم أضبطه يوما ما متلبسا بالإستلاف مني، كان لديه حرص أزلي على أن يؤكد لي أنه ليس بحاجة أبدا إلي، بل ظل سنوات يحاول إقناعي بالتدخين "عشان نعرف نعزم عليك بواحدة كوكو الضعيف"، كان يريد طيلة الوقت أن يشعرني أنه موجود، حاولت كثيرا أن أفسد عبد الله بجعله يدمن القراءة ونجحت، لكن عبد الله كان مؤصلا فلم تؤثر فيه الكتب التي قرأها، مع أنني تعمدت أن أعطيه كتبا ستحوله لامحالة إلى إنسان مخوخ مثلي ومثل كل من قرأها لكنه وبرغم قراءته لها ظل لريب الدهر لايتصدع، حاولت يوما ما أن أحصل منه على تفسير فقال لي "بص ياعم مشكلتك في الحياة إنك اتولدت لقيت في بيتكو تلاجة"، ثم هز رأسه وسكت، بدا التفسير لي مقنعا لكنه أصابني بتشاؤم شديد عندما أدركت أن أبنائي من بعدي سيصابون بنفس تخوخي النفسي لأنهم بالتأكيد سيولدون في بيت به ثلاجة.

في يوم فلس عظيم منعت نفسي بصعوبة من أن أحقق لعبد الله انتصارا تاريخيا بجعله يسلفني قرشين، أو ٢٠٠ قرش بمعنى أصح، ولكي أغلوش على رغبتي المحمومة في السلف سألته غاضبا " ياعم إنت ازاي عايش حياتك ومقضيها بمرتب ١٥٠ جنيه بس وأنا اللي باخد قدك ست مرات مش قادر أعيش.. هي فلوسي حلال وفلوسك حرام.. ولا تكونش بتسرق.. ولابتتاجر في المخدرات.. ماتفهمني إنت إيه بالضبط"، كان سؤالي اقتصاديا امبيريقيا بحتا لكنه قلب بجد ونكد وقلب المواجع كلها على عبد

الله، قال لي "ياه.. تخيل دي أول مرة حد يسألني إنت إيه بالضبط.. الله يسامحك"، أخذ عبد الله يقول كلاما أفزعني وأطار صوابي فطلبت منه أن يتمهل ويتخيل أنه يدلي بشهادة عن نفسه يكون دوري أن أوصلها للناس لكي يعرفوا أنه كان على هذه الأرض واحد إسمه عبد الله كان أرجل بكثير من عبيد آخرين لله، لعب الموضوع في دماغ عبد الله وبدأ يفكر في عنوان مقترحا عنوانا مبدئيا "كفاحي ياولاد الوسخة"، أخذته على قد عقله، لكنه أدرك أنني أشتغله حتى يبدأ في الحكي، ولذلك قال لي "بص أنا قررت أن أسمي شهادتي سيتا أومبيسيبل"، كان عبد الله قد سمع هذه الكلمة من سائحة فرنسية تكاثر عليها أبناء مصر البررة في محطة مصر ليروها حفاوة واحتضان أولاد البلد، وكانت تصرخ مرددة "سيتا أومبيسيبل" وهي تحاول الهروب منهم، أعجبت الكلمة عبد الله وخيشت معه، فكلفني بالسؤال عن معناها، وعندما قلت له أنها تعني "مش ممكن أومش معقول" فرح بالجملة فرحة الناجي أكثم وهو خارج من أنقاض عمارة هليوبوليس، فاتخذها لسان حال له يخاطب بها كل من حوله، حتى صار إسمه في المنطقة عبد الله سيتا امبوسيبل، لم يكن مهما بالنسبة لي أن يكون إسم شهادة عبد الله مايكون، كان المهم أن أسجلها للتاريخ وكفى، كنت أريد أن أنتزع من عبد الله شهادة على حاله وحال أقرانه من السكان الأصليين لمصر، شهادة أنقلها لكم وعهد الله دون حذف ولا إضافة ولاتعديل، وعشان الواحد يراعي ربنا، فقط حذفت بعض الشتائم والقباحات الصريحة التي يمكن لك تخيلها، مكتفيا

www.alkottob.com

بالقباحات اللاصريحة، ومضيفا بعض الأخطاء الإملائية والنحوية من أجل تحقيق وحدة النص.

يقول عبد الله سيتا التائه في شهادته يخاطبك عزيزي الساكن غير الأصلي لمصر:

"بص ياعم إنت ياللي بتقرا للجدع حبيبي بلال فضل، صباح الفل،أعلم أنك لا تعرفنى مع أنك تعرفنى أشد المعرفة، ممكن أكون أخوك أو أخو صديقك أو ابنك أو ابن الجيران أو ابن كلب خبطك في كتفك وإنت معدي أو غشك في لم الأجرة في الميكروباص أو حك عربيتك بعجلته أو بص على حريمك بصة وحشة، يعني المهم أنك تعرفنى وأنت لاتعرفني. لكى لا أطيل فى كلامي الذي قد تظنه ألغازا، دعنى أبدأ معك من الصفر أو من تحت الصفر، فذلك أصدق وصف لما أعيشه آلان.أبدأ حكايتى من بعد ان أخذت "الدبلون" يا فرحتى من شيئ إسمه المعهد الفني التجاري لايعلم أحد حتى حسني مبارك أنه موجود على أرض مصر، بعد التخرج قضيت سنتين بين الجلوس على المقاهى والعمل فيها والبحث عن الفلوس بأى شكل وبأى شغل، المهم حوشت قرشين جت الخدمة العسكرية، وبعدما خلصت الجيش وقبل أن اقضي أعواما جديدة من البطالة وبمساعدة واحد قريبى استلمت وظيفة حكومية وأصبحت موظف ميرى مربوط على الدرجةالرابعة، أساسى المرتب ٩٨جنيه ونصف، وعلى رأى ريتا الشريرة فى حلقات (باور رينجرز) وهى تقول "فليتضخم الوحش"، قعدت أصيح "فليتضخم المرتب".وبعد طول المرمطة

وصل إلى ١٥٠ جنيه بالعلاوات والحوافز والواسطة- اللى هى الوساطة مش الواسطة بتاعة سوهاج (هذا الإفيه أصر عبد الله على الإحتفاظ به في شهادته ولما قلت له أنه بيض قال لي هي كانت شهادة أمك ياأخي، ولمنع انهيار المشروع وافقت على الإبقاء عليه).

عندما عرفت أنني سآخذ ١٥٠ جنيه مرة واحدة صرخت بعزم مافيا ياللهول، إذا سألعب بالفلوس لعب، لتذهب السجائر الفرط إلى الجحيم وأهلا بالعلب البوكس، ومع أول قبض متين احتفلت مع أصدقائى فشربنا قزازة بيريل وأكلنا سندوتش شاورمه مضروب وسندوتش بطاطس بوريك وطرشى وحبسنا بإتنين شاى وواحد قهوه ع الريحه وربع جنيه لعمر القهوجى وعلبة سجائر للواد وليد صديقى الذى يعتبرنى ثريا لأنه من مشنوقى الدخل بينما هو يتصور أنني من محدودي الدخل أو على الأصح هو لا يعلم شيئا حتى الآن عن معنى "دخل" ليلة إحتفاليتنا التاريخية طيرت عشرة جنيه وأنا فى غايه الانشكاح، اكتشفت فجأة إن فاضل معايا ١٤٠جنيه، المهم إنى باقبض على مرتبى يوم ٢٠من كل شهر، يعنى أنا الوحيد اللى لا باقبض فى أول الشهر ولا فى آخره، وبرضه أنا الوحيد الذى يفلس فى أول الشهر وتنشط عندى الغدة السلفية- لأننى سلفى بالمناسبة مع الاعتذار للدكتور سيد القمني اللي بيشتم دايما أصحاب التفكير السلفي مش عارف ليه - (الإفيه السابق إذا كان إفيها فعلا هو من آثار الثقافة اللي جت على كبر لعبد الله والتي أضرب نفسي بالجزمة لتسببي فيها.. نسيت أن

www.alkottob.com

أقـول لكـم أن عبد الله أصر على أن يفتح قوسا ليقول فيه "لمن لايعلـم الغدة السلفية غدة تبدأ عملها فى أوقات متباينة عند أمثالى من محدودى الدخل المعدوم").

مـا عليـنا. فضل معايا ١٤٠جنيه، البيت.. اللي هي الأسرة اللي هم الجماعة اللي بيصرفوا عليا بجد من الآخر.. لازم ياخدوا ٥٠جنيه عشان يبقى من حقي أكبر اللقمة وأقلل الغموس وأتخانق علـى الصدر بدلا من الورك يوم الجمعة، والباقى لازم أعيش بيه وأحـب وأتـسلى ومـا اشـربش مخـدرات وما ابقاش منطرف ومانـضمش لخلـية نائمة. فى ذلك الصباح الباكر جاءنى زميل عمل ليبخ فى أذنى بشرى إنشاء جمعية ب٥٠جنيه، سأقبضها بعد ١٠شـهور، الله.. بعد ١٠شهور ها قبض ٥٠٠ جنيه، ٥٠٠جنيه، مـبلغ يسيل له اللعاب. صحيح أنه لو جاءني لما عرفت ماذا أفعل به ولما استنفعت به بنكلة، لكن المهم أنني سأجد فرصة لكي أحقق حلمـا قديما لي بأن أكون رجلا يدخل جمعيات،وحتى كنت باحلم إن يتـصب علـيا فأمـسك بتلابـيب صاحب الجمعية وأفعل به الحاجـات الوحـشة التـي كنت أرى جدتى بلّ الله تربتها وخالى يفعلـون ذلـك ذات مرة عندما انتصب عليهما مرة وأنا صغير. طـوال أشـهر اشـتراكى فى الجمعية ومع اقتراب موعد قبضى تداهمنـى خيالات النصب على فأبدأ بالإعداد لشراء مطواة، وبعد انتـشار عـربيات الأتارى وقانون البلطجة صرفت نظر وقررت أستخدم سكينة المطبخ عند اللزوم.

تخـيلوا كـل هذه الشهور وأنا أقبض مرتبى،٥٠ للبيت و٥٠

جمعـية و١٠ جنـيه عنطزة أول الشهر، يبقى٤٠ جنيه،وإذا كانوا يقولون اعقلها وتوكل، فعايز أشوف شيخ العقلاء اللى يتوكل لمدة شـهر بـــ٤٠جنيه، عارفين يعنى إيه؟ يعنى يصرف جنيه وشلن لمـدة ٢٠ يوم وبعدين جنيه واحد لمدة عشرة أيام، طب إزاى وأنا أجـتمع مـع زملائى فى الصباح كل يوم لنفطر جمعاء مقابل أن يدفـع كـل منا لزوم الافطار ٥٠ قرش، وهو ما كان يضطرنى للـبحث عـن زمـلاء يؤمنون بنظرية المنح اليابانية التى لاترد ولايؤمـنون بالمدرسة الانجليزى بنت الكلب، أحيانا أدعى الصيام للهـرب من الاشتراك فى الدفع، فى إحدى عشرينات الشهر ذات مـرة سرقت شوية شرايط انجليزى تملكها أختى وبعتهم وفطرت بثمنهم كذا يوم.

زهقـتك بـالكلام عـن الفلوس .. عايزنى أكلمك شوية عن الحـب.. طـيب تعـال أكلمك عن الحب شوية. وأحكي لك قصة البـنت المعفـنة اللي كانت الحاجة الوحيدة اللي عرفت أعلقها في حياتـي، حتـى هدومي ماباعلقهاش عشان مافيش مكان ليها في الشقة، باكومها في كرتونة فوق الدولاب. بص ياسيدي لازم أقولك الأول أنـا علقـتها منـين. علقتها في السينما، وأول حاجة لفتت انتباهـي ليها إنها كانت أول بنت في حياتي أشوفها بتاكل فشار، ففي عرفنا في المنطقة البنت اللي تاكل فشار بره البيت ومش قدام محرم تبقى مش تمام.

قـد يـبدو شكلي عبيطا عندما أقول لك أنني وقعت في غرام الحتة بتاعتي لأني رأيتها تأكل الفشار داخل السينما، أعذرك لأنك

www.alkottob.com

لن تفهم أبدا نفسيتي التي زفتني نحو غرام كهذا، فالفشار في سينما مودرن شبرا التي دخلتها كان وقتها بجنيه، هذا الكلام قبل تسع سنين أيام كان الجنيه يجيب طبق كشري بكمالته، وأربع "شندوتشات" مشكلين بمنافعهم، وأن تشاهد كموظف فقير بنتا لم يأكلها القطر كأغلب بنات منطقتك تقف شامخة في السينما تأكل فشار بجنيه، فذلك معناه أنها أغنى منك ناهيك عن كونها أيضا أجمل منك، وقبل أن تستغرب الجملة دعني أقل لك أنني للأسف أجمل من جميع بنات حتتي مع مراعاة أنني نسخة رفيعة قوي من الممثل الجميل المليان غريب محمود. المهم أن أمر الله نفذ وسهم الغرام رشق مع رشقها لحبات الفيشار في بلعومها، الله حلوة الجملة دي، اقتربت منها واتخذت وضع الفتنة، ابتسمت لها، نظرت لي باحتقار،نزل عليّ برود كل الحلاقين دفعة واحدة، وقعدت أضحك لها وأنا متنّح لها. كان معي في جيبي ٢٠جنيها وكنت لابس هدوم جديدة جبت تمنها من أختي اللي استلفت منها ١٥٠جنيه على حس الجمعية اللي هاقبضها بعد ٨شهور. المهم اشتريت علبة سجائر قد تبدو من النوع الردئ بالنسبة لبعضكم لكنها بوكس وما أدراكم ما البوكس بالنسبة لنا نحن صغار الموظفين،إنه أمر لو تعلمون عظيم، أخذت أدخن وأنا أذهب وأجيئ أمامها متمخطرا بهدومي ذات الخامات المعفنة والتي قضيت أسبوعا كاملا بها لأني أعلم أنها ستبوظ مع أول غسلة (بالمناسبة أصبحت الآن حتت مطبخ). المهم ثبت أن قراري بالتناحة كان استراتيجيا فقد جابت التناحة مفعول وقدرنا نعلق

البنت، واستمر التعليق بيننا حتى هذا اليوم التاريخي الذي أدلي فيه بشهادتي، صحيح أنني في أحيان كثيرة أبتعد عنها بحجة أنني لاأريد أن أشغلها عن المذاكرة والحقيقة أنني أهرب من هدايا عيد الأم وأعياد الميلاد وأعياد الحب وأول الدراسة وأجازة نص السنة ورأس السنة و(..) السنة.

مع الوقت تحول التعليق الى علاقة حب مع أني لا أمل لي في الزواج، عندما حاصرتني عاتقيا وطلبت مني أن أعدها بأن أصلح غلطتي لكي تغلط معي وهي مطمئنة صارحتها بحقيقة كوني موظفا حقيرا، فوجئت أنها فرحت ليتضح أنها من أسرة أفقر من أسرتنا، برغم الفشار الذي كان نزوة كما ادعت أو ربما كان طعما لإصطياد المغفلين من أمثالي. عدت إلى البيت يومها دائخا بعد أن طارت أحلام الغلط اللذيذ، قلت لنفسي "إذن إتلم تن تن على تن تن"، بدأت الذكريات "تتداعص في مخينتي" لأكتشف كم كانت حبيبتي آكلة الفشار واطية وكم كنت أبلها، تذكرت أول يوم خرجت معها فيه بعد طول تمنع منها، يومها عزمتها على شاي في كافتريا ألاجيه بوسط البلد ولأنها واطية فقد أصرت تاكل سندوتشين شاورمة لحمة الهي تطفحهم يارب، وطبعا الميزانية خرمت وكان شهرا خرائي النزعة. تكرر هذا خلال الشهرين التاليين وعندها سعيت لتطوير "العلاكة" لتحليل ثمن الشاورمة فحاولت أبوسها ذات بير سلم لكنها رفضت بإلحاح مع إني كنت صارف عليها ربع المرتب، قال إيه عايزة الحلال، يعني هو أنا كنت غاوي الحرام؟، عدت إلى بيتي مخذولا مقموعا، أسأل نفسي

www.alkottob.com

طـيب والحل، قلت لنفسى بعد كذا شهر حاقبض الجمعية وأجيب دبلتـين مـن أم تسعين جنيه، وبعد كده أبيع دبلتى وأجيب واحدة شبهها من أم تلاته جنيه وبعد كده كله يبقى بالحلال.

بعـد طول تفكير قلت لنفسى العمل الاضافى هو الحل، طب إزى والمقاهـى مليـئة بـشباب من كل صنف لا يجد شغلا ولا مشغلة، مش مهم إن نابليون رئيس المواطنة الفرنسية إياها بيقول إن المستحيل اللي هو السيتامبوسيبل كلمة لا توجد إلا فى قاموس الضعفاء، طب ما أنا الضعفاء والضعفاء أنا، جميع الأبواب مغلقة وأنـا من الفلس فى غاية، حتى الصراف بابه مغلق اليوم، ما فيش سـلف والغدة ناقحة عليا، كل اللى أملكه دلوقتى شوية كتب خدتهم مـن المدعـوق بـلال فضل ورباعية حافظها لصلاح جاهين الله يخرب بيت بلال فضل اللي جرني لسكته "يا باب أيا مقفول إمتى الدخـول.. صـبرت ياما واللى يصبر ينول.. دقيت سنين والرد يرجع لى مين.. لو كنت عارف مين أنا.. كنت أقول". قعدت جنب شـريط السكة الحديد حيث أعمل، أتأمل شريط حياتى المليئة بالهم فـي ضـوء هـذه الرباعية، لو قابلتنى طنط آمال فهمى دلوقتى حاهدي الرباعية دي لكل السكان الأصليين لمصر زي مابيسميهم الـواد بلال صاحبي وبعدين أعيط في حضنها وطبعا هتطلب لي البوليس وهاروح في داهية بتهمة فعل فاضح على الناصية.

لا كده مش نافع لابد أن أفرغ الآن شحنات الغضب والضيق اللـى جـوايا، إزاى، الحل فى المخدرات والسهرات الحمراء بس أجـيب فلوسها منين. أستلفت عشرة جنيه وذهبت إلى مقهى كنت

أجلـس علـيها أيام الجهادية من ١٢مساء إلى ٦ صباحا كل سبت تعـرض بـرامج القـنوات المتخصصة فى السكس، هدأني اللحم الأحمر المستورد كثيرا مع أن المفروض ألا يهدئني، لم يخرجني مـن أحلامـي إلا صوت الجرسون يذكرني بالمشروب بتاع كل ساعة،على آخر السهرة طارت العشرة جنيه وطار عقلى. قبل أن أقـوم ومع أذان الفجر أغمضت عينى لأختزل كل منظر وحركة رأيـتها حتى أستطيع استرجاعها وأنا فى الخلاء لأقذف بصحتى وأحلامى فى البالوعة.

لـست مـيت القلـب. بداخلـى نقاط بيضاء ناصعة وأخرى خـضراء كالبـراعم، وقلبـى مفعم بالحب لكل فتاة جميلة أراها وخاصـة حبيبتى آكلة القشار. حلوة الجملة دي. وعهد الله أنا اللي كاتـبها زي ماهي مش الجدع بلال. فى الأسبوع التانى ذهبت إلى المقهـى إيـاه ثانية، كانت ليلة سوداء بهيمة مثلي، كان الفيلم فى غاية الاثارة، وأنا فى منتهى النشوة والفلس، سهرت حتى الصباح وعـند ذهابى إلى العمل سقطت من شدة الآلام المفاجئة، فى نفس الـيوم عملـت عملية المصران الأعور، قال أنا ناقصه، زارتنى فتاتـى حزينة، لتقول لى أنى ملكت قلبها وملأت حياتها، أنا فعلا أحـبها، وأحـب الجنس الذى لا أمارسه معها في الحلال وأحب التدخـين وعائلتـى الـصغيرة، والفلوس أبعد من السحاب، لكنها لازمـة لكـى يحبني كل هؤلاء، وأنا على فراش المرض سألت نفسي هل ١٥٠جنيه كافية لأن يأكل الانسان شيئا غير نفسه.

أصـبح لازما على أن أثبت حسن النوايا تجاه البنت وأروح

www.alkottob.com

أقابل أهلها، خاصة وقد أثبتت نجاحها فى كل الاختبارات، هى قابلتنى بره بس ما خلتنيش ألمسها بره حدود الأدب، تخيلوا واحد زيى تعبان ملة وجعان نسوان يضع بنت جميلة تحت اختبارات الأدب، ذهبت إلى أهلها فوجدت مالا يسر البينى آدم، عايشين فى عشش صفيح ولها إخوات وقرايب حرامية وسوابق ومساجين.كانت هذه هي التجربة التي يدعو صديقي شادي المسيحي الرب ألا يدخله فيها، لكنني دخلت، وكان لابد أن أخرج قبل ماأتمسك،تهربت من وعود الزواج من الفتاة وعندما أخذت تلح على فى كل مرة تقابلنى لم يكن هناك بد من مصارحتها بأنى لن أتزوج إلا فى عام ٢٠١٧ مع افتتاح الرئيس مبارك لتوشكى، يئست الفتاة وضاعت منى بسبب المال، لقد كانت ضربة قوية تحت الحزام من هذا الملاكم المسمى بالقدر.

لعلها الآن عادت لإصطياد زبون جديد بالفشار كما عدت أنا ثانية إلى دوامة الحياة مستعينا بمرتبى الضئيل، ٥٠جنيه للبيت و ٥٠جمعية و٥٠جنيه لمصاريفى بواقع ٢جنيه إلا شوية فى اليوم منها ٥٠قرش فطار كل يوم وعشرة جنيه متفرقة أصرفها مع صديقى ونصفى الآخر وزميلى الوحيد فى الدنيا التى تهزمه دائما، ولد الذى لا أعرف سواه ولا يعرف أحدا سواى منذ ٢٠عاما ونيف زى ما بيقولوا، يعلم كل شيئ عنى وأعلم كل شيئ عنه كأننا كتابين مفتوحين لبعض، حتى عدد مرات العادة العلنية فى اليوم يعلمها كل منا عن الآخر ولا مؤاخذة من باب التشجيع المتبادل وتطمين بعضنا البعض بأنه لازال لدينا شيئ لم نخسره.

بالنسبة لى ولولد الجنيه ثروة وصرف ١٠قروش فى غير موضعها خسارة فادحة، ولا مكان لأى تجاوزات، الجلوس على المقهى مباح لو كان على حساب الغير، السينمات محرمة حرمة الدم، ورغيف الكفتة محرم حرمة لحم الخنزير، السجائر تأتى بالعلبة كل فترة ويتم حبسها فى الدولاب ليتم السليف منها بالسيجارة والسيجارتين، لاأدخن فى البيت إطلاقا احتراما للأهل من جهة وتوفير للفلوس من جهة أخرى.

لن تصدقوا لو حكيت لكم أننى عندما جاء دورى فى قبض الجمعية(٥٠٠جنيه مرة واحدة) دخلت إلى المستشفى لأعمل عملية الزائدة (تخيل الزايدة دى بنت الكلب ما تجيش إلا للى زى حالاتنا اللى ما بيستعملوهاش أصلا، بالمناسبة كنت عملت عملية فتاق قبل شهر، يعنى أنا الفقير أعمل ثلاث عمليات في سنة بينما الغني لايعمل في عمره سوى عملية ترقيع لمن يهمه أمرها). طارت ٢٠٠جنيه لزوم العلاج خاصة بعد أن لعبوا في المستشفى في العملية القديمة فبهدلوا الدنيا. لكن أحدا من الديانة لم يرأف بحالى بل توافدوا كالنمور الآسيوية إلى المستشفى ليستردوا فلوسهم، طيب يا أندال والله لأعاقبكم وما عدتش أستلف منكو تانى. بما تبقى من فلوس الجمعية اشتريت ب١٥٠جنيه قميص وبنطلون وجزمة ومن ساعتها لم آتى حتى بقطعة شاش أوأى شيئ يمت بصلة إلى القطن والنسيج. بعد كل هذا الهم اللى فضل من الجمعية ٣٠جنيه، يا فرحتى يا هنايا. لم يبق لى إلا السخرية من نفسى. كنت دائما أستهزئ بكل شيئ حتى أصبحت أستهزئ بنفسى وأديم

www.alkottob.com

الشكوى ولا أحمد الله بل أسخر وأقول عندما أمر بأزمة مالية أننى لن أشكر ربى حتى لا يزيدنى فقرا على فقر لأنه أستغفره عزوجل يقول (لئن شكرتم لا زيدنكم)، لم أكن أصلى أبدا، ولكن بعد تجربة الثلاث عمليات فقت كثيرا وأدركت أنني أتلقى دروسا إلهية بأن سخطي لن يغير حالي، ولذلك أصبحت من يومها أعيش فى أشد حالات الندم، أدبت نفسى وابتعدت عن إدمان قذف أبنائي المستقبليين فى البالوعة منذ فترة وأحارب شيطان شهواتى وأصلى الفروض وأحاول أن أصلي السنن، لكنى لا زلت أشعر أن جبال الدنيا "تجسم" بالسين فوق صدرى، الحياة مش مساعدة، لا أستطيع أن أصنع بهذا الذى يدعونه المرتب شيئا، ومن منكم يستطيع أن يفعل به شيئا إلا فراطيس وخوازيق ويلبسها، ولا مؤاخذة عندماأفكر فى المستقبل أجد نفسى مباشرة أفكر فى الانتحار، لكني لن أفعل لأني باكره الحر جدا، لكني أعود ثانية للتفكير فيه عندما أقول لنفسي لنفرض أنك أخذت أضخم علاوة فى تاريخ الجهاز الوظيفى وأصبح مرتبك قول ٤٥٠ جنيه وده طبعا مش هيحصل إلا لما أشوف فلقة ودني، طيب إزاى هاتجوز واسكن وأبنى حياة بـ ٤٥٠ جنيه، فما بالك ومرتبى فعلا يوم ما هيضربه الدم مش هيعدى بعد عشر سنين الـ ٢٥٠جنيه.على المقهى وفى أول الشهر عزمنى صديقى وليد ليحكى لى طبعا عن آخر مشاكله الاقتصادية، فوجئت به يلفت نظرى إلى أن شعرى بدأ يتساقط وصلعتى بدأت تظهر، قال لى بحكمته البالغة : يا ابنى إنت حظك غريب إنت عندك كام سنة يعني عشان شعرك يقع وتدخل

المستشفى فى عمليتين جراحيتين فى خلال شهرين، لم يكن عندى إلا جواب العظيم صلاح جاهين الذى أصبحت أحفظ كل رباعياته تقريبا"أنا شاب لكن عمرى ولا ألف عام .. وحيد ولكن بين ضلوعى زحام.. خايف ولكن خوفى منى أنا..أخرس ولكن قلبى مليان كلام" وعجبنى وليد أنه لم يفهم ولا كلمة لأنه انشغل بإشعال سيجارة فرط والذوبان فيها. فدعيت على بلال فضل وقرأت الفاتحة لصلاح جاهين.

شوف بقى ياسيدي أكتر حاجة باكرهها في الدنيا إن ضابط يقول لي بطاقتك وإن حد يقول لي انت غلطان إنك ماتعلمتش ودخلت الجامعة، الجملة الأخيرة دي أمي ماسكاها لي عمال على بطال، هي بالمناسبة مش أمى قوي لأن أمي الحقيقية سابتني وأنا صغير واتجوزت، وأبويا دخل السجن في قضية ماحدش قادر يحددها لحد دلوقتي، وكان ممكن أبقى سارح أشد كلة دلوقتي ولا ماشي في الشوارع عريان ملط، لولا ربنا ساق لي ست غلبانة بتشتغل خياطة فساتين سواريه مع أنها ساكنة في حارة لو قلت لواحدة فيها عندك تايير، هتلطشك بالقلم وتقولك عيب يا (..) أنا أشرف من أمك. الست دي خدتني أنا وأختي وربتنا وصرفت علينا لحد مابقيت فاشل قد الدنيا ولحد ماأختي اتجوزت واد كسيب وخلفت منه، ومع إن أمي هي اللي كانت السبب إني ماأكملش تعليمي عشان ديك ذات اليد، بس طول النهار تقولي "مش كنت اتعلمت ودخلت الجامعة وفلحت"، عشان كده كبرت في دماغي من فترة وقلت هاحوش وادخل التعليم المفتوح عشان أثبت لها إني

www.alkottob.com

فاشـل حتـى لو خدت شهادة، وبعدين قلت بلاش دي حاجة مش محـتاجة الفلوس دي كلها عشان أثبتها، هي أكيد حاسه بده، مش قلب أم ياجدع.

قـال تعليم قال، ماعندك الواد مصطفى المصري اللي ساكن تحتينـا، دخـل الجامعة وخد بكالوريوس خدمة اجتماعية وفضلوا يقطمـونا بـيه لما اتفقعنا، تعال شوف حاله دلوقتي مافرقش عننا ببـصلة إحـنا اللي واخدين بكالوريوس خدمة بيوت، ومع إنه من دوري لكـن تحـس إني أصبى منه، لما تشوفه دلوقتي تحس إن عـنده ٢٤ سـنة شـغل ونفاذ، وحتى في الحب خاب نفس خيبتي ويمكـن ألعـن، خطيبـته اللي خطبها في شهر مارس اللي فات سـتخطب لغيـره فـي شهر مارس اللي جاي، ماشفعتلوش قصة الحـب "العينـيفة" التـي عاشـها معها سنين طويلة، أصل الحب مايـنفعش إجابة لأسئلة من نوعية معاك كام وهتجيب إيه وهتجهز إمتى وشقتك فين، لما يسألك أهل حبيبتك أسئلة زي دي ابقى خلي الحـب ينفعك أو حتى خلي البكالوريوس ينفعك، لو قلت لهم معايا بكالوريـوس إنـشاء الله، مش بعيد أبو حبيبتك حاج بيت الله اللي بيصلي الفرض بفرضه يقولك "البسه ياحبيب أمك".

أدي ياسـيدي حـال الـشاب الجامعـي، تقدر تقولي التعليم والجامعـة نفعـوا مـصطفى بإيه، آديني زيي زيه بنلف سوا في سـاقية، شـبه بعـض في الواقع والألم والقرف، حتى في الحلم الـبكالوريوس مافرقش، عارف ليه لإننا الإتنين نفسنا نهج ونسيب الـبلد دي اللـي بـتاكل ولادها. إنت عارف مصطفى اشتغل إيه

بالبكالوريوس اللي أمه هرت الحتى شربات لما خده، اشتغل مدير مبيعات، يعني أنا عندي وظيفة ثابتة عنه، هتقولي بس إسمه مدير مبـيعات، هاقـولك ده إسم دلع للشاب اللي بينزل بشنطة بضاعة يلف على الموظفين ده يرزل عليه وده يغتت عليه، زيه زي اللي بـيوقف علـى الرصيف يبيع بدلة حمادة أو حاجة تفرح للعيال أو لانجيـريهات مستعملة للمدام عشان تفرح أبو العيال، الفرق بينهم كـرافتة بس، يمكن عشان الكرافتة دي خد لقب مدير، تسأله بيدير مـين، تلاقيه بيدير نفسه. وتقولي تعليم ياأخي أحمد، إنت عارف الواد مصطفى ده لما كان في الجامعة كان غاوي تمثيل، كان فاكر إنه هيبقى أحمد زكي زمانه، بتعمل ايه يامصطفى، باعمل بروفات مـسرحية هتكـسر الدنيا وهنعزم مخرجين يكتشفونا عشان نعدي يـاكلاب ونـسيبكو في الفقر ده، يوم المسرحية الأمن منعها بعد ماقعـد شهرين هو وزمايله يعملوا بروفاتها، من ساعتها مصطفى ده اتكـسر، مابقتش فارقة معاه أي حاجة، زي مايكون في حد كل روحـه من جواه. إنت عارف مين اللي خطف خطيبته منه، أعز صحابه في الجامعة، وتقولي تعليم، على الأقل أنا حبيبة كلبي طلع إخـواتها مـسجلين خطـر، يعني ناس واضحين وعندهم مبادئ. عـارف بعـد ماخطيبته خانته عمل إيه، سافر يشتغل في الغردقة وضـبط مـع واحـدة أمريكية كان هيتجوزها، كانت شبه عيشة الكيلاني كده، بس كان ناوي يبيع نفسه ويشيلها ويسافر معاها، في الفترة دي كان مصطفى ده ملك المنطقة، صحابه ماتعرفش تعدهم وكـل واحد فيهم بعمل معاه أحلى واجب على أمل يشده معاه لما

www.alkottob.com

يسافر، لما الموضوع باظ ولقت الحيزبونة حد تاني أحلى مابقاش حد يعبر مصطفى بالصرمة، نفعه بإيه البكالوريوس، بقى كل شوية يشدني ويقولي ياترى ياعبد الله هي الظروف اللي بتصنعنا ولا إحنا اللي بنصنع الظروف، أقوله هات سيجارة وأنا أقولك، لما يديني سيجارة أقوله بص يامصطفى هاقولك حاجة حطها حلقة في ودانك، كاف ألف الفيل أبو عينين قزاز، ده أهم مبدأ تمشي بيه في حياتك، أهم من البطاقة ذات نفسها.

بس عمره ماسمع كلامي أبدا، إنت عارف الفرق بيني وبين الواد مصطفى إيه، إن عنده كرامة وأنا الحمد لله ماعنديش، الظاهر شالوها مع الزايدة وباعوها لحد غني كان عايز كرامة جديدة، عارف الواد الفقري ده كان ممكن يبقى مليونير لو ركز في الغردقة وشرم والحتت دي، كان أول حد في الحتة طلعها، من وهو في الكلية راح هناك يشتغل مع حد قريبه في الأجازة، كان قريبه بيغسل عربيات هناك، خده وعلمه ازاي يساعده، ولما سافر قاله عايزك تمسك مكاني، استلم منه صولجان الغسيل، وابتدا يشتغل مع سواق انبسط منه واداه فلوس، وبعدين قاله إنت تشتغل معايا على طول، قاله لا أنا بادرس في خدمة اجتماعية، الراجل اتخض وقاله معقولة انت طالب جامعي، قال يعني اتفاجأ بـ (..) أمه، قعد ياكل دماغ مصطفى بكلام يحرق الدم حسسه إنه ابن وزير وجار عليه الزمن، في اليوم اللي بعديه راح يطوق عربية فيها اربع بنات زي الملايكة، هو بيقول أنا رأيي تلاقيهم (ش..) بصوا له بصات كلها احتقار مع إن لبسه كان نضيف، صعبت

عليه روحه قام رامي الفوطة في الأرض وراجع، ياعم الحاج ماتسيب اللي بيص يبص، إنت في إيه ولا في إيه، لا كرامته نقحت عليه، طيب ياسيدي خلي الكرامة تنفعك، عارف أنا لو مكانه أبجح وأبص لهم وأبرق لهم عشان يخافوا ويزودوا البقشيش. وتقولي تعليم جامعي، ياعم ده إحنا في نعمة والنعمة. الحمد لله على الفقر والجهل، حاكم الفقر مع العلم لعنة.

اليومين دول قررت أحسن أحوالي وأبدأ إصلاح من الداخل، وبدل ماألعن الظلام ألعن الشمعة، قلت لازم أزود دخلي بأي شكل، لقيت شغل إضافي، بس مواعيده تبتدي بعد مايخلص الشغل الرسمي بساعة واحدة وأفضل فيه لبعد نص الليل، باشتغل "سكوريتي" أوأمن خاص زي مابيضحكوا علينا في الشغل عشان نحس إن لينا لازمة، شايفين المسخرة، من السابعة صباحا وحتى الواحدة برضه صباحا بافضل فى الشارع، باصرف حوالى ٥٠ جنيه أكل وشرب بره البيت ده غير التجريح من "البيج بوس" بتاعنا في شركة السكوريتي اللى كان بيشغل منصب أمني مهم واتقلش منه في قضية فساد وبرغم كده عايش لى فى دور عبده المهم طول الوقت، مع إن منظره تحس إنه حتى اتقفش في قضية فساد معفنة مش قضية فساد من اللي هم، لأ، أكيد اتقفش في قضية آداب، عموما مسيري أعرف لما يسيب الشركة بإذن الله.

أحيانا تسرح بى الأفكار وأنا واقف ألف فى شغلى في الليل الهادي الخالي وأقول لنفسي: مادمت فعلا مش هاتجوز ومش هاقدر ألاقي سكن محترم وأبعد عن خنقة وزحمة البيت اللي أهله

www.alkottob.com

ربونـــي، مـــادام الكـــلام ده كلام حقيقي وواقعي ومافيهوش يأس ولاإحـــباط، لا ده واقع ملبوس على رأي الواد وليد، طب ليه بقى ماأحاولش اطور نفسي وأبقى حاجة عدلة زي ماالواد بلال بيوجع دماغـــي لـــيل نهار، ويقعد يحكي لي حكايات عن مليونيرات في الغـــرب كانوا معفنين أكتر مني وحلموا أحلام وصدقوها وفضلوا وراهـــا، صـــحيح باقعد اناكف فيه واشتمه واتريق عليه، بس لما باقعد مع نفسي باكتشف إن المشكلة إني فعلا أحلم بحاجات كتيرة، إنى مثلا أتعلم كمبيوتر وأنضم إلى أى نقابة عمالية علشان أدرس كمبيوتـــر بـــسعر رخـــيص، لكن ده مش هيحصل إلا بعد شهور طـــويلة. حلم أحلامى كان دخول الجامعة المفتوحة عشان أحصل علـــى شهادة عليا أغيظ بيها الواد مصطفى وأخلي أمي تحس إني عملت حاجة عدلة، بس فين الفلوس اللى أصرف بيها على دراسة ٤شـــهور مش ٤سنين. قدامى فرصة أدخل المعهد الإيطالى عشان أتعلم مهنة فنية وأروح بعثة، بس فين الوقت، ما فيش معهد بيعمل دورات مـــن بعـــد نص الليل لحد الفجر- وقت فراغى- إلا معهد فيفى عبده طبعا وللأسف جسمى ما يناسبوش.

الله يلعـــن أبو اليوم اللي سلمت فيه دماغي لبلال فضل زفت، أحلامى بقت كوابيس تؤرك منامى وتجعلنى أعض أصابع رجلى مـــن الندم،ماكـــنت عايش وراضي وفخور باللقب اللى خلعه عليا خالـــى وهو لقب(مستر كيس)، مش قصده إني بوّيس لاسمح الله، لا قصده إنى كيس فاضى، خالتى بقى بتناديني بالموكوس، باكون فـــى غايـــة الانـــشكاح وهى تدللنى بأرق الكلمات "يا موكوس يا

خيـــبان". معـــاهم حـــق أنا فعلا موكوس وكيس فارغ بيلعب بيه الهـــواء. مرتبى فى شغلى الجديد ألف وخمسمائة باريزة صغيرة، يعنى برضه ١٥٠جنيه، وبرضه ضايع ضايع، ١٦ساعة عمل ولا بغـــل الـــسرجة، طالع عين اللى خلفونى من غير فايدة، وكل ما اتعـــب أقعد أقول لنفسى "إقلع غماك يا تور وارفض تلف.. إكسر تروس الساقية واشتم وتف.. قال بس خطوة كمان وخطوة كمان.. ياأوصـــل نهايـــة الـــسكة يا البير يجف". الله يخرب بيتك يابلال يافضل، بعد أن أنهي شغلي هاروح السيدة زينب وأصرخ وأقول " يـــا أم العواجز أنا عاجز" وهادعي بالرحمة لصلاح جاهين الوحيد اللي حسسني إني مش موكوس عبثا.. بل موكوس لحكمة لايعلمها إلا الله. ونعم بالله.

www.alkottob.com

هيه هيه هيييييييييه!

www.alkottob.com

سألتني مذيعة "هايفاء" في ثاني أيام العيد عن ذكرياتي كمؤلف كوميدي مع خروف العيد فقلت لها وأنا سعيد لأنها ذكرتني بالذي مضى، أننا كنا كل عيد كبير نشكل وفدا مع أطفال شارعنا في حي محرم بيه في اسكندرية لنذهب لأحد الشوارع القريبة منا لكي نشاهد تاجر المخدرات الذي يذبح خمسة عجول وعشرة خرفان يوم العيد ويوزع لحومها على الفقراء الذين هلكت أجسادهم بفعل مخدراته الرديئة الصنع، قاطعتني محرجة: مافيش ذكريات تانية عن العيد بس تكون كوميدية، عايزين نفرح الناس، قلت لها: فاكر مرة عسكري أمن مركزي فتح دماغ عاطف جارنا لما ضربه بستوكة الحزام وإحنا رايحين نحضر أول حفلة لفيلم حنفي الأبهة في سينما مترو، قالت لي: هي صعبة شوية بس يعني مافيش غيرها، قلت لها: أنا آسف أنا أذكر إننا مرة وإحنا صغيرين خالص بعد الرئيس السادات ماانقتل رمينا بمبة من فوق السطوح على بوكس كان بيمشي في الشارع، السواق اتخض وقام لابس في القهوة اللي تحت البيت، كانوا قابضين على عيال بيقولوا سكرانة وبيقولوا بتعاكس، المهم إنهم هربوا والضابط كان نايم في الدواسة.

www.alkottob.com

كنت أحكي وأضحك وعلى وشك أن أحكي لها عن ذكرياتي عندما كنت أتبول وأنا لم أبلغ الحلم بعد على صاحب محل الفحم الموجود أسفل بيتنا وأفسد له فرشته، لكنني قطعت تدفق ذكرياتي عندما اكتشفت أن المذيعة لاتضحك، قلت لها: هو أنا لبخت ولاحاجة، قالت لي: العفو، بس يعني إحنا عايزين ذكريات تتذاع، قلت لها: كان نفسي بس والله غصب عني، أصل بصراحة وأنا صغير كان العيد عندنا يوم النكد، مش في بيتنا بس، في كل بيوت العمارة ويمكن بيوت الحتة، ماأكدبش عليكي كنا بنفرح قوي أنا وكل عيال الشارع لما نصحا الصبح عشان نلبس الجلاليب البيضا ونجري على جامع سلطان.. اللي هو أحلى جامع صليت فيه في حياتي لما حضرتك تسافري اسكندرية انزلي شارع عمر بن الخطاب وإسألي عليه هتلاقيه في آخر الشارع قريب من عمود السواري.. كنا نروح نصلي ونحاول نبين للكبار إننا حافضين الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، ودايما نتلخبط في الحتة بتاعة وعلى أنصار سيدنا محمد، عمري ماعرفت أضبطها، مش عارف ليه، ستي كانت تقولي عشان نيتك مش صافية، يمكن، لكن أول مانخرج من الجامع الكبير يبدأ دمنا يتحرق لما نبص على اللعب اللي مع العيال اللي أبهاتها سافروا الخليج أو تاجروا في المخدرات أو رزقهم الله من حيث لم يحتسبوا، كانت لعبهم الغالية بتضايقنا وتخلينا نقف على المسدس الصيني العيان أو السيف اللي بيتلوي أول مانضرب بعض بيه أو الكورة اللي بتفرقع من غير ماعجلة تدوس عليها حتى، كنا بنحاول ننسى ده وإحنا بنشرب

عصير قصب من الراجل اللي قدام جامع سلطان، ونحاول نحس إننا فرحانين بجد، نفتعل أي كلام عشان نتأخر على معاد مرواح ستاتنا للقرافة عشان مانتدبسش في المشوار الكئيب ده، نلعب ماتش كورة في أي شارع جانبي محاولين الحفاظ على بياض جلابيتنا الناصع بفعل سافو مسحوق حمدي باتشان المفضل، ماإن تشتد حلاوة اللعب حتى يصبح لزاما علينا المرواح منعا للتهزيئ وقلة القيمة، ننتظر حتى يجف العرق وندخل البيت خاشعين متحججين بأننا ذهبنا لنصلي في استاد الإسكندرية مع السنية بتوع الإخوان المسلمين تنفيذا لوصية النبي عليه الصلاة والسلام، كبار البيت يقضون اليوم في النوم لتعويض مافاتهم من سهر خلال الأيام الماضية لمحاولة تلبية إحتياجات العيد دون أي تعجيز، التلفزيون يذيع برامج أطفال مملة لعيال لايشبهوننا أبدا يرقصون ببلاهة مع مدام صفاء أبو السعود ويغنون مع عمو محمد ثروت، والمذيعة تقطع كل أغنية بتهنئة السيد الرئيس المحبوب والأمة الإسلامية اللي كارهاه بأم العيد، المنفذ الوحيد للتسلية لم يكن البلكونة فظاهر الشوارع البادي من خلالها ظاهر خادع فيه عيال تسير كأنها مدنومة بالبالونات، وناس تجري وهي تدوس على بعض وراء عربية توزع أكياس لحمة، وأصابع غارقة بالدم تطبع بصماتها على كل الحوائط، المنفذ الأكثر تسلية هو المنور حيث بطن البيوت مفتوح لمن ولد فضوليا مثلي، هنا سأضيع الساعتين اللتين تفصلان بيني وبين أول حفلة سينما سأهرع إليها لأتوحد مع بطلي عادل إمام وهو يضرب الأشرار على قفاهم ونساء الأغنياء

www.alkottob.com

الأشـــرار علـــى قفاهن برضه ثم يرفع حاجبه ليلاغينا ويضحكنا، أجلس لأزجي وقت الفراغ محاولا تمييز الأصوات وتركيبها على الوجـــوه "وأنـــا هاجـــيب لكـــو منين.. إنتو طلعتو عين أمي إنتي وعـــيالك.. أمـــك الواطـــية مين دي اللي أعيد عليها.. دي خرابة بـــيوت.. طب عليا الطلاق بالتلاتة لو مانزلتي معايا ورجلك فوق رقبـــتك لاكـــون معلقـــك زي الخـــروف.. وهـــو فين الخروف ياموكـــوس.. إن ماعمـــرك دخلت علينا بمعزة حتى.. العيد فرحة ياســـلام.. هـــيه هيه هيه.. وطوا صوت التلفزيون ياولاد الجزمة وخلوا يومكو يعدي.. صحيني قبل المسرحية ماتبتدي.. إحنا مش هناكل في أم يوم البيت.. فيلم إيه اللي جايبه ياروح خالتك.. خش ذاكـــر لمـــا نـــشوف هتجيب مجموع كام.. إنت مش قلت هتفسح العيال.. بعدين بعدين حد يتفسح أول يوم.. الفسح دي لتاني يوم.. لـــو كـــنت قلت لك خدهم لأمك كان زمانك نزلت جري.. وأجيب لكـــو فلوس السيما منين.. ده إنتو تمانية.. هيجيبوا سك على بناتك الـــنهارده.. اتفـــرجوا واحمدوا ربنا.. إنتو ماعندكوش تلفزيون.. بالهـــوي بترمي اليمين عليا يوم العيد.. قاعد تتصنت على الخلق لـــيه ياحـــيوان"، الجملة الأخيرة ركبت عليها وجه جدتي وشبشبا طائـــرا فـــي الـــصالة يستقر غالبا في وجهي. كنت مسترسلا في الحكـــي لكـــن صوت التليفون المحمول أيقظني من ذكرياتي التي صادفت سر الهوى، دست زرار الإجابة فجاءني صوت المذيعة : أنـــا آسفة يافندم الخط قطع، هاسأل سعادتك تاني ذكرياتك إيه مع خـــروف العـــيد بس والنبي مش عايزين ذكريات مؤلمة كل سنة

وانـــت طـــيب، قلـــت لها: مانا قلت لسعادتك أنا علاقتي ضعيفة بخـــروف العـــيد، إحنا كنا بنجيب كبدة الخروف، حاجة من أتره يعنـــي، على فكرة أغلب المصريين كده، حتى تلاقي الفتة عندهم بيـــتم ســـد نقص اللحمة فيها بالتفنن في صنع تقليتها بحيث تجعل الحلـــيم سكرانا، والمستورين زي حالاتنا بياخدوا اللحمة بالمناب، يعنـــي كل واحد ليه منابه، إنتي عارفه إن فكرة المناب في مصر تـــصلح موضـــوع لدراســـة عن دور المناب في تفعيل الديالكتيك الطبقـــي فـــي مصر، يعني الفرق بين الفقير والغني مش في الآلة زي ماقـــال مـــاركس إنما في المناب، قالت لي وهي ذاهلة بص ياأســـتاذ بلاش نتكلم عن اللحمة خالص ممكن عشان نبتدي نسجل نـــسأل سؤال تاني.. تقدر تقولنا إيه عن فرحة العيد. قلت لها وأنا أكظـــم غيظـــي: أعترف لك أنني لم أشعر حتى الآن بفرحة العيد بجد، لأن الطفولة مرت بدون أن أشعر بهذه الفرحة بشكل واضح وأنـــا آسف يعني لو كان ده يضايقك بس دي الحقيقة، لكنني أتمنى أن يـــشعر أولاد مـــصر بفرحة العيد يوما ما عندما يأتي يوم عيد لانـــرى فـــيه مذيعة تلفزيون أو إذاعة تسأل ضيوفها ببلاهة عن ذكرياتهم مع خروف العيد في بلد وصل فيها سعر الخروف العيان تسعمية جنيه والخروف المغتصب فاقد العذرية تمنمية جنيه، يعني مـــرتب وكـــيل وزارة. سنشعر بفرحة العيد عندما يأتي يوم عيد لاتقـــع فـــيه علـــى دماغ أمك وأنت تمشي في الشارع بمبة تطير صـــوابك إن كـــان لايـــزال لـــديك صواب.عندما يقتنع مسئولو التلفـــزيون أن العـــيد لـــيس فـــرحة وأجمل فرحة للتلاتة أرباع

www.alkottob.com

المصريين بل هو نكد مبين فيبدأوا بالتفاوض مع السيدة صفاء أبو السعود لجمع نسخ الأغنية وإحراقها دون زعل. عندما لايكتفي الإمام الأكبر في خطبة العيد بالدعاء للسيد الرئيس وباقي المسئولين الذين يسعى بعضهم لإقناعنا أنه بيعرف ربنا بجد، سننتقدم لو قرر الإمام الأكبر ولو لمرة أن يقتدي بسلفه العز بن عبد السلام فيعظهم ويذكرهم بأن لهم يوما ترتد فيه المظالم أبيض على كل مظلوم إسود كحل على كل ظالم، سننتقدم لو شهدنا حاكم مصر وهو يصلي وسط شعبه الذي أهلكته الأقساط والجمعيات والسلفيات والتصريفات، سننتقدم لو أصبح من حق الفقير أن يأكل اللحمة مرتين في الشهر على الأقل دون أن يشحتها أو يتسولها أو يقف ليطحن في ضعفاء مثله من أجل أن يحصل على كيس لحمة يقول لمن يعطيه له كل سنة وإنت طيبة ستين مرة. مرة ثالثة عاد صوت تليفوني ليقطع استرسالي الغاضب، وجاءني صوت المذيعة "معلهش ياستاذ بلال أنا اضطريت اقطع مع حضرتك أصلنا كنا على الهواء، أرجوك إحنا في يوم عيد ومش عايزين نزعل الناس، أنا هارجع معاك على الهواء أول ماتخلص غنوة العيد فرحة وأجمل فرحة.. هيه هيه هيييه".

المومس اللي فاضلة !

www.alkottob.com

من الصعب أن أنساها.

قبل ١٥ سنة تقريبا كنت داخل قسم الدقي مع زميل لي في كلية الإعلام نجري مقابلة حصرية مع مسجلة آداب كان إسمها فتحية سيلان، ليس نسبة إلى جمهورية سيلان الآسيوية بل إلى المرض الشهير الذي يعتقد أطباء الامراض التناسلية أنها كانت أول من أدخله إلى محافظة الجيزة وبالتحديد إلى شارع ابن قمبيز الذي كانت تقف على إحدى نواصيه بسبب حنين غامض يربطها بالإسم الذي كان على حد تعبيرها يجعلها راغبة في أن "تتقمبز" من حين لآخر، كنا نقف على باب التخشيبة الملأى بالعاملات في صناعة الترفيه واللواتي يأخذن عملهن بجدية شديدة نفتقدها في جميع مواقع الإنتاج واضعات نصب أعينهن قول أمير الشعراء أحمد شوقي "أيها العمال أفنوا العمر جدا واكتسابا.. واعمروا الأرض فلولا سعيكم أمست يبابا".

كانت فتحية سيلان تحاول أن تقنعنا أن عمرها ماعملت حاجة غلط وأن الضابط المفتري ربنا يبتليه بنصيبة لفق لها قضية، وأنهم أخذوها من شقة المواطن العربي وهي بلبس الصلاة، شاء سوء حظها أن يمر الضابط من خلفها وهي تقول هذا الكلام، ليقوم

www.alkottob.com

بالرد عليها بأسلوب علمي لأجرؤ على ذكره، قبل أن يقسم أمامنا أنه سيطلق سراح فتحية فورا لو قرأت أمامنا الفاتحة، ردت عليه فتحية بكل ثقة "الفاتحة في القلب ياباشا.. يعني هم اللي حفظوها كانوا عملوا إيه"، استمرت ردود الضابط الحضارية على فتحية التي كانت تتعامل مع الضابط برغم كل ماكان يفعله على أساس أنه غير موجود، وأن مانراه ليس حقيقيا، فقد استمرت في التأكيد على أن مشكلتها مع الفاتحة أنها بقت بتنسى بسبب الهم، لكن قلبها ابيض من لبس الصلاة اللي كانت لابساه، أصابت الضابط حالة من الجنون وأخذ يقسم لنا أن كل علاقة فتحية بالدين هي أنهم قبضوا عليها مرة وهي ترقص لسياح عرب على أنغام أغنية "صلينا الفجر فين"، نظرنا إلى فتحية مشدوهين فقالت لنا بنفس ملامحها الموازية "أعمل إيه يعني.. هي اللي كانت شغالة في الراديو". كلت يدا الضابط أو أصابعه بمعنى أصح من الرد على فتحية بأسلوبه العلمي، فانصرف لبعض شأنه، ولأننا كنا رومانسيين ثوريين نؤمن بنظرية المومس الفاضلة، فقد أخذنا نسأل فتحية عن ماالذي يمنعها من أن تترك طريق الإنحراف وتسلك سلوكا شرعيا، أخذت دموعها تنهمر وتحكي لنا قصصا مذهلة عن إخوتها الذين تجري عليهم، (بالطبع سمعنا نفس القصص بعد ذلك كثيرا في مناسبات مختلفة، لنكتشف أنها أكثر انتشارا من حواديت الشاطر حسن)، أخذ بنا التأثر كل مأخذ فاندفعت أسأل فتحية ببراءة أدت بي إلى الإرتباك "يعني عمرك مافكرتي تبقي جوزة يافتحية"، وقع زميلي من الضحك، وصدرت

عن فتحية وزميلاتها المتابعات لسير الحوار في من خلف قضبان التخشيبة أصوات غير بريئة لايمكن قياسها إلا بمقياس ريختر، وأخذت فتحية تضحك وتصدر تلك الأصوات لأدرك أنا وصديقي أن فتحية لم تكن أبدا المومس الفاضلة بل هي المومس اللي فاضلة.

www.alkottob.com

مصر التي ما المسئول عنها

بأعلم من السائل!

www.alkottob.com

لـم يفهـم صديقي المراسل الصحفي الأجنبي سر عنفي غير المبـرر وأنـا أعـتذر له عن الإجابة على أي سؤال عن مستقبل مـصر فـي حال جرى لاقدر الله للرئيس مبارك مكروه من ذلك الـذي يسري على البشر حكامهم ومحكوميهم. قال لي مذكرا بأن الكلام عن المستقبل ليس عليه جمرك حتى الآن. وقبل أن يذكرني بأنه حتى الرسول مات وأمر الله لابد يكون، عدت لأقول له بعنف أقـل أننـي لـن أكون أهلا للكلام عن المستقبل مطلقا إلا عندما أعرف أولا لماذا أدفع كمواطن أجرة رفع الزبالة في شقتي مرتين فـي الشهر، كل مرة بخمسة جنيهات، خمسة للحكومة في فاتورة الكهـرباء وخمـسة للزبال الذي تجمعني به عشرة تفوق عشرتي بأغلب أصدقائي. سألني صديقي ماإذا كنت قد سألت أيا من الزبال أو محصل النور عن سر دفعي فلوس الزبالة لكل منهما، فقلت له أننـي لم أفكر أن أسأل سؤالا كهذا ربما لإنشغالي بالتفكير في سر كون جامعة القاهرة تابعة لمحافظة الجيزة.

فـي أول زيارة لمحصل النور سألته "أنا عندي سؤال وأرجو أنـك ماتاخـدوش بمحمل شخصي لأن علاقتنا أكبر من أن تتأثر بأسئلة تافهة زي اللي هاسألها"، كان جنيه البقشيش الذي أخذه للتو

www.alkottob.com

كافيا لتوسيع صدره بما يكفي لسماع سؤالي التافه. "هو أنا ليه بادفع أجرة الزبالة مرتين مرة"، كان واطيا بحيث رد ردا لم أتوقعه "وهو إنت هتبص لفلوس زي دي ياباشا"، لو كنت أضمن أنه سيرد الجنيه كنت طلبته، لكنني كبرت في سري وقلت له "ماعنديش مانع أدفع قدهم بس يمكن الأستاذ صبري اللي في الرابع يبص لفلوس زي دي أصله بيتعالج في معهد الأورام"، فهم الرجل مغزى سؤالي فأطرق قليلا وقال لي "والله مش عارف ياباشا بس بصراحة أول مرة حد يسألني السؤال ده من ساعة ماربطنا فاتورة الكهرباء بالقمامة"، نطقها هكذا كما قالها أكثر من مسئول مهم في التلفزيون في تصريحاتهم فائحة الرائحة، "ربط جمع القمامة بفاتورة الكهرباء"، دعوت في سري أن يربط الله من أخذ قرارا كهذا شر ربطة ويحرجه أمام شريك حياته، لكنني ربما فهمت ماقاله لي محصل النور متأخرا فقلت له "يعني مافيش حد هدد بالإمتناع عن الدفع أو شتمك أو قال حرام عليكو ياظلمة هتروحوا من ربنا فين ياولاد الـ.. إنت قاريني يعني"، قال لي "لا أصل كلهم مؤدبين مع إنهم ولاد جزمة"، استغربت ربط كونهم مؤدبين بأنهم ولاد جزمة، سألته عما إذا كان ربطا على شاكلة ربط الزبالة بالفاتورة، فرد والأسى يقطر من صوته "أصل من ساعة الحكاية دي بطلوا يدوني إكراميات، طب الحكومة بنت لذين أنا ذنب أمي إيه". سألته عن صحة أمه وتمنيت له السعادة. أول مافعلته بعد رحيل المحصل كان الإتصال بصديقي المراسل الأجنبي لأقول له "ممكن ماتتكلمش هنا تاني".

بعدها بيومين كان هناك حوار شيق جمعني مع الزبال الذي تمكنت أخيرا من الإمساك به في يوم غير أول الشهر الذي يوقظنا من أحلى نومة لطلب شهريته، لم أكن محتاجا لأن أسأله أبدا عن سر اختياره السادسة صباحا لكي يخبط على السكان لجمع نقوده، فهم إما بادئ في النوم مثلي ومثل أشرف العاطل عن العمل أو غارق في النوم وفي عرض ساعة نوم كمان كباقي سكان العمارة من الموظفين، ولذلك لن يكون لدى أحد منا الطاقة الكافية لسؤاله عن سر تراكم الزبالة أياما دون أن يقوم بجمعها، كل مانفعله فتح الباب نصف فتحة ودعك العين للتأكد من أننا نعطيه خمسة لاخمسين، ثم إغلاق الباب سريعا قبل أن يطير النوم. هذه المرة التزمت بالجهاد الاكبر جهاد النفس لكي أبقى صاحيا حتى العاشرة مغلقا صوت التلفزيون ومكتفيا بمتابعة الترجمة مصيخا السمع لصوت حركة جمع الزبالة، حيث اليوم يوافق أحد اليومين المنتظرين لتشريفه، لابد أن افاجئه هذه المرة وآخذه على حين غرة،سيبك من أن أكثر من غرة تمخضت بعد فتح باب المطبخ عن تبادل النظرات الحائرة مع قطط العمارة اللواتي بشمن وماتفنى أكياس الزبالة فلم يعدن يهربن بل يكتفين بنظرات وقحة أزعم أنها مصحوبة بشتائم قبيحة بلغة القطط "إيه القلق ده ياروح أمك.. مش تخبط قبل ماتفتح"، أخيرا جاء، هو هو، هذه طبوله هذه بشائره، فتحت الباب بثقة وأنا منكوش الشعر زائغ العينين، فرمقني بنظرة وكيل وزارة في الأربعينات، ثم قال لي " إيه في زبالة تاني"، قلت مستجمعا شجاعتي "هو إنت كنت شلت الأولاني

www.alkottob.com

يعني"، قال لي "معلهش يابيه مش ملاحقين وإنتو يعني مش مدينا فرصـــة.. ربنا يزيدكو"، فجأة أصبحت أنا في موقع الدفاع الطبقي عـــن نفـــسي، وتحول جدلنا المفترض حول تأخر رفع الزبالة إلى جـــدل ديالكتيكي أنا فيه الخسران لامحالة. فجأة وجدتني أقول له "ولايهمـــك الله يعيـــنك.. أنـــا بس كنت عايز أسألك سؤال"، شعر بـــصدق دعائـــي لـــه فوضـــع زنبيله على الأرض وترك قدميه تغوصان في أكياس الزبالة المتراكمة، وقال لي بكل أريحية تفوق أريحـــية الـــزبالة الفاتحة "اتفضل ياباشا"، قلت له "يعني أصل أنا باديـــك فلوس أول كل شهر"، لميت تحفزه بجملة إعتراضية "مش قـــد تعبك والله أنا عارف.. لكن الحكومة بقت بتاخد مننا كل شهر خمـــسة جنـــيه برضه قال إيه عشان تديها للشركات الأجنبية اللي بتجمع الزبالة.. وبيقولوا قبحهم الله إنهم بيدوكوا من الفلوس دي"، عاد لتحفزه، حقه بصراحة، وقال لي "طيب إيه الغرض يعني من الحوار ده"، قلت له " لا أصلي لاأقبل أنهم ينصبوا علينا بإسمكو"، أفتـــر ثغره عن ابتسامة ساخرة حنونة فاستبشرت خيرا وانتظرت حلا للغزي وبدأت أفكر فيما سأقوله للمراسل الأجنبي عن مستقبل مـــصر، لكنه قطع تداعي أفكاري عندما قال بعبارات قاطعة " أنا كـــنت فاكر إن عقلك كبير ياباشا.. إحنا لو سبناكو للحكومة ياباشا هتغرقوا في الزبالة ولامؤاخذة.. طول عمرنا شايلين (..) البلد دي وســـاكتين وراضيين بقليلنا.. ومش مستنيين حاجة لامنكو ولا من الحكـــومة"، لم أكن أدرك عمق إيمانه برسالته الإجتماعية، ولولا أننـــي مـــستأجر للـــشقة لكنت كتبتها بإسمه تقديرا مني له، خسر

مـــشاعري المتـــضامنة فورا عندما قال "وبعدين ماتدفع هي يعني الفلـــوس دي تهمـــك"، لم يكن الوقت مناسبا لأن أذكره بالمرضى الذين في الرابع والثالث والسابع والسادس، لم أفعل شيئا سوى أني ذكرته بفضل صيام النصف من شعبان وقلت له إني أحبك في الله وأغلقت الباب.

ســـاعة أو أكثـــر مرت وأنا أحاول النوم متغلبا على مشاعر الإهانـــة التي تعتريني لأني عجزت برغم كوني كاتبا عن معرفة سر دفعي لفلوس الزبالة مرتين، خمسة في خمسة، ألغيت فكرة أن أتصل بأحد أصدقائي المندوبين في محافظة القاهرة أو في وزارة الكهرباء، لن أكون مستعدا نفسيا للإستماع مجددا إلى جملة " هي فلـــوس زي دي تهمك". يرن الموبايل لأجد على موجاته صحفيا مبـــتدئا مـــن صحيفة معارضة يسألني بحماس " حضرتك شايف مـــستقبل المواطن المصري محدود الدخل إزاي في هذه المرحلة التـــي يكثـــر فيها الحديث عن إلغاء الدعم"، فكرت أن اشتمه لكني تذكـــرت أنني جبنت عن شتيمة الزبال فاستعذت بالله من أن أكون من الجاهلين، بعد أن ساد الصمت قليلا سألني "أنا أزعجتك"، قلت لـــه "لا أبـــدا أنا تحت أمرك.. انا اتخضيت من سؤالك لأني كنت لـــسه باتـــاقش الموضوع ده في المطبخ مع أحد أصدقائي"، تهلل صـــوته وقـــال لي "طيب أنا حظي كويس.. ياترى ممكن تجاوب على السؤال ده إزاي"، قلت له بحيرة "سؤال إيه"، ظن أني أسخر مـــنه فقـــال لي " لو أنا مضايق حضرتك ممكن أقفل"، خفت على زعلـــه وقلت له "معلهش أصل أنا تايه شوية لأني.يمكن ماأكونش

www.alkottob.com

أهـل للحديث عن المواطن محدود الدخل لأني بادفع فلوس جمع الزبالة مرتين، خمسة جنيه للمحصل وخمسة جنيه للزبال"، قال لي مقاطعـا " وهـي فلوس زي دي تهمك ياباشا"، أغلقت السكة في وجهه لكي لاأتورط في شتيمة أندم عليها، بعد لحظات جاء إتصال مـن رقـم آخـر لم أكن أعرف أنه رقم آخر لجريدته إلا عندما سمعت صوته "معلهش الخط قطع من عندي.. كنت حابب أعرف رأيـك باعتـبارك دائمـا بتكـتب عن السكان الأصليين لمصر.. مستقبلهم إيه في الفترة القادمة".

قلـت لـه وأنا أتجاوز صغائر الأمور محاولا أن أبحث عن إجابـة لنفـسي قبل أن تكون لصحيفته " أعتقد أننا نعيش الآن في مـرحلة خلـع البنطلون.. أيوه ماتستغربش كلامي.. لعلك قرأت قـصة ذلـك الشاب إبن الناس الذي أوقفه الضابط في لجنة بشرم الـشيخ ومسح بكرامته الأرض وطلب منه أن يخلع البنطلون لكي يعـتدي علـيه.. أعتقد أن السكان الأصليين لمصر يعيشون الآن مـرحلة خلع البنطلون التي يمر بها أي شخص يخلع البنطلون في لجـنة ويظـل لدقائق تمر كأنها قرون يفكر.. هل سيأذن له القدر بلـبس البـنطلون علـى خير أم سيعتدي عليه القدر شر إعتداء". قاطعنـي الـشاب ضاحكا لماذا لاأدري " كلامك مهم ياأستاذ بس صـعب أنـشره يعنـي.. ممكن تقول لي تشبيه تاني"، " أنا تحت أمـرك.. قـل لي شفت الفيديو كليب اللي بيتوزع على الإنترنت للضابط اللي بيتسابق هو وزمايله على ضرب مواطن حظه كدقيق فـوق شوك نثروه ثم قالوا لحفاة يوم ريح ياولاد الكلب إجمعوه"،

قـال لي ضاحكا "مزاجك عالي ياباشا.. آه طبعا شفته أنا والأسرة كلها"، قلت له "حلو قوي هل تذكر كيف وقف ذلك المواطن الشاب ينتظـر نـصيبه من صفعة الضابط مصطفى أبو يد مرزبة مسلما خـده للضابط وأمره لله فإذا بالضابط يتوقف عن صفعه في آخر لحظـة ويشير له بإصبعه، لا كإشارة الخلفاء لأصحاب العطايا بل كإشـارة إبـراهيم حسن لجمهور الزمالك ذات يوم. هذا هو حالنا الآن.. نحـن ننتظر نصيبنا كأيا كان.. صفعة أو إشارة إصبع أو مـادون ذلك أو مافوق ذلك.. كل اللي يجيبه ربنا كويس"، لم يعلق علـى كلامي بما هو أكثر من التنهيد فواصلت " مستقبل إيه الذي تسأل عنه.. ماالمسئول عنه أعلم من السائل.. ياسيدي مصر الآن حالها كحال شاب ملقى في عرض البحر قالوا له أن ذلك الشاطئ الذي يلوح في الأفق هو شاطئ إيطالي دفع من أجله دم قلبه وكتب على أهله واللي خلفوه كمبيالات لكي يصل إليه.. وهو الآن يعوم وقد ملأ الملح جوفه داعيا الله أن تكون فعلا إيطاليا وليس ليبيا أو الـصومال أو الهانوفيل.. وحتى لو فرضنا أنه سيصل إلى شاطئ إيطالـي فالمستقبل لايبدو مضمونا.. هذا هو حالنا ياسيدي.. نحن الآن نعـيش في وطن يقول حكامه أنهم يبحثون عن الفقراء لأنهم مش لاقيينهم لأن هناك أناسا وحشين ظلوا طيلة السنوات الماضية يـسرقون مايستحقه هؤلاء الفقراء.. نحن نعيش في وطن يحكمه حاكم يسمح لأعوانه أن يتحدثوا عن أهمية الإنطلاقة الثانية بعد أن قضى ربع قرن في إنطلاقة أولى.. وهي أطول إنطلاقة في تاريخ البشرية.. غراندیزر نفسه وهو ينطلق لم يقض كل هذا الوقت".

www.alkottob.com

فجـــأة رن المـــوبايل وأنا أتكلم ليقطع ماكنت أتصوره تأملا فاتضح أنه هذيان عندما جاء صوت الصحفي الشاب ليقول لي "أنا آسف ياأستاذ الخط قطع قبل ماأسمع إجابتك على سؤالي"، قلت له " ســؤالك عــن المستقبل؟" قال لي "أيوه.. تمام كده"، قلت له "أنا آســف ممكن تكلمني بالليل أصل ماباحبش أتكلم عن المستقبل قبل ثمانــية مــساء". وأغلقــت الموبايل في أدب. أكثر من ثمانية أيام مــرت وأنــا أحاول أن أهرب من سماع أي شيئ عن المستقبل، حتــى اســتمعت إلى خطاب السيد جمال مبارك قبل بدء المؤتمر الرابع للحزب الوطني وهو يقول بكل ثقة "مصر بتتغير.. لكن في نــاس مش عايزه تصدق.. إحنا إيدينا على الأرض.. مش بنعوم فــوق". لو كنت قد استمعت إلى تصريح مثل هذا قبل حواري مع الزبال لكنت قد أوجعته ضربا، أقصد الزبال طبعا، بينما أنا أغلي وأفور رن الموبايل ثانية، وعاد صوت المراسل الأجنبي الملعون الذي لن أصفه أبدا بصديقي لأن هناك "سمبادي" سلطه علينا، لو لم يكــن الأمر كذلك لما كان قد امتلك جرأة سؤالي عن تعليقي على تصريحات السيد جمال مبارك، قلت له وأنا أتخذه وسيلة لفش غلي " الحقــيقة أهم مافي تصريحات الأستاذ جمال أو السيد جمال سمه ماشــئت إسم الله عليه.. هو أنه أول اعتراف بمدى ماوصلت إليه أحوال مصر في عهد أبيه.. ألم يقل أن إيدينا على الأرض.. فعلا غالبــية المصريين أصبحوا على الأرض من عناء العيش في هذا الــبلد.. ياسيد جمال لقد قلت أننا نعوم فوق.. فهل قلت ذلك للسيد والــدك سيادة رئيس الجمهورية بأننا كنا طيلة الربع قرن الماضي

نعــوم فوق.. ياسيد جمال لقد عرفت شيئا وغابت عنك أشياء، إذا كانــت إيــديكم فعلا على الأرض، فانتبهوا لأن الشعب تحتكم فمه علــى الأرض وقد تعب والله من سف التراب". سكت قليلا لألتقط أنفاســي فجــاء صــوت المراسل الملعون " هي سف التراب دي ممكــن تتــرجم إزاي". جاء صوتي هادرا "عارف لو إتكلمت هنا تاني هابلغ عنك إنك جاسوس". ثم أغلقت الخط.

www.alkottob.com

ضحايا ولاكشوف لهم!

www.alkottob.com

كنت أطالع بذهول الصفحة الأولى من صحيفة الأهرام والتي تصدرتها صورة عدد من السكان الأصليين لمصر وهم يتزاحمون أمام مجموعة من الكشوف معلقة على حائط، عندما سألني جرسون الكافتيريا الذاهل غالبا عما حوله ملاطفا ومشيرا إلى الصورة "إنت بتقرا جرنان قديم ولا إيه ياباشا؟"، لم أفهم جملته إلا عندما قال لي "هو مش التنسيق خلص خلاص؟.. أنا مش عارف زاحمين نفسهم على إيه.. ماحنا دخلنا كليات واتخرجنا.. خدنا إيه وفين؟.. ولا بلاش فين دي ياباشا أحسن تفهمني غلط"، نظرت إلى الصورة واستوعبت ماتخيله ثم قلت له "لا.. دي كشوف ربنا مايكتب عليك تكون فيها أبدا". كانت الصورة التي فهمها الجرسون خطئا لعدد من أهالي ضحايا قطار قليوب يتزاحمون لقراءة أسماء أقاربهم في كشوف الضحايا التي تكرمت الجهات المختصة بتعليقها بدلا من تعليق المتسببين في وقوع كل أولئك الضحايا.

كشوف الضحايا، ياحلاوة ياولاد، هاقد أصبح لدينا الآن نوع جديد ورائج من الكشوف، زمان كان الواحد منا لايعرف سوى كشف النتيجة الذي يتوقف عليه مستقبله الدراسي في مراحل الدراسة المختلفة، قبل أن يوصي أمه بأن تدعو له المولى عزوجل

www.alkottob.com

بـــأن يرى إسمه في كشف تعيينات أيام كان هناك تعيينات، بعدها أصـــبحنا نـــسمع عن كشوف البركة أيام شركات توظيف الأموال فـــنلعن أهلهـــا ونحـــسدهم، ثم بعد حرب الخليج دخل إلى حياتنا مصطلح كشوف التعويضات فأخذنا نشفق على المزدحمين أمامها فـــي الـــسفارات وفـــروع وزارة الخارجية ونحسدهم أيضا لأنهم طلعـــوا مـــن المـــولد ببعض الحمص، بعدها ومع ازدهار عصر المسرحيات الديمقراطية ظهر مصطلح الكشوف الإنتخابية ليصبح معلما من معالم الحياة السياسية تتخانق عليه المعارضة وتلعب فيه أجهـــزة الأمن ويتجاور فيه الموتى مع مسلوبي الإرادة، لكن كل هـــذه الكـــشوف صـــارت كـــوما وكشوف الضحايا التي راجت وازدهرت في العهد المباركي كوم آخر.

هل تتذكر كم مرة خلال العام الماضي فقط رأيت فيه صورا صـــحفية أو متلفـــزة أو غير ذلك لمئات من المواطنين يتزاحمون أمـــام كشوف معلقة على الحائط ليقرأوا أسماء ذويهم الذين راحوا ضحية عبارة أو طائرة أو قطار أو أتوبيس أو سيارة ترحيلات أو قـــصر ثقافـــة أو بيجو سبعة راكب، لاتشغل نفسك بالعد ولاتقلب علـــى نفـــسك المواجـــع، فكشوف الضحايا في هذا العهد المبارك صـــارت أعجز من أن تحصي ضحاياها كلهم، هي إن جئت للحق أو جـــاء الحـــق إلـــيك تحصي الذين قضوا نحبهم فقط أما الذين ينتظرون ذلك بفارغ الصبر أو الذين يسعون جاهدين لكي لايكونوا ضـــحايا فلم يكتب لهم بعد أن يكون لهم كشوف خاصة بهم. ربما لأنه من السهل أن تحصي الضحايا الفعليين لكن من الصعب جدا

أن تحـــصي الـــضحايا المحتملـــين. فأي كشوف تلك التي ستتسع لأســـماء المعرضـــين بين غمضة عين وانتباهتها لكي يموتوا في تـــصادم قطارين متهالكين أو غرق عبارة مواشي تحمل معتمرين أو مرضـــى كتب عليهم دخول سلخانة حكومية أو محشورين في بـــيجو يـــسير على طرق ممهدة إلى الموت أو معرضين للهلاك المـــسرطن بـــسبب ســـوء التغذية أو انعدامها أو تلوثها؟. تعددت الأســـباب ياصـــاح والكـــشف واحد. سلمها لله إذن وادعه خاشعا متصدعا بألا ينقل إسمك أنت ومن تحب ومن يتشدد لك من كشف الـــضحايا المحتملـــين إلى كشف الضحايا الفعليين. هل هناك شيئ آخـــر يمكـــن أن تفعله في مصر غير أن يلهج لسانك بدعوة مثل هـــذه؟. لاتحدثنـــي عن إقالة هذا المسئول أو ذاك، عيب أن تخدع نفـــسك، ولاتشغل بالك بالسؤال عمن يتحمل وزر ماحدث، سواق القطـــر اللـــي قدام أم سواق القطر اللي ورا، فأنت تعلم وأنا أعلم والله مـــن فوقنا جميعا يعلم أنه طالما لم نكن قادرين على محاسبة سواق القطر المصري بضم القاف هذه المرة فمن العبث أن نسأل عن أخطاء أي سواق آخر.

أقرأ تغطيات الصحف الحكومية لردود أفعال المسئولين على الكارثة، واشعر أن بعض كتابها وصحفييها يريدون أن ينطقوا بما يكاد ينطق به مسئولو الحكومة نفسها "احمدوا ربنا.. إنتو عايزين إيـــه.. اللـــي مات هيطلع له بييجي ثلاثين ألف جنيه ماكانش أهله هياخدوهم وهو حي"، لاصوت يعلو فوق صوت التعويضات، كلما علا غضب الرأي العام زاد الرقم ألف جنيه أو خمسة آلاف جنيه،

www.alkottob.com

هكـذا هي بلادنا من قديم الأزل، الشعب اللي تعرف ديته إحكمه، لاتحدثني عن قيمة الإنسان نفسه، لاتحدثني عن حياته التي لاتقدر بمال، لاتحدثني عن إمكانية أن تصبر أسرة لأنها فقدت فردا منها في كارثة طبيعية زلزال أو إعصار أو أي مصيبة سماوية، وليس لأنهـا فقدتـه بسبب فساد حكومي أو إهمال بشري. لاتحدثني عن الحساب فلو كنت منصفا لقلتها بعلو صوتك "تحاسب مين ولا مين ولامـين والدودة في أصل الشجرة؟". من نخدع جميعا، حتى نحن الـذين نتحدث عن وزير النقل ونطلبه كبش فداء بحجة أنه صديق جمال مبارك؟، لماذا لانواجه أنفسنا بصدق وشجاعة لنقول بصوت عـال أن المـشكلة ليست ابدا في الذين ماتوا في قطار قليوب أو عـبارة البحـر الأحمـر أو مسرح بني سويف أو حضانة أطفال مستشفى الشاطبي، المشكلة في الذين لم يموتوا بعد.

المـشكلة فـي الأحياء الذين يسيرون في مناكب مصر وكل مـنهم يعلم أن ديته بالكثير ثلاثين قول خمسين ألف جنيه ستدفعها الحكـومة بأعـين بجحة وسع كداهوه، الأحياء الذين يسعون على رزق عـيالهم وهم يعلمون أنهم لو قدر لهم أن ينتقلوا من كشوف الضحايا المحتملين إلى كشوف الضحايا الفعليين سيصبحون مجرد أرقـام تنشر في عناوين الصحف، أرقام سيستخدمها المعارضون للعـن سنسفيل الحكومة المباركة، وسترد عليهم الحكومة المباركة بأرقـام أخـرى للتعويـضات التـي إذا صرفها أهالي الضحايا والجرحـى يفتـرض أن تغنيهم عن كل شيئ، يفترض أن يغرقوا

بعـدها في بلهنية العيش، يفترض أن يحمدوا ربنا أنهم لم يكونوا في كشوف الضحايا الفعليين ويخرسوا خالص.

بعد أن أدرك جرسون الكافتيريا أن هناك شيئا خطئا فيما قاله وبعـد أن فهـم التيـتة، ويالليته مافهم قال لي "بصراحة ياباشا أنا باحسد الناس دي، تلاتين ألف جنيه، ده أنا باقبض تلتميت جنيه في الـشهر وباتشحط بيهم طول اليوم والمصحف أنا لو أبويا عرف هـيقول لـي ياريـتك كنت مت في القطر ده يابعيد.. بيني وبينك ياباشـا لو أضمن أعملها بس الفقري اللي زيي الموت هيعانده أنا عـارف.. هاطلـع من الجرحى وآخد خمسة آلاف جنيه أصرفهم علـى العـلاج". ينظر إلى مستغربا لأنني لم أضحك على كلامه، يقـول لـي "طبعا تلاقيك سرحان بتحفظ في البوقين اللي قلتهم.. بكـره ألاقيهم في فيلم.. بس والنبي لو ده حصل ومادفعتش حقهم هاتف لك في القهوة قبل ماأجيبها لك". أنظر إليه وهو يذرع المحل جيـئة وذهابا بكل نشاط وأستغرب قدرته على نسيان كونه ضحية محـتملة، محتملة إيه ياعم الحاج، إذا لم يكن هذا الإنسان ضحية فعلية فمن سيكون إذن.

وجـوه الـضحايا الفعليين التي تاهت من كشوف هذا العهد الـسعيد تطاردنـي واحـدة تلو الأخرى، أتذكر تلك المكالمة التي جاءتنـي ليلة عيد الفطر اللي قبل اللي فات أو اللي قبله، مش مهم أفتكـر لأني لاأريد، يأتي إلى بعض جيراني يطلبون مني واسطة لـدى أحـد مسئولي الجمعية الشرعية، "شوف لنا أي صحفي من معارفـك"، لمـاذا لم أسألهم عن المشكلة أولا، لست أدري، المهم

www.alkottob.com

أنني اتصلت بعدد من الأصدقاء لأجدهم مسافرين إلى مدنهم خارج القاهرة، بعد ساعتين ذهبا هباء لابد من السؤال، طيب ماهي المشكلة بإخواننا، ياليتني ماسألت، أم شاب منهم توفاها الله بعد صراع مع أطباء المستشفيات الحكومية وممرضاتها وإهمالها، طيب ماعلاقة الجمعية الشرعية بالأمر، أصلها بتوفر سيارات نقل موتى مجانا، والست لازم تتدفن في البحيرة والدنيا عيد وكل سنة وإنت طيب، كل هذا ليس مشكلة، المشكلة أن الواسطة التي يطلبونها هي إعفاءهم من دفع قيمة مشوار العربية، اللي هو كام سعادتك، اللي هو مائة وعشرين جنيها فقط لاغير. عاش الحزب الوطني. عاش الرئيس مبارك وإبنه وأعوانهما. بنتكلم في إيه طيب؟. ارض بتعويضك السخي أيها الضحية المحتملة وكل واشكر سيدك وإبن سيدك وأصدقاء إبن سيدك.

أتذكر السيدة صباح ذات الوجه الصبوح التي عملت ذات أيام غبراء شغالة في بيتي، ولم تستمر، لماذا لأنني اكتشفت أنها أصلا محامية، طالعت كارنيهها بأم عيني بدل المرة عشرا، رفدت الحكومة زوجها تحت إسم المعاش المبكر فحولته إلى سيكوباتي يعيش عالة عليها، لم تجد من يعطيها حقوقها ولاحقوق إبنتها فلم يكن ممكنا أن تعمل من أجل رد حقوق الناس، المجتمع الشريف العفيف الذي يحب الله ورسوله أراد كثيرون من أفراده حتة منها فقررت أن تعمل في خدمة البيوت أشرف وأعف. طيب بنتكلم في إيه؟. سيبك من كل هذا وقل لصباح ولغيرها سنعطيك ثلاثين ألف جنيه وارمي نفسك في هذا القطار المتجه إلى الموت وقل لي بالله

عليك هل سترفض فورا أم أنها ستفكر في الأمر إذا لم تقل لك أبوس إيدك إنت متأكد إني هاموت ومش هيسرقوا فلوس التعويضات.

في برنامج الحقيقة للصديق وائل الإبراشي شاهدت منذ اشهر حلقة مع والدة الشغالة التي اتهمت الراقصة بوسي سمير باحتجازها ودفعها للإنتحار، كانت الأم تتحدث بحماس شديد عن السبب الذي دفعها لكي تجعل إبنتها تعمل شغالة، فجأة في سياق الكلام تحدثت عن مكتب من مكاتب توظيف الشغالات فقالت " وكانوا في المكتب ده بيدوا فلوس تفوق الخيال للي تسيب الشغل وهي ساكتة"،سألها وائل "كانوا بيدوا كام"، انتبهت لأسمع ويالبتني ماانتبهت، قالت وقد اتسعت حدقتا عيناها من رهبة الرقم الذي قالته "يعني ألف جنيه مرة واحدة"، شكرا يامصر، هذه سيدة تظن أن ابنتها سيئة الحظ لأنها لم تعش حتى تحصل على الفلوس التي تفوق الخيال، اللي هي ألف جنيه مرة واحدة، طيب بنتكلم في إيه أعزائي معشر الضحايا المحتملين؟.

أثناء محاولتي التماسك لإكمال هذه الكتابة على خير أو حتى على شر، أعود كعادتي إلى ملف الأوراق التي أقصها من الصحف، أحتفظ بتقرير نشرته صحيفة المصري اليوم أجرت فيه حوارا مع طالبة ثانوية عامة اسمها أمل حسن عمرها ستة عشر عاما، كان الصحفي يسألها عن أحلامها في المستقبل فقالت "بإذن الله سوف أصبح من الأوائل وأدخل كلية الطب علشان أعالج الناس من المرض الذي انتشر في البلد بس المشكلة إن

www.alkottob.com

المصاريف كثيرة والحياة أصبحت للأغنياء فقط"، لم تعش أمل لكي تحقق هذه الأمنية، فقد قتلها أبوها هي وأمها وأخواتها الثلاثة لكي يريحهم من متاعب الحياة حسبما قاله في شريط الكاسيت الذي تركه قبل أن يرتكب جريمته. كم تستحق أمل من تعويض لأنها عاشت مايجعلها تقول كلاما كالذي قالته قبل الذبح، وكم يستحق أبوها نفسه من تعويض باعتباره ضحية فعلية كاملة الأوصاف. أقلب الأوراق كأنني أقلب كشوفا افتراضية، شابان يقتلان الفنان عبد البديع عبد الحي ليسرقا ٤٠٠ جنيه. ٥٠ جراحة زرع كلى تكتشف بالصدفة في اسبوعين فقط. شاب يقبض مقابل كليته ١٢ ألف جنيه بينما نقيب الأطباء حمدي السيد يقول لصحيفة ميل آند جارديان البريطانية أن ثمن الكلية يصل إلى ٨٠ ألف دولار يدفعها مرضى الخليج، من سيدفع الفرق للضحايا ومتى سيكون هناك كشوف بأسمائهم.

قبل أن اصل إلى تقرير عن تجارة جديدة لبيع الدماء يدمنها بعض الشباب العاطل أتوقف، لأحتمل مزيدا من التقليب في ملفات الضحايا، أسارع بمغادرتها لكن نفسي الأمارة بالسوء تحدثني بقراءة ورقة طبعتها من على إيميلي وأجلت نشرها، ربما لأن قراءتها لأول مرة كانت أكبر من قدرتي على صياغتها أو التعامل معها، أحمد متولي من الإسكندرية لديه الشجاعة أن يذكر اسمه بل وكليته، " سيدي انا طالب فى كلية تجارة انجليزى جامعة الاسكندرية...اذكر ذلك فى بداية كلامى حتى لا يظن البعض انى جاهل ...لن اطيل و سأدخل فى الموضوع مباشرة، كنت اشاهد

برنامجا فى التليفزيون وفجأة سمعت كلمة " جريب فروت" فسألت نفسى سؤالا لم افكر فيه من قبل، وأقسم لك بالله أنني أسأله جادا لاهازلا،ماهو الجريب فروت؟؟الواضح طبعا انه فاكهة لكن شكله ايه؟ طعمه ايه؟ بيتاكل ازاى؟.الله اعلم.أخذنى هذا السؤال الى اسئلة اخرى كثيرة.. خد عندك...انا ليه معرفش الجريب فروت؟. طيب هل حييجى عليا يوم واكله ولا حعيش واموت محروم من الجريب فروت؟. طيب هما اللى بياكلوا الجريب فروت احسن منى فى ايه؟ و طبعا مفيش ولا اجابة على اى سؤال فيهم...انا معنديش اعتراض على ان فى ناس بتاكل جريب فروت ...الف هنا وشفا...بس انا كمان من حقى اكل منه او على الاقل اعرف شكله ايه؟ ! هل اللى انا فيه ده ذنبى؟ ولا ذنب اللى بياكلوا جريب فروت؟ ولا ذنب البلد اللى بتخلى ناس بتاكل جريب فروت و ناس تانية بتجاهد يوميا عشان تلحق تاخد رغيفين من الفرن...ولا ذنب الجريب فروت؟". ماعلاقة هذه الرسالة بكل مانتحدث عنه الآن؟ بالطبع هناك علاقة وثيقة لامراء فيها وإذا لم تدرك علاقة شغف أحمد بضحايا قطار قليوب بالباحثين عن واسطة في الجمعية الشرعية بصباح وإبنتها بالذين يموتون في البحر المتوسط قبل تحقيق حلم الوصول إلى شواطئ إيطاليا فالمشكلة عندك أنت وليست عندي. على أي حال دعني أذكر لك فقط أن مشكلتي الحقيقية مع أحمد كانت أنه بعد مناقشته عبر الإيميل اتضح أنه زعلان لأنه يتخيل أن الجريب فروت فعلا حاجة حلوة قوي تستحق الزعل على الحرمان منها، وهو ماكنت أظنه أنا نفسي

www.alkottob.com

ذات يـــوم، يعنـــي منذ أن كنت أنا مطرحه وحتى الآن لم تستطع مـــصر أن تعلـــم أبناءها أنه لاداعي لأن تبكي أبدا على الجريب فروت، لأن البرتقان برقبته.

ولاأراكم الله حبيبا في كشف ضحايا لديكم.

عزيزي المواطن..

إوعى حد يوريك "القطر"!

www.alkottob.com

أستغرب كثيرا أن يتحدث الكثيرون في وسائل الإعلام عن جرائم سفاح أطفال الشوارع الشهير بالتوربيني كأنها حدث غير مسبوق مع أنها لاتعد شيئا مقارنة بما ارتكبه سفاح المصريين الحزب الوطني الشهير بحزب الأغلبية. الفارق الأساسي بين التوربيني والحزب الوطني هو أن التوربيني يرمي ضحاياه من فوق القطار بينما الحزب الوطني يرمي ضحاياه داخل القطار. التوربيني سقط في يد العدالة بعد أن قتل عددا من الأطفال يتجاوز العشرين طفلا، بينما تبدو يد العدالة غير قادرة على الإمساك بأي من توربينات الحزب الوطني الذي قتلت حكوماته بفعل إهمالها وفسادها وتسيبها آلاف المواطنين في القطارات والعبارات والطرق السريعة، فضلا عن ملايين منهم من قضى نحبه بالأمراض المستعصية والقهر والفقر ومنهم من ينتظر أجارنا الله وإياكم.

عندما استغربت إهتمام صديقي المراسل الأجنبي المبالغ فيه بقضية التوربيني التي ربما تعامل معها أغلب المصريين بوصفها "من ضمن المصائب" التي يعيشونها، بل وربما أخذها البعض مادة خصبة للكوميديا السوداء رياضة المصريين المفضلة، قال لي أنه

www.alkottob.com

تعامل مع التوربيني بكل هذا الإهتمام لأنه يبدو قاتلا إستثنائيا في تاريخ مصر. ليس فقط لأنه قرر مع سبق الإصرار والترصد أن يرد للمجتمع عطاياه، بل لأنه قاتل تسلسلي في بلد يتمتع كل من فيه بقصر النفس، حتى القتلة.

إستثن ريا وسكينة اللتين رفعتا رأسنا عاليا بين قتلة الكون وستلاحظ أن القاتل المصري لحسن حظنا يكتفي عادة بضحية أو إثنتين قبل أن يولع في نفسه بجاز أو يسلم نفسه للبوليس ويبدأ رحلته مع الندم مع أول قلم في قسم البوليس، بينما في المجتمعات الغربية يبدو القاتل التسلسلي مألوفا نوعا ما، يتسابق القتلة التسلسليون هناك في تحقيق الأرقام القياسية سواء في عدد ضحاياهم أو في عدد السنوات التي يقضونها قبل سقوطهم في أيدي العدالة، برغم أن الحكومة هناك لاتقدم لهم التسهيلات التي تقدمها الحكومة المصرية للمجرمين، فمن يستطيع إنكار دور البنية الأساسية في بناء النفق الذي اختبأ فيه التوربيني وصحبه طيلة السنوات الماضية، ومن يستطيع إنكار التسهيلات الأمنية التي جعلت من محطات القطارات مسرح جريمة مكيف الهواء وكامل التجهيزات يكفي لإغتصاب وقتل أكثر من عشرين طفلا في زمن قياسي، عندما تستمع إلى التوربيني وهو يقول في التحقيقات التي تناقلت الصحف أنباءها أن سر إختياره للقطارات كمسرح لجرائمه هو " أصل ماحدش كان بيقولي إنت رايح فين".

لاأريد أن أكون قاسيا في الحكم على مباحث السكة الحديد التي لعلها كانت مشغولة بتأمين القطارات من ركوب الإرهابيين

أو أعضاء حركة كفاية وجماعة الإخوان القادمين للمشاركة في مظاهرات العاصمة، لكنني لاأستطيع منع نفسي من إفتراض أن مشهد طفل شوارع يمسك بطفل صغير ويدخل به إلى محطة القطار أمر لابد أن يكون مثيرا للريبة خصوصا أن إدراك العلاقة بين محطات القطارات والإعتداء على الأطفال ليس أمرا وليد هذه الأيام بل هو جزء من الثقافة الشعبية المصرية يتم توارثه عبر الأجيال.

أبناء الأحياء الشعبية مثلي يحفظون جيدا تلك النصيحة التي كنا نسمعها ونحن أطفال أكثر من نصيحة غسيل الأسنان قبل النوم، "إوعى حد يقولك تعالى أوريك القطر"، لم يفكر أحد منا أبدا أن يسأل عن حكمة تلك النصيحة وسر ارتباطها بالقطار دونا عن غيره من وسائل المواصلات مع أنه لم يكن جديدا على أيامنا بالطبع، وكان الواحد منا امتثالا للنصيحة الخالدة يكتفي بالإعتذار لأي طلبات ترده لرؤية القطار بأن يقول بأدب " شفته قبل كده"، أو أن يكون أذكى فيقول لصاحب العرض المريب" معلهش أصلي باركب بيجو".

صديقي المراسل الأجنبي أخذ ماقلته له بجدية شديدة وبدأ يفكر في عمل زاوية في قصته الخبرية عما إذا كانت النصيحة الأسرية الشهيرة بعدم الإستجابة لمن يعرض رؤية القطار قد اندثرت خلال السنوات الماضية مع تقطع الروابط الأسرية وصلة ذلك بوقوع هذا العدد الكبير من الضحايا بين يدي التوربيني ورفاقه، لكنني قلت له أن ظروف الحياة القاسية في أزهى عصور

www.alkottob.com

الفقـر التـي نعيـشها لـم تنس السكان الأصليين لمصر فقط أن ينـصحوا أبـناءهم بالحذر ممن يدعوهم لرؤية القطار بل أنستهم أنفـسهم لدرجـة أنهـم يمكن أن يستجيبوا لهذه الدعوة لو وجهت إليهم.

ككل مابانت تشهده مصر الآن، يبدو الأمر حزينا بقدر مايبدو عبثـيا، يتوقف صديقي الأجنبي عند تفصيلة ربما لم تلفت إنتباهنا كثيـرا، هـي أن مصر هي البلد الوحيد الذي عندما تتعرض فيه للإغتـصاب والقـتل تكون مضطرا لبذل مجهود إضافي للصعود فـوق سـطح قطار. لاألومه لأنه ليس فقط من حضارة أخرى بل مـن دنيا غير الدنيا عندما يسألني عن السر الذي يجعل أي إنسان مهما كان معدل ذكاءه منخفضا يوافق على أن يدعوه أحد للصعود علـى سطح قطار، للحظات هممت بأن أشرح له العوامل النفسية المـرتبطة بظاهرة التسطيح التي ترتبط بدخول الإنسان المعاصر مـرحلة العدمـية الإنسيابية والتي لم تعرف بعد، لكنها إذا عرفت يمكـن القـول أنها المرحلة التي تصبح كلمة "ماتفرقش" هي الرد الوحـيد على كل الأسئلة، لكنني تراجعت عن قول ذلك مفضلا أن أغـرق فـي ذكرياتي عن الأيام التي كنت أعتبر نفسي فيها وأنا مدفـون فـي زحام قطارات الدرجة الثالثة واحدا من المحظوظين لأن الأيـام بكـل قسوتها لم تضطرني بعد للتسطيح على القطار، كـان ذلك بالنسبة لي الخط الفاصل بين الوجود والعدم، أن تكون نائما على كرسي يقطم الضهر وفي مواجهة فمك تتدلى بيادة مجند مرهق، وعلى حجرك عشرين بسكوتة خلفها صاحبها الميت ولابد

أن تشتريها لكي تخرج ورثته من أزمتهم، هو أفضل بكثير من أن تكـون مضطرا للتسطيح على القطار حيث يغتصبك الهواء فعلا لامجـازا وتظل طيلة الطريق الذي لايعلم أحد حتى سائق القطار مدته معرضا للدحرجة والسقوط بين عربات القطار مع أي فرملة غيـر مبـررة، هذا إذا كان هناك في قطارات مصر فرملة غير مبـررة، بالنـسبة للكثيـرين مـن السكان المنتفعين بمصر يبدو التـسطيح أمـرا لذيذا أو أوريجينال أو في أحسن أحوالهم الثقافية مثيـرا للـشجن لأن أحمد زكي أو منتصر في فيلم الهروب كان يـسطح علـى القطـار وهو ينظر للصقر بنظرات مليئة بالحيرة والعـزة، وإذا كـان هؤلاء لم يفهموا التسطيح أبدا فهل يفهم هذا الأجنبـي الذي اتخنقت منه كل هذا، قررت تركه لكي لاأجد نفسي مـتورطا فـي الإساءة لبلادي خاصة أنني لست أهلا لأن أساعده على الفهم إذا كنت أنا نفسي لم أفهم نفسي أبدا وأنا شغوف بالتعلق فـي الهواء الطلق لايفصلني عن الموت أو الشقلطة على الأسفلت سـوى الإمساك بحديدة عربية ربع نقل عدد من هم خارجها أكثر ممـن بداخلها، بينما يكتفي ركاب السيارات الملاكي بالنظر إليهم باشمئناط والضرب كفا على كف قائلين " يعني مش قادرين يستنوا العـربية اللـي بعدها.. ده إيه التخلف ده"، لاتسلني كيف سمعت ماقالـوه، فأنا أقوله الآن عندما أرى هذا المنظر الذي أعتبره دائما الرد القاطع المانع الجامع على كل من يتحدث دون فهم عن سلبية المصريين وعدميتهم، دون أن يدرك كيف يمكن أن تكون ظروف الحياة قاسية إلى حد يجعل الحياة ذات نفسها "ماتفرقش".

www.alkottob.com

هـل ابـتعدت بخواطري وأفكاري عن موضوع التوربيني؟ لاأعـتقد حتى لو كنت أنت تشارك صديقي الأجنبي الإعتقاد بأنني فعلـت؟. أفـضل أن أحتفظ بأفكاري بعيدا عنه وعنك لو أردت. بالنـسبة لـي كل الأمور الخاطئة والمريبة في هذه البلاد صارت "مـنفدة" على بعضها، أن يموت عشرون طفلا بعد إغتصابهم من فوق قطار لاينفصل أبدا عن أن يحترق مئات أمثالهم داخل قطار، وأن تغـرق ألـف نفس في مياه البحر ظلما وعدوانا بينما الشعب يـرقص طربا لأنه هزم كوت ديفوار، لايمكن أن ينفصل أبدا عن تحـول الشوارع إلى مفرخة لإنتاج الإرهابيين والسبرتجية والقتلة التسلـسليين، كما أن كل ذلك في حقيقة الأمر ليس سوى محصلة لـتحول البـيوت التـي هزمها الفقر وفتقها الإصلاح الإقتصادي وفـرمها إحـساس رئيس البلاد الدائم بمحدودي الدخل إلى أماكن طـاردة للبـشر، الرجال إلى شغلانة تلو الأخرى في اليوم ثم إلى الإرتمـاء مخمودين آخر اليوم وإلا فإلى القهاوي للتنفيس بالدمنة والمعـسل والـشكاوي، والنـساء إلـى عتبات البيوت وشاشات الوصـلات للتحـسر على الحال والتفكير في وسائل جديدة للتنكيد على الرجال، والأطفال إلى شوارع الضياع حيث يمكن أن تغض عـنك الحكـومة الطـرف طالما كنت قادرا على معرفة الدهاليز الخلفـية التـي تجري فيها من عربية الأتاري بعد أن تشرح أحدا بالموس أو تسرق مواطنا غافلا أوتدعو زميلا لك لرؤية القطار.

للـشوارع الخلفـية قانونها في العهد المبارك، إفعل ماشئت شـريطة أن لاتخـرج إلى الشارع الكبير شاكيا أو لاعنا أو حتى

خادشا لتلك الطبقة الخادعة من السلام الإجتماعي، لسنوات طويلة ظلـت الـناس تدرك هذا القانون جيدا، لكن المشكلة الأخطر في رأيـي أن الـناس بـدأت تنتهك هذا القانون وتخرج إلى الشارع الكبيـر، من يومين شاهدت في وضح النهار رجلا يبدو أنه عاقل بالـغ بدلـيل أنـه يمـسك موبايلا في يده وهو يتبول في الشارع الرئيسي إلى جوار وزارة الخارجية مباشرة، لاأدري إذا كان ذلك مـوقفا من سياسات الوزير أحمد أبو الغيط، لكن ماأدريه أن زمن عدم إعتداء الشوارع الخلفية على الشوارع الأمامية قد بدأ.

فـي عيادة الطبيب وجدت نفسي مجبرا على الإستماع لنشرة تـسعة والعياذ بالله، كان المذيع ينقل تصريحا للرئيس مبارك قال فـيه لرؤساء تحرير الصحف القومية أن النزول إلى الشارع قرار غيـر حكـيم، ظننـته يقـصد شوارع الدويقة أو مدينة السلام أو الـضهرية، لكننـي اكتـشفت أنه يقصد شوارع بيروت، مع أن بيـروت على مدى أكثر من أسبوع من التظاهر بمئات الآلاف لم تـشهد سـوى حادث قتل واحد جاء مع سبق الإصرار والترصد، لكن كم حادثا شهدته في نفس الفترة شوارعنا التي تمتلئ بالحكماء الـذين لايعترضـون على أحوالهم أبدا. هل أبدو لك متشائما؟ هل أشـعرك كلامي بالقلق؟ هل تريدني أن أقول لك أن الأمور بخير طالما كنت أنا بخير وأنت بخير؟ هل نحن حقا بخير؟ إذن من أين جاء التوربيني؟. شفت أن كل ماأحدثك عنه له علاقة بالتوربيني؟.

مـنذ أيـام جاءني صديق أعتبره دائما من خيرة الناس وهو يتـصبب عـرقا وفزعا، وحكى لي كيف أنه وهو من سكان حي

www.alkottob.com

المهندسين الراقي فوجئ وهو بصحبة والدته بطفل شوارع لايتجاوز العاشرة من عمره يأتي إليه وهو يستعد للتحرك بسيارته أسفل بيته، وبدأ في مسح زجاج سيارته بخرقة متسخة زادت زجاج السيارة سوءا على سوء، بحركة لاإرادية شخط صديقي في الطفل الذي سدد إليه نظرات ذكرته بنظرات أنتوني هوبكنز وهو يجسد دور السفاح هانيبال لانكتر في فيلم صمت الحملان الشهير، سألته ماإذا كان قد أخرج له لسانه ولعق الزجاج كما فعل هوبكنز، فشخط في طالبا أن استمع إلى باقي الحكاية، وهي باختصار أن الطفل عندما أحس أنه اهتز قليلا بفعل النظرات التي سددها له، توجه فورا إلى شباك العربية الآخر وأخرج من فمه موسا وأخذ يشوح به في الهواء قبل أن يختفي كفص ملح ذائب بعد أن تحرك بواب العمارة نحوه، هل يبدو لك صديقي خرعا وهو يشعر بهذا الفزع، ربما تراه كذلك، لكني لم أره كذلك وهو يسألني بجزع "يعني خلاص قربت بقى إنك تمشي في الشارع فتترفع وتتقلب أو تتطعن من غير مايبقالك دية"، بالطبع طمأنته أن ذلك لن يحدث بسرعة طالما بقي دائما في حدود المهندسين وماحولها لأن الحكومة ستكون حريصة دائما على حمايته لأنه في وجهها، أما الكتلة الغاطسة في خرارة الفقر فلها الله أو لتأكل في بعضها.

في موضع آخر حكى لي صديق برضه من خيرة الناس كيف انخفضت أسعار الشقق والفيلات في مدينة الشروق والقاهرة الجديدة بسبب كثرة حوادث السرقة التي تتعرض لها المدن الجديدة على أيدي الخارجين على القانون من سكان العشوائيات المجاورة

لها. ليعقب عليه صديق آخر من شرار الناس في جلستنا بمقولة ضابط بوليس في أحد أحياء إسكندرية العشوائية قال للناس عندما اشتكوا له من تغول ظاهرة أطفال وشباب الشوارع الذين يمارسون البلطجة وبيع المخدرات والإعتداء على الأطفال فرد عليهم بأن قوة القسم لاتتسع إلا للقبض على ستين أو سبعين متهما بينما عدد المشبوهين في شوارع المنطقة يتعدى الثلاثمائة، يعني محتاجين خمس أقسام كمان.

هل ستعتبرني مدافعا عن وزارة الداخلية عندما أقول لك أن الحل الأمني على أهميته لن يكون أبدا حلا ناجعا، طالما استمرت سياسة الإفقار المتعمد للناس والتي لم يعد ممكنا أن تسيطر الحكومة فيها على سعر كيلو البصل، بينما المفروض أن تسيطر على السلام الإجتماعي. عندما أفكر في الجملة التي نقلها صديقنا عن ضابط الشرطة أقول لنفسي فزعا أن المشكلة الحقيقية في مصر لم تعد في أن القانون لايطبق، بل في أنه إذا تم تطبيقه فعلا فلن يكون هناك متسع في سجون وأقسام مصر للمخالفين للقانون. أنصار نظرية المؤامرة يقولون أن هناك قرارات حكومية سرية بعدم التشديد على الناس في جوانب كثيرة في الحياة لكي تعدي الليلة ولاتضيق صدورهم فيبدأوا في التساؤل قائلين "إشمعنى إحنا مالحرامية ماليين البلد وماحدش بيدوس لهم على طرف".

لم أكن أبدا من أنصار نظرية المؤامرة لكني كلما نزلت إلى الشارع أجد الكثير من الوجاهة في نظرية مثل هذه، تبدو الدولة كأنها تدير وجهها الناحية الثانية ليصنع الكثيرون ماشاؤوا طالما

www.alkottob.com

أنهم يطحنون في بعضهم البعض ولايفكرون في أن يسألوا عن مصيرهم في الأيام القادمة، لاأدعي أنني أعرف الناس كلها لكنني أستطيع أن أزعم أن كثيرا ممن أعرفهم لايبدون هنا على الإطلاق، كلما جلست في جلسة وجرنا الحديث إلى مستقبل البلاد ومهزلة التعديلات الدستورية أسكتتني ذات العبارة "ياعم ماتوجعش دماغنا.. إياكش تولع"، نفس المنطق الـ "ماتفرقشي" يسود لدى الغالبية، المهم أن ينتصر الأهلي في اليابان وأن تتجاور عفة الإيشارب مع فساد النفوس، أن يزيد الحجاب حتى لو نقصت العفة، أن تكثر المساجد ولو قل المصلون، عندما أفكر في كم التحذيرات التي استمعت إليها قبل ولادة ابنتي من أن أسميها إسما يبدو عليه أنه مسيحي أصاب بالفزع خاصة أن كل من كان يحذرني أناس متعلمون وحاصلون على درجات في العلم، ناهيك عن الكم المرعب من القصص التي أسمعها عن اختطاف هذه الفتاة وتنصير تلك السيدة وإدخال ذلك القسيس في الإسلام، بلاش عندما أفتح الإيميل أفاجأ بأن أغلب الإيميلات التي ترسل إلي وإلى عشرات غيري بطريقة الفورود تناقش قضايا تصلح للقرن السابع أو التاسع الهجري أو لمجتمع غير مجتمعنا يوشك على الغرق.

منذ أيام وأنا في بيت أحد أقاربي كنت أستمع وأنا أشعر بطرب حقيقي إلى العالم المصري الدكتور محمد النشائي الذي يكفيه فخرا أنه اخترع فرعا جديدا من العلم لم يسبقه إليه أحد، أسأل نفسي كيف يمكن أن تخاصم مصر عالما مثل هذا أقل مايمكن فعله معه أن تفتح له ساعات من الإرسال المباشر لعله

ينفض العنكبوت الذي عشش في عقولنا، فجأة تغير الإرسال لأجد مكانه قناة الناس التي تبث شيخا يتحدث عن آداب الإبتسام والضحك في الإسلام وأجد قريبة لي هي طبيبة بالمناسبة تعتذر لأنها لاتستطيع أن تفوت هذا الموعد اليومي مع هذا الشيخ، قلت لها أنني أزعم أننا يمكن أن نتقرب إلى الله أكثر لو استمعنا إلى الدكتور النشائي، وأن الله عزوجل قد يغفر لنا إذا ضحكنا بدون أدب، لكنه لن يغفر لنا أن نعيش في هذه الدنيا أحمرة لانضيف لها شيئا ولانعمرها كما أمرنا بالعلم، كان لساني يتشك ولا أقول هذا، لأنني قضيت ساعة إلا ربع أقنعها بأنني لاأستهزئ بالإسلام ولاأكره الشيوخ مستشهدا بأننا صلينا العشاء سويا قبل أن أنزل معتذرا لأنني أفسدت السهرة. في الأسبوع الماضي أخطأ صديقي الفنان المبدع هشام رحمة عندما قام برسم التطرف الذي كنت أحكي عنه في مقالي "المحاكم الشرعية الصومالية فرع مصر" على أنه تطرف اللحية المشعثة والجلباب القصير، التطرف الأخطر في مصر صار تطرف العقل الذي يرفض التفكير في جسد حليق الذقن يرتدي أحدث الموديلات. دعني أقل لك أنني عندما أرى أغلب من حولي وهم يتحدثون عن الدين وحكمه ورأيه لاأجد على لساني إلا سؤالا واحدا " إذا كنا عارفين ربنا إلى هذا الحد فمن أين إذن جاء التوربيني وصحبه؟".

في الشوارع يبدو الناس وقد ناؤوا بحمل ثقيل لايملكون معه إلا التجهم وتبادل النظرات العدائية، منذ يومين ضبطت نفسي متلبسا وأنا أقول ساخطا "ياسيدي على الروقان" بعد أن شاهدت

www.alkottob.com

سيارة إلى جواري يصفق فيها بعض الشباب طربا على أنغام غناء الشيخ ياسين التهامي، جرب أن تقهقه من الضحك وسط زحام المدن الذي أصبح عادة لايقطعها الله، وراقب كيف سينظر إليك من حولك، أما الشوارع نفسها فتبدو وسط كل هذا كئيبة متربة متسخة، انقبض قلبي بشدة عندما أصبحت أشعر أنها تذكرني بتلك الشقق التي يركنها أصحابها لفترات طويلة باحثين لها عن أي مشتر أو مؤجر، تبدو شوارع مصر هكذا كأنها أصبحت بلا صاحب، كأنها تنتظر الآتي ولا يأتي، كأنها تعبت خلاص.

سأعتبرك قادرا على تحملي إذا كنت لاتزال تقرأ مقالي حتى الآن، ولذلك سأسألك السؤال الأهم بكثير من سؤال " من أين جاء التوربيني"، سؤالا شديد الجرأة، سؤالا يثقل صدري بشدة منذ فترة، خلص ياسيدي وإسأل، حاضر، سؤالي ببساطة " هل فعلا حسني مبارك هو مشكلتنا؟ هل ستنصلح أحوالنا إذا لم يكن هو الذي يحكمنا؟ وهل سنكون أسعد حالا لو جاء إبنه أو غير إبنه ليحكمنا ونحن على نفس هذا الحال؟".

أعلم أنك لن تظن بي انهزاما أو تخاذلا أو تراجعا عن أفكاري المعارضة التي تحمل نظام الرئيس مبارك المسئولية عن تردي الأحوال في مصر، لكنني أصبحت غير قادر على تخطي هذا السؤال الذي يطاردني في اليوم مابين اربع إلى خمس مرات لأسباب متفرقة، منذ أسبوعين فرحت عندما قرأت مقالا لكاتب معارض متميز هو الدكتور إبراهيم السائح أحد أبرز كتاب

صحيفة التجمع التي كتب في عموده فيها قائلا " إن كنا جميعا نعلم أن النظام المصري فاشل وضعيف وفاسد، فلماذا يستمر مبارك في حكم البلاد لمدة ربع قرن دون أدنى منافسة حقيقية ولماذا يستغيث به الضحايا رغم أنه صاحب القرارات التي تقطع رقابهم... السبب الرئيسي في استمرار مبارك رغم سوء أدائه هو أننا جميعا ننافسه في سوء الأداء، كل قطاعات الشعب المصري أداؤها العام والخاص أقل كثيرا من أداء حسني مبارك، قد يكون مبارك نفسه أحد أسباب سوء الأداء العام في مصر ولكنه بالقطع ليس السبب الوحيد، كل الناس في مصر يتهمون حسني مبارك بأنه رئيس على قد حاله، والبعض يتطاولون عليه ويتهمونه بأنه ليس رئيسا على الإطلاق وأنه لايصلح لحكم قرية صغيرة وليس دولة في مساحة مصر وقيمتها وتاريخها، ولكننا جميعا ننسى تقييم أنفسنا وأدائنا ومستوانا العام والخاص، ولو فعلنا لوجدنا أننا إما مثل مبارك أو أقل منه، ولهذا يستمر في حكمنا طوال هذا العمر لأن الحال من بعضه، ويرفض الإعتراف بإنتقادنا له لأن الذي بيته من زجاج لاينبغي أن يقذف الناس بالطوب".

أعرف أن كلام الدكتور السائح الذي لم أشرف بمعرفته لن يسعدك أبدا، أعرف أنك غالبا ستراه يائسا أو متشائما أو ملقيا اللائمة على غير أهلها، لكنني أقول لك أنني وبعد تفكير طويل أتفق معه تماما، بالطبع هو لم يجب التائهة ولا أنا أيضا، وبالطبع هناك كثيرون سبقوه إلى ماقاله لعل أولهم قائل الأثر الخالد الجامع المانع " كما تكونوا يول عليكم"، أعرف أنك تجلس وأنت غارق

www.alkottob.com

في سوء الحال تنتظر اليوم الذي تتحقق فيه المعجزة ويتغير فيه حاكم مصر لينصلح حالها، لكن ذلك لن يحدث أبدا طالما لم أدرك أنا وأنت أن سوء الحال نابع من سوء الأداء، لو لم يسأل كل منا نفسه عما فعله لإصلاح ماحوله أو الإعتراض عليه، لو لم يدرك كل منا أن معركته الحقيقية تبدأ من داخل بيته وأنه إذا لم ينتصر فيها أولا فلن ننتصر في أي شيئ، لو لم يدرك كل منا أن خلاصنا في تثوير القرآن وتطبيق مقاصد الإسلام قبل أشكاله، لو لم يدرك كل منا أننا لاشيئ بدون الحرية والعلم، وأن الحقوق تنتزع ولاتوهب، وأننا سنظل مهددين بالتوربيني الصغير طالما سمحنا للتوربينات الكبار أن يرتعوا في الأرض فاسدين مكتفين بالشتيمة والسخط والكوميديا السوداء.

وحتى يحدث ذلك دعني أختم كلامي الطويل المرير بالكوميديا السوداء.

في نهاية يوم مثقل بالهم والتفكير يأتيني صديقنا المنشكح دائما وأبدا ليقول لي وهو يكاد ينفجر ضحكا أن أحدث نكتة وصلته على الإيميل تروي قصة إثنين من أعز الأصدقاء شغلهما كثيرا البحث عن التوربيني سفاح الأطفال قبل القبض عليه، وأقنع أحدهما الآخر بأن يذهبا إلى محطة القطار لكي يبحثا عنه، عندما وصلا إلى المحطة ولم يجداه، أصر صاحب الإقتراح على أن يواصلا البحث بين القطارات المهجورة، ثم أصر على أن يكملا البحث فوق أسطح القطارات، وعندما صعدا إلى سطح القطار التفت الصديق ليجد صديقه صاحب الإقتراح وقد خلع بنطاله

ونظر إليه بنظرات شريرة ذات مغزى وقح وقال له ضاحكا " مفاجأة مش كده".

انفجر صديقي ضاحكا بينما اكتفيت بأن أنظر إليه بنظرات تطق شررا وشزرا، وبعد أن توقف عن الضحك بصعوبة ليسألني عن رأيي، اكتفيت بأن أقول له بمرارة "أكيد وإنت صغير حد وراك القطر".

www.alkottob.com

وقائع هبة شعبية لم تكتمل

في مصر الجديدة!

www.alkottob.com

لم أكن أتوقع أن أشاهد تلك الواقعة في مصر الجديدة بالذات. لكـن ذلـك ماحدث ورأيته بأم عيني الأسبوع الماضي أمام جامع كبير في أحد ميادينها الشهيرة.

عـندما دخلت إلى الجامع لكي ألحق بصلاة الجمعة كان عدد قليل من بائعي الفاكهة قد بدأ في رص كراتين الفاكهة أمام المسجد آخذا في تزويقها وتزيينها، فيما كان خطيب الجامع يتحدث بحماس حقيقـي عن غياب الضمير في مجتمعنا وعدم تذكر أي منا أن الله عـزوجل يـراقبه ويـراه، استبـشرت خيـرا بالخطبة التي يعد موضـوعها بمناقـشة ساخنة لأوضاعنا المزرية، لكن الخطيب لم يـرد لفرحتـي أن تكـتمل، دونما سبب أراد أن ينتقل من حياتنا المعاصـرة ليرجع بنا مئات السنين إلى الوراء ليحكي لنا قصصا عـن الغامدية وماعز وغيرهما من التوابين الذين أصروا على أن تقـام عليهم حدود الزنا وشرب الخمر لكي تكتمل توبتهم، قبل أن يـستفيض في الحديث عن الزنا وشرب الخمر، ليجدد جرحي مع خطباء الجمعة الذين لاأدري سر ولعهم بالحديث عن الزنا وشرب الخمـر والمخـدرات لجمهور من المصلين لو كان يرتكب أشياء كهـذه لما جاء إلى المسجد أساسا، جمهور يحتاج إلى أن نقول له

www.alkottob.com

كيف يكون الدين أبعد من مجرد الصلاة والإستماع إلى خطبة الجمعة، كيف يكون ثورة على الظلم والفساد والتخلف، وكيف يكون سبيلا إلى الحرية والعقل والتفكير، فجأة تعثر بائع جوافة فوقع على الكرتونة التي رص عليها فاكهته قبل أن يقوم مسرعا للم حبات الجوافة التي تبعثرت على الطريق ويساعده بأريحية بعض المسرعين للحاق بالصلاة، لم يكن البائع يعلم أن تعثره وتبعثر بضاعته نذير شؤم سيلحق به عما قريب.

انتهت الخطبة بعد أن فقد أغلب المصلين التواصل معها، ولولا أن الإمام كان رخيم الصوت متمكنا من قراءة القرآن الكريم لما شعرنا أننا صلينا الجمعة أساسا. يادويك خلصت الصلاة من هنا وبدأ أغلب المصلين في ممارسة عادة الهروب من المسجد فور تسليمهم - ألا صحيح هل لدى أحدكم تفسير لهذه العادة المقيتة التي نقع فيها جميعا كل جمعة - علت أصوات الباعة تنادي على الفاكهة " كله بجنيه ونص ياباشا.. رمان سكر وجوافة عسل.. خش على العنب ياباشا"، حمدت الله أن أحد الباعة لم يتطوع بالوقوف لهز وسطه على أنغام أغنية العنب العنب التي باتت تطاردنا جميعا في كل مكان هذه الأيام، اتجهت باتجاه بائع الجرائد لكني عدت ثانية باتجاه باب المسجد بعد أن سمعت أصوات صراخ وزعيق ترد من ذلك الإتجاه، عندما وصلت كان المشهد الذي رأيته غير مألوف على الإطلاق في مكان مثل هذا به أكثر من مكان حساس.

كانت قوة مشتركة من أشاوس البلدية والداخلية قد انقضت

على المكان عقب الصلاة مباشرة وأخذت تداهم بنجاح ساحق أوكار باعة الفاكهة محدثة خسائر كبيرة في الجوافة والعنب بينما لم يصب البلح والرمان بأضرار بالغة، فيما تمكن بائع تفاح بلدي من الفرار بكرتونته التي لم تقو كثيرا على تحمل جريه فتفككت أوصالها في الشارع ليقف الرجل مذهولا للحظات ومحتارا بين لم ماوقع منه والفرار بما بقي في حوزته، قبل أن يؤثر السلامة والفرار ربما لأن حجم القوة كان ينبئ بأنه لن يتم إلقاء القبض على الفاكهة فقط، بل ربما تم القبض على باعتها وحتى مشتريها، ستقول لي وأين الجديد في ذلك، فأنت بالتأكيد تراه كل يوم في أرجاء المحروسة. الجديد أن عددا لايستهان به من المصلين تحلق حول القوة المشتركة ليمنعها من الإعتداء بالضرب على الباعة الذين رفضوا التخلي عن الفاكهة التي دفعوا فيها دم قلبهم وكان لديهم أمل في أن ترد الدموية فيهم بعد بيع الفاكهة، فيما حاول مصلون آخرون إنزال الفاكهة التي ملأت عربة الربع نقل التي جاء بها الأشاوس، وقفت للحظات أستوعب المشهد الذي تعودت على رؤيته في المناطق الشعبية، وليس في مكان كهذا قريب من عدد من الأماكن الحساسة، ووسط جمهور من النخبة لم يتعود على الإشتباك مع الحكومة هكذا، كان يقود عملية المقاومة كما بدت لي رجل يرتدي جلابية بيضاء ناصع لونها كنصوع أمارات الجدعنة البادية عليه، حماسه شجع الكثيرين على الإعتراض وإنكار مارأوه منكرا، كان الرجل يصرخ في أفراد القوة المشتركة ممسكا بيد كبيرهم الذي يحمل جهاز لاسلكي في يده " يعني إحنا لو مسكناكو دلوقتي وقطعناكو ضرب هتعملوا لنا إيه؟"، أعترف

www.alkottob.com

أن سؤاله أذهلني كما أذهل الواقفين إلى جواري فلم يكن يخطر على بالي أن يجاهر الرجل بعدائه بهذا الشكل، لكن الذي أذهلني أكثر أن رجل اللاسلكي قال له بمنتهى الإستسلام "ولاحاجة يابيه"، لم أفهم للحظات سر انكسار الرجل، هل لأنه يعلم طبيعة المكان وطبيعة ساكنيه التي تدفعهم لهذا الإستبياع الشرس، سألت نفسي سؤالا خاطفا هل كان يمكن أن يكون رد رجل اللاسلكي هكذا على رجل من إمبابة المطار أو طوابق فيصل أو رواد ترعة الزمر أوبركة الفيل أوالبحر الأعظم، لكن تصاعد الموقف لم يعطني فرصة للتفكر في الإجابة.

بدا أن موقف المقاومين لم يكن مجرد الإعتراض على ضرب البائعين ومصادرة بضاعتهم بشكل وحشي لاآدمية فيه، بل كان وراءه ماهو أبعد من ذلك، اتضح لي ذلك عندما علا صوت قائد المقاومة الرجل الناصع ذو السكسوكة صارخا " يعني بلاش إحنا نشتري فاكهة رخيصة.. لازم نشتريها يعني من السوبر ماركتات بتاعة الحرامية الكبار اللي بيبيعوها بالشيئ الفلاني وبيبعتوا لكو الإفقاص لحد البيت". بدا أن الرجل نطق بلسان جميع الواقفين الذين علت أصواتهم بعبارات التأييد والإستحسان كأن كلامه جاء على الجرح، للحظات سألت نفسي "هو أنا فين بالضبط"، من المؤكد أنني لم أكن أصلي في أي من جوامع السيدات زينب وعائشة ونفيسة وسكينة، من المؤكد أنني أعرف جيدا المواقع الحساسة التي نقف قريبا منها، من المؤكد أن هذا الحي لايسكنه إلا أهل الطبقة المتوسطة العليا من الذين نصفهم

عادة بأنهم "مستريحين"، تشي بذلك ملابسهم وموبايلاتهم التي يحملونها وسلاسل مفاتيحهم، ففيم الحديث عن الفاكهة الرخيصة، وكيف ربط هذا الرجل بين حملة المداهمة هذه والأقفاص التي يبدو متأكدا من مرواحها إلى البيوت والحرامية الكبار الذين يبيعون الفاكهة بالشيئ الفلاني. كانت الأسئلة تتدافع إلى ذهني بينما كان المصلون يتدافعون إلى العربية لينقذوا فاكهة الباعة الذين بكى بعضهم ربما لأنه لم يتوقع أن يقف أحد إلى جواره، أحدهم أخذته الحماسة وظن نفسه جزءا من تحالف قوى الشعب الذي تشكل للتو فمد يده إلى صندوق العربية ليستعيد بلهفة صندوق بلح رطب يخصه، فجأة أوقفت عصا باطشة تقدم يده أعقبها صوت باتر من أشوس يقف جوار العربية وقد بدا أقرب إلى هجام منه إلى موظف بلدية، " لو مديت إيدك على العربية هاكسرهالك"، لم أكن حتى تلك اللحظة قد فتحت فمي، لكن ماشهدته فجر بركان غضب داخلي، كأنني تركت الموقف كله وتصدرت في تفصيلة قد تراها هايفة لكنها والله جرحتني بقوة، زعقت في الرجل " كسر إيدك إنت.. هتكسر إيده ليه.. هو بيسرقك.. وبعدين يعني هو ده اللي اتشطرت عليه.. مانت واقف سامع شتيمتك بودنك من كل دول ومافتحتش بقك.. ولا ده عشان غلبان بتتشطر عليه"، لم يترك الرجل ذو السكسوكة لي فرصة لأكمل حيث اندفع قائلا "طب إكسر إيده وشوف أنا هاحولك للنيابة إزاي.. جرب كده وإعملها.. وبعدين إنتو نازلين نهب في الحاجات دي بناء على إيه.. أنهي قانون اللي يديكو الحق في ده..

www.alkottob.com

معاكـو إذن رسـمي بكـده"، ظهور إسم القانون في الحوار كان سـيدفعني للـضحك لكنـي مسكت نفسي إحتراما لمقاومة الرجل النبـيلة، ذكرنـي بالجملة التي كتبتها في فيلم أبو علي عندما قال كـريم عبد العزيز لمنى زكي في البوكس بعد فشل تجربتهما في اللجـوء إلـى القانـون "لو نطقتي كلمة فيها حرف القاف والنون هاولع فيكي وفي البوكس والحاج اللي قاعد ده"، لو كنا في ساعة حظ لقلت لذي السكسوكة "قانون مين ياحاج.. يخرب عقلك ده إنت فقري ودمك عسل"، لكني ضبطت نفسي متلبسا بالسؤال عن مدى قانونيـنة حمـلات المـصادرة التي تشنها البلدية منذ وعيت على الدنيا، وهل يعني أن شخصا قام بمخالفة القانون والبيع في الشارع أن تكـون ممتلكاته عرضة للنهب دون رقيب ولا حسيب، ولماذا في بلاد الله المحترمة التي زرتها على قلتها والتي سمعت وقرأت عـنها علـى كثرتها والتي تشهد جميعها ظاهرة الباعة المتجولين لاتـتم مـصادرة الممتلكات ومرمطة الباعة بشكل همجي بل يتم إجـبار البائع على دفع غرامة لأنه لايقف في الأماكن المخصصة للباعة أو لم يحصل على رخصة لممارسة عمله.

خرجت مجددا من الخلوة بتساؤلاتي عندما أدركت أن حركة المقاومة قد شهدت إنضمام سيدات للمرة الأولى، علا صوت سيدة وقفـت إلـى جـوار أفراد القوة مشهرة يدها في وجوههم وقائلة "حـسبي الله ونعم الوكيل.. ياظلمة ياأعوان الظلمة"، الله الله، حلم هـذا أم علم ياالله، هل قالت حقا ياأعوان الظلمة، تفحصت المكان سـريعا باحثا عن جورج إسحاق أو أي شعار من شعارات حركة

كفايـة، فلـم أجد إلا وجوها متعبة غاضبة قرفانة تحسبن وتدعو وتعلـن سخطها، وأين في مصر الجديدة؟، قلت لنفسي وهل تحدث هـبة كهذه إلا في مكان كهذا به أناس لديهم وعي، وهل يمكن أن تكـون هناك عزة بلا وعي، لو كان هذا المشهد في حي عشوائي لـبدا المـشهد أقـرب إلى الهوجة ولتم ضرب أفراد القوة ونهب الفاكهـة وتقلـيب اللاسلكي تمهيدا لبيعه في سوق الإمام الشافعي، لكن الناس هنا يقفون ليعترضوا بكل تحضر، لم يمد أحدهم يده أو يشتم أو يتجاوز أو يغلط، جميعهم يعترضون ويحسبنون ويدعون، والقانـون لايمنع الحسبنة أبدا. وربما كان موقف هؤلاء الناس هو مأأربك أفراد القوة وكتف أيديهم عن الرد بعنف، فلن يستطيع أحد مـنهم أن يـضرب أحـدا لمجرد أنه يعترض بلسانه على مايراه ظلمـا، أعترف أنني كنت مرتبكا للغاية، لأنني للمرة الأولى كنت أعـيش لذة أن ترى أفكارك تتحقق بشكل عفوي وساحر، هذه هي المقاومـة المدنـية التـي نحلم بها، أن يعترض الناس على الظلم بـشكل حضاري، لن يتمكن أحد من قمع هؤلاء، حتى لو أتت كل عـربات الأمـن المركزي المتواجدة في المنطقة فلن تستطيع أن تـضرب مـصلين خارجين من مسجد يعترضون على مصادرة فاكهـة، هكـذا أظـن. الرجل ذو اللاسلكي أصبح الآن في مأزق لايحسد عليه، حتى أنني ظننت أن بتوع الفاكهة لم يعد لديهم مانع فـي أن تـتم مصادرة فاكهتهم مقابل أن يستمتعوا برؤية الحكومة وهـي لايـصة هـذه اللوصـة المعتبـرة، أخذ الرجل يدفع بيده المتجمهرين حوله قائلا لهم "إنتو بتعملوا كده ليه.. إحنا بنعمل كده

www.alkottob.com

عشانكو.. مش إنتو اللي مبلغين عن بتوع الفاكهة دول"، كان يظن المسكين أنه قد وجد طوق نجاة بكلماته هذه، لكن أصوات الجميع تعالت دونما ترتيب " كدابين.. ماحدش بلغ.. يعني خلاص كل البلاغات خلصتوها وجايين عند بتوع الفاكهة.. مش تمسكوا الحرامية اللي ناهبين البلد الأول.. الحاجة دي سارقينها ورايحين على فين"، تصدق بالله أنني رأيت على وجه الرجل ذو اللاسلكي حزنا هزني من الأعماق بعد أن سمع الإتهام الأخير، ربما كان الرجل محقا ومجبرا على مايفعل، ملامحه على الأقل ليست كملامح الهجام ذي العضا الذي كان يراقب الموقف ولسان حاله يقول "آه ياولاد المركوب لو يحكموني عليكو لألبسكو البلح ده بلحاية بلحاية".

بعد صمت قصير صرخ الرجل ذو اللاسلكي "ياخواننا حرام عليكو.. الحاجات دي بتروح للملجأ مابناخدهاش إحنا"، لو كان قد جرى إلى المسجد وأحضر مصحفا وحلف عليه وهو يقول هذه الجملة لما فرق كلامه مع أحد، نفس العبارات الساخطة كانت ستتدلع أيضا "ملجأ ياواكلين مال اليتامى..هي الحداية بتحدف كتاكيت.. طب ملجأ إيه.. قولنا وإحنا ندينله قد الفاكهة دي مرتين"، بدا ألا مستقبل للحوار مع هذا الجمهور الذي يتمتع بشك ديكارتي عميق، نظر الهجام لذي اللاسلكي نظرات ذات مغزى، انتهز بائع البلح فرصة إنشغال الإثنين بالنظرات ليقوم بخطف كرتونته ويجري، ظننا أنه أفلح في ذلك لكن ارتباكه جعله يخطف كرتونة برتقان سكري جرى وراءه صاحبها ليستردها منه، فيما استغل ذو

اللاسلكي انشغال الجمع بمتابعة ماحدث ليتجه لركوب العربية بينما الهجام يحمي ظهره، استوقفته في الطريق قائلا له "ماتكسب ثواب وإحنا في أيام مفترجة وتدي الناس دي حاجتها وكفاية اللي حصل لهم"، كاد الهجام ينزل علي بالعصا برغم نظرات المحبة الفياضة مني، لكن الرجل الناصع ذي السكسوكة حماني قائلا له " والمصحف لالبسك قضية لو ماسبت العصاية دي.. ملعون ابو اللي مسكها لك"، نط الهجام في العربية خلف رئيسه ليطلع السائق طلعة أمريكاني كادت تفرم أرجل بعض ذوي الجلاليب المختلفة الألوان، بينما تشعلق بالعربية بجنون بائع أخذ يتناول ماتيسر له من الكراتين مطيحا بها إلى الشارع لتتبعثر الفاكهة على الأرض وينشغل الناس بجمعها وتوزيعها على أصحابها وأصواتهم تعلو بالحسبنة على الظلمة الحرامية ولاد ستين في سبعين. لو شاهد سائح المنظر لإعتقد أن السيارة الفارة هي سيارة عصابة تمكنت قوات الشرطة التي ترتدي الجلاليب من ضبطها، ولو حلفت له على الووتر يجمد لما صدق أن الحكومة هي التي فرت وأن الأهالي هم الذين أحبطوا عملية الفاكهة التي تم تنفيذها دون عمل حساب أي هبات شعبية محتملة.

كنت تجيئ لتشوف نظرات الفخر في عيون الناس وقد شعروا أنهم حققوا انتصارا ساحقا، كنت تجيئ لتسمع تحليلاتهم السياسية الصاخبة المعارضة التي يتضاءل إلى جوارها كل مانكتبه، كنت تجيئ لتشعر بأن هناك أناسا ليسوا بحاجة إلى خطبة جمعة لكي ينكروا المنكر ويأمروا بالمعروف وبشكل سلمي

www.alkottob.com

حـضاري. شعرت برغبة حميمة في عناق الرجل ذي السكسوكة وسـؤاله عن إسمه ومهنته، لكنني قمعت رغبتي لأنه كان لامحالة سيظنني مخبرا ولربما تعامل معي بشكل غير حضاري لفش غله الـذي كان واضحا من كلامه أنه لم يفش تماما. فاكتفيت بالمشي فـي ركابـه هـو وصحبه من المقاومين الذين بدا أنهم لايعرفون بعـضهم، كانـوا يمشون في إتجاه بعيد عن الإتجاه الذي أقصده، لكننـي شـعرت بما يشعر به الثوار بعد نجاح الثورة، الإستئناس ببعضهم البعض، ولذلك مشيت بصحبتهم، وليتني مامشيت.

فجأة اقتحم ركبنا رجل خرتيت من أولئك الذين أنزل الله على وجوههم غباوة بينة وأنزل في أيديهم موبايل أحدث موديل، قال لنا "ياإخوانـنا إنـتو ناسـيين حاجة مهمة"، توقفنا وقد تنبهت حواسنا المقاوماتـية لعله ينبهنا إلى ظلم جديد ندفعه ونعترض عليه، وليتنا ماتوقفنا ولاتنبهنا، نظم أنفاسه اللاهثة قليلا ثم تابع " البياعين دول مـسيحيين ياجماعـة مايستاهلوش حمقتكو دي"، اندفعت فيه دون تفكيـر صـارخا "وإيه علاقة إنهم مسيحيين ولا يهود حتى باللي حصل ده"، أخذ خطوة للخلف تنبئ أنه لم يكن يتوقع رد فعل كهذا، جـاء رد متعقل من زميل مقاوم " هم يعني مش مصريين زينا"، بيـنما صرخت من جديد " يعني عشان مسيحيين نسيبهم يتسرقوا ويتـضربوا.. هـو ده الإسلام يعني"، أخذ خطوة أخرى للخلف ثم قـال مبـررا" أصلهم بيغلوشوا علينا وإحنا بنصلي بأصواتهم وهم بينادوا على الفاكهة"، شخط فيه ذو السكسوكة الذي كان صمته قد بـدأ يقلقنـي " الكلام ده مش صحيح.. أنا باصلي هنا على طول

وعمـري ماسمعتهم بينادوا إلا بعد مانخلص صلاة ونمشي"، علق زمـيل مقـاوم لـم يكـن قد نطق طيلة صد العدوان " لعلمك من مصلحتهم إنهم يحترموا الصلاة ومايستفزوش الناس.. إنت غلطان ياحـضرت"، حـاول "حضرت" أن ينسى منطقه الطائفي المقيت لـيقول لاهثا "برضه منظرهم كده مش حضاري.. إحنا في مكان راقي ومايصحش يقفوا بالشكل ده"، نظر إليه ذو السكسوكة نظرة جزمت أن قلما ساخنا على صداغه سيعقبها، لكنه اكتفى بهز رأسه قـائلا " تـصدق بـالله إحنا شعب يستاهل اللي بيجراله.. الناس بتتـبهدل وبتموت من الجوع وإنت تقول لي منظر حضاري"، ثم نظـر إلينا جميعا بقرف وتركنا مغيرا إتجاه مشيه، فكرت أن أقوم أنـا بواجب القلم لكنني تذكرت أن الشبشب الذي نزلت به من بيت نـسايبي لن يساعدني على الجري، فكرت أن أكتفي بتوجيه شتيمة قبـيحة له لكنني خفت على ضياع الحسنات القليلة التي جنيتها من صـلاة الجمعة، فاكتفيت بالزغر له وتوجيه الشتيمة القبيحة له في سـري مقنعا نفسي أنها لن تحسب، فيما قال زميلنا المقاوم الدمث لـه " أنـا معاك في موضوع الشكل الحضاري بس ده ييجي بعد حاجات حضارية كثيرة لازم نعملها أولها إننا نبقى بني آدمين".

بـادرت بترك الجمع القليل الباقي مسرعا فلم يكن لدي رغبة بالمـرة لـسماع باقـي الحاجات الحضارية التي يجب أن نعملها "بعـدما نبقى بني آدمين"، فقد كنت بحاجة ماسة للتمسك بإحساس الهبة الشعبية الظافرة التي شهدتها.

حتى لو كان إحساسا زائفا.

www.alkottob.com

الفهرس

أجدع من أى مقدمة	9
السكان الأصليين لمصر	11
من غير ما تحس بيه	23
أم هند لا تريد حبا ولا حنانا.. تريد معاشا	31
فى وادى المصريين	47
"العاسيفة" التى ستأخذهم	55
هكذا سقطت أم هند	67
يا أهل الله ياللي فوق !	79
فرحتين وشوية مكرونة	87
وإنت طيب يا سيدى	95
مما شك فيه!	103
لماذا أكره موائد الرحمن؟	111
سيادة الرئيس.. أريد أن أهرش	127
قاطعوا الحصبة الألمانية	139
إشي خيال يا ناس!	145
القراءة للجميع.. أما الكتابة فللى معاه فلوس	151
لقاء فى شارع الثورة	157
إن الله جنودا من قش!	165

ملاكى قريش	173
حكومتك فى العشة ولا طارت؟	179
الليلة المباركية	185
وتعيش لنا للممات ياريس.. يا قمرنا إنت يا سكرة!	193
رمضان فى منشية ناصر 18 يوما فقط!	201
معدوم يشترى ترباسا!	209
عبدالله سيتا أومباسيبل	215
هيه هيه هيييييييييه!	239
المومس اللي فاضلة!	247
مصر التى ما المسئول عنها بأعلم من السائل!	253
ضحايا ولا كشوف لهم!	265
عزيزى المواطن إوعى حد يوريك "القطر"!	277
وقائع هبة شعبية لم تكتمل فى مصر الجديدة!	295

www.alkottob.com

مشكلتي الثانية هي أنني أشعر بأكلان فظيع في ضهري، لا أدري هل سببه الحشرات التي يقسم زملائي أنها أقدم في المستشفى من بهيرة كبيرة الممرضات، أم سببه رقودي على السرير على وضع واحد كل هذا الوقت، مع أن التغيير سنة الحياة، نبهنى عم عبد البديع إلى التباس الجملة الأخيرة وكونها يمكن أن تسوء موقفي في القضية، لكنني أقسم لسيادتك أنني لا أقصد منها شيء سوى أنني فعلاً أريد أن أمارس حقي الدستوري في الهرش وتغيير وضع رقودي على السرير، فأنا لست دولة تستحمل أن تعيش ربع قرن على وضع واحد دون أي تغيير، أنا بشر ضعيف خلقت من تراب وسففت التراب ويلزمني بين الحين والآخر أن أتقلب على الجنبين، فهل هذا كثير عليّ سيادتك؟!

الفوتوغرافيا وتصميم الغلاف : أحمد اللباد

ميريت

www.alkottob.com